الشعوبية

حركة مضادة للإسلام والأمة العربية

الدكتور
عبد الله سلوم السامرائي



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية

اسم المؤلف: عبد الله سلوم السامرائي

رقم الإيداع : 19555

الطبعة الأولى ٢٠١٢

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

المقدمة

هذه دراسة في الشعوبية التي قامت كحركة مناهضة للأمة العربية إثر ظهور الإسلام وقيام دولته العربية .

لقد تولت الدولة العربية حمل رسالة الإسلام ، وعملت على تحرير البلاد العربية من النفوذ البيزنطي والفارسي ، وتقدمت خارج الأرض العربية تبشر بالإسلام وتسعى لهداية الناس ، فاصطدمت بشعوب كثيرة ، وقامت في وجهها حركات مقاومة عنيفة كانت قوتها تتناسب طرديًا مع قوة تلك الشعوب ودرجة وعيها ، فكانت هذه المقاومة على أشدها في البلاد الإيرانية التي ورثت حضارة متقدمة وحكمًا منظمًا وديانات ثنوية معقدة ، كما كانت لهذا الشعب مصالح واسعة في العراق واليمن انتهت إثر عمليات التحرير العربية .

لقد تمكنت المقاومة من صهر معظم حركات المقاومة الأخرى وصبغها بصبغة فارسية ، ولذلك اقتصرت هذه الدراسة على المقاومة الفارسية؛ لأنها المقاومة التي واصلت المعركة إلى مداها الأخير وكانت لها أهداف خاصة بها توسلت بكل الوسائل في سبيل تحقيقها .

لقد كان للشعوبية آثار بعيدة في تاريخ العرب تمثلت في جوانب عدة من حياتهم ، فقد استغلت الشعوبية التدوين أوسع استغلال فوضعت الكتب في تشويه آثار العرب وتاريخهم ودينهم، وكانت وراء معظم الأحداث التي واجهت الأمة العربية وعملت على محاربتها .

وهكذا وجدت نفسي وأنا أبحث في موضوع الشعوبية أدور في حلقة

مفرغة كبيرة تبدأ من نقطة التصادم بين الدولة العربية والدولة الإيرانية ثم أعود إلى ذات النقطة التي ابتدأت منها .

لقد امتدت ساحة المعركة بين الأمة العربية والشعوبية على رقعة واسعة امتدت من الحجاز إلى خراسان عبر بلاد العراق كما تمثلت في بلاد الشام واليمن والعراق معرجة إلى شمال أفريقيا والأندلس وفي مناطق أخرى حيث يقيم الموالي .

وعلى الرغم من قوة المعركة التي أثارتها الشعوبية والنتائج البعيدة التي أسفرت عنها ، فإن معظم مؤلفات الشعوبية قد فقدت في حومة المعركة بين العروبة والشعوبية ، ولم يبق منها ما يعبر عن رأي الشعوبية بصورة مباشرة سوى أبيات من الشعر متناثرة هنا وهناك في بعض الدواوين الشعرية ، إلى جانب أقوال وآراء متفرقة في بعض كتب الأدب والمثالب كما في كتاب النقائض وكتاب العقيقة لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، يضاف إلى ذلك بعض الآراء التي ذكرها الكتاب العرب في مؤلفاتهم من أجل مناقشة هذه الآراء وتفنيدها والرد عليها ، كما فعل الجاحظ في البيان والتبيين وابن قتيبة في كتاب العرب والخياط المعتزلي في كتابه الانتصار، والتوحيدي في كتاب الإمتاع والمؤانسة وغيرهم ، ولا نستطيع الجزم بأن هذه الآراء المنسوبة إلى الشعوبية قد نقلت عنها بصورة صحيحة دون تحريف .

لقد قسمت هذا البحث إلى أربعة فصول :

تناولت في **الفصل الأول** منها أسباب قيام الحركة الشعوبية ، وقد وجدت أن قيام هذه الحركة يرجع إلى عاملين أساسيين هما الحضارة الإيرانية التي كانت تبعث في شعوبها الثقة والوعي وتثير فيهم روح التحدي في وجه القوى المناوئة له ، والعامل الثاني هو الإسلام الذي تسبب في قيام الدولة العربية وأدى إلى ازدهار الحضارة العربية التي اصطدمت مع الحضارة الإيرانية بصورة مباشرة فأدى ذلك الاصطدام إلى إزالة السلطان

الإيراني ، فكان لهذا الانتصار العربي رد فعل عنيف أدى إلى قيام حركة مقاومة في وجه الأمة العربية .

وفي **الفصل الثاني** تناولت مظاهر الشعوبية ، حيث عملت المقاومة في مجالين مقاومة قامت في وجه الإسلام واستهدفت محاربته وتشويه مبادئه بكل الأساليب وقد تمثلت هذه المقاومة في حركتين كبيرتين هما حركة الغلو وحركة الزندقة ، وقد أطلقت على هذه المقاومة ـ الشعوبية الدينية.

وثمة مقاومة أخرى استهدفت الطعن على العرب وتشويه حضارتهم وهدم سلطانهم وتفضيل الشعوب الأخرى عليهم ، وقد أطلقت على هذه المقاومة ـ الشعوبية العنصرية .

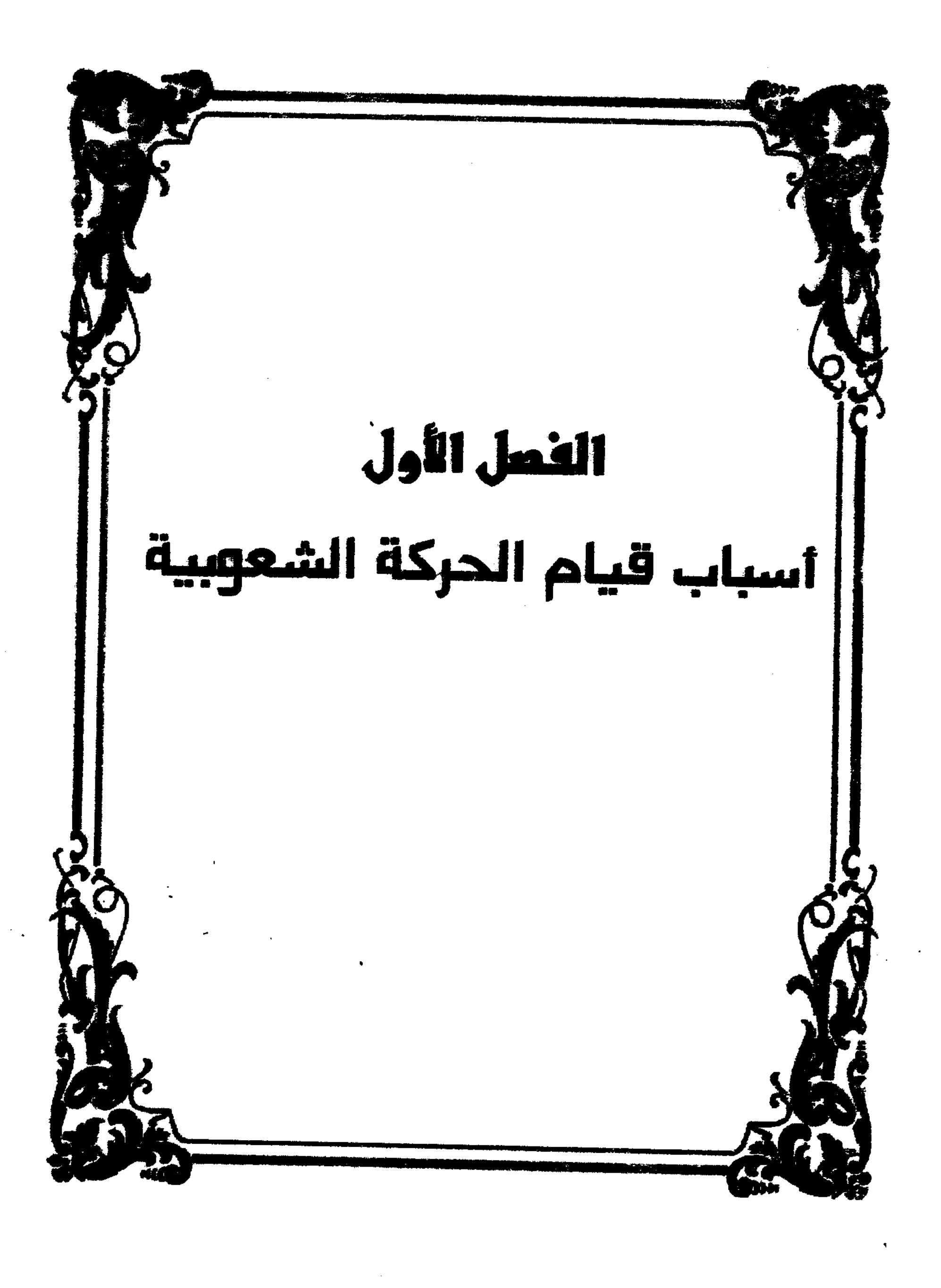
وفي **الفصل الثالث** من هذا البحث عالجت أساليب الحركة الشعوبية وأهدافها ، وقد هداني إلى أن الشعوبية الدينية كانت منظمة لها أساليبها الخاصة في العمل وتنظيماتها المحكمة في إعداد الدعاة والاتصال بالناس .

وعلى الرغم من أن الشعوبية العنصرية لم تكن منظمة تنظيمًا يحدد معالمها وأساليبها ويوحدها في حركة واحدة فإن الشعوبية العنصرية كانت تتستر بالإسلام وتعمل على تحقيق أغراضها من خلال التظاهر بالولاء القبلي والولاء السياسي .

ومن متابعة نشاط الحركة الشعوبية وقفت على أن أهدافها تتركز في ثلاثة أمور أساسية متداخلة ، هي تشويه مبادئ الإسلام وهدمها من الداخل بكل الأساليب ، ومحاربة الأمة العربية والعمل على إزالة سلطانها وتشويه حضارتها من أجل إعادة السلطة وإحياء الحضارة الإيرانية.

وقد بحثت في **الفصل الرابع** موقف العرب من الشعوبية وتتبعت ذلك في مواقف الدولة العربية منذ قيامها أيام الرسول ﷺ حتى خلافة المعتصم العباسي .

كما عرضت مواقف الشعب العربي من خلال مواقف الكتاب والشعراء الذين اشتركوا في المعركة ضد الشعوبية بأقلامهم وأفكارهم وأثاروا الشعب ودفعوه للوقوف في وجه الشعوبية فقاوم نشاطها ومزق كتبها وحال دون تحقيق أغراضها .



الفصل الأول

أسباب قيام الحركة الشعوبية

الفصل الأول
أسباب قيام الحركة الشعوبية

□ ■ □ ■

وبعد هذا التعريف العام بالبحث أتناول بالتوضيح مفهوم الشعوبية الذي بموجبه أدخلنا أشخاصًا ومواقف في نطاقه، ولما كانت الشعوبية قد تمثلت في مظهرين يختلفان في الظاهر من حيث المنطلق والأسلوب فمن الضروري أن نقف على مفهوم هذه الشعوبية في كلا المظهرين.

« فالشعوبية الدينية » هي التي تتمثل في مواقف وآراء تظاهر أصحابها بالإسلام وعملوا على محاربته عن طريق التشويه والطعن، ففرق الغلو التي تسترت بالإسلام بعيدًا عن مفهومها الحقيقي وفسرت المبادئ الإسلامية تفسيرًا غريبًا لا يتفق وطبيعتها تدخل في مفهوم الشعوبية الدينية.

والزندقة بكل صورها - الدهرية والثنوية وغيرها - التي بالإسلام تسترا وبالمجون والظرف إمعانًا في التستر واستهدفت محاربة الإسلام بوسائل مباشرة وغير مباشرة تدخل كذلك في مفهوم الشعوبية الدينية.

« والشعوبية العنصرية » حركة تتمثل من مجموعة الآراء والأشخاص والمواقف التي عبرت عن نظرة عنصرية أساسها تفضيل العناصر غير العربية على العرب عن طريق ذمهم والحط من حضارتهم والعمل على إزالة سلطانها إلى جانب الإشادة بحضارة الشعوب الأخرى وإعادة سلطانه على حساب العرب.

هذه محاولة أولية في معالجة أخطر حركة واجهت العرب بعد ظهور الإسلام، لا أدعي بأني وفيتها حقها في البحث ووقفت على كل ما يتصل

بها من معلومات وأبحاث ، وكل ما أرجوه أن تكون هذه الدراسة خطوة في سبيل بحث هذه الحركة تعين من أراد تتبعها .

والله أسأل أن يوفقني للقيام بأبحاث أخرى أشمل دراسة وأعمق بحثًا في سبيل خدمة أمتنا وثقافتنا العربية .



أولاً : تأثير الحياة الدينية والسياسية في وعي الشعب :

إن قيام أية حركة لا يجيء مصادفة وإنما لكل حركة أسباب خاصة بها تؤدي إلى قيامها، والشعوبية من الحركات التي كانت وليدة أسباب كثيرة تفاعلت مع بعضها إثر ظهور الحركة الإسلامية ، وأهم تلك الأسباب الحضارة الإيرانية وما خلقته من إثارة الوعي في شعوبها ، والإسلام ودولته العربية واصطدامها مع الدولة الإيرانية فكانت الشعوبية نتاج هذا التصادم بين الحضارة الإيرانية والحضارة العربية .

لقد قامت في إيران دول متعاقبة يرجع تاريخها إلى ما قبل المسيح [1] - عليه السلام - واستمرت حتى ظهور الإسلام ، وكانت الدولة الإيرانية دولة منظمة يقوم نظامها على الإدارة المركزية ، فهناك الملك الذي يمثل السلطة الدينية والزمنية فهو ظل الله في الأرض [2] ولذلك كان الفرس يقدسون ملوكهم وكانت عبادة الملوك مشهورة عندهم » [3] وقد وضع الملوك فكرة الحلول من أجل إضفاء صفة التقديس لهم وأن « الشاهنشاه

---

(١) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٢٩٣ الطبعة الحسينية ، والبيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ١٠٣ - ١٣٦ ، طبعة لايبزك سنة ١٩٢٣ م .

(2)Browne : Literary History of Persia, Vol. 1, p . 130 .

(٣) فان فلوتن : السيادة العربية ، الترجمة العربية ص ٧٥ ، مطبعة السعادة القاهرة سنة ١٩٣٤ م .

هو تجسيد روح الله التي تنتقل في أصلاب الملوك من الآباء إلى الأبناء »[1].

وهناك مناصب رئيس الوزراء ورئيس الموابذة وقائد الجيش وحكام الأقاليم المرازبة[2].

وكان المجتمع الإيراني مجتمعًا طبقيًا فهناك الأشراف ورجال الدين ورجال الحرب والكتاب وعامة الشعب من زراع وصناع ومن بين هؤلاء جميعًا كان الدهاقون رؤساء القرى[3].

وكانت الصلة بين الدين والدولة وثيقة في الحضارة الإيرانية وبخاصة في العهد الساساني[4] وكان لهذه العلاقة أثرها في الحركة العمرانية والثقافية من ناحية وفي مواجهة التحديات الخارجية المختلفة من ناحية أخرى.

لقد توسعت الدولة الإيرانية فشملت مناطق واسعة خارج حدود البلاد الإيرانية « حتى أن ملوك الأرض في فترات كانت تحمل إلى بهمن الملك الإتاوة »[5] وقد اصطدمت الدولة الإيرانية مع الدولة الرومانية فترات طويلة وأصبحت « مزاحمة قوية للدولة الرومانية في زمن الساسانيين واستولت برا وبحرًا على طريق تجارة الهند والصين ذات الخطر لجميع العالم»[6].

(١) فلهاوزن : الخوارج والشيعة ، الترجمة العربية ص ٢٤١ (مطبعة لجنة التأليف والنشر) القاهرة سنة ١٩٥٨ م . وسأشير إليه في الخوارج والشيعة وسأعتمد هذه الطبعة .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة ، الترجمة العربية ج ٢ ص ٤١٧ (مطبعة لجنة التأليف والنشر) القاهرة سنة ١٩٥٠م.

(٣) كتاب التاج المنسوب للجاحظ : ص ٢٥ ، المطبعة الأميرية القاهرة سنة ١٩١٢م الطبعة الأولى .

(٤) كريستنسن : إيران في عهد الساسانيين الترجمة العربية ص ١٣٠ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة سنة ١٩٥٧م . وسأعتمد هذه الطبعة .

(٥) الطبري : ج٢ ص ٤ الطبعة الحسينية وهو بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب الذي تولى الحكم بعد وفاة الملك كشتاسب الذي ظهر زمن زرادشت . انظر مروج الذهب ج١ ص ١٤٣ .

(٦) بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية الترجمة العربية ط ٣ دار المعارف القاهرة بلا تاريخ . وسأعتمد هذه الطبعة .

وكانت أرض السواد من المناطق التي سيطرت عليها الدولة الإيرانية فترة طويلة من الزمن كانت العلاقة فيها بين عرب العراق والدولة الإيرانية علاقة يشوبها الاختلاف والتنافر فهي علاقة الحاكم المستعمر بالشعب المستعمر وكان العرب يشعرون بثقل هذه السيطرة ويتطلعون إلى الخلاص منها لذلك استمرت المنازعات بين العرب والدولة الإيرانية ولا سيما في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام [1].

وكان للديانات الإيرانية أثرها البعيد في حياة الشعب الإيراني، فالمعتقدات الدينية قبل زرادشت والزرادشتية والمرقونية والديصانية والمانوية والمزدكية كلها ديانات ثنوية، ولما كان التوحيد هو الركن الأساسي في العقيدة الإسلامية فإن اصطداما حادًا ومستمرًا وقع بين الثنوية الإيرانية والتوحيد الإسلامي لذلك يحسن أن نقدم صورة واضحة للديانات الإيرانية من حيث أثرها في نشر الوعي وإثارة التحدي الذي وجه إلى الإسلام.

في المصادر العربية إشارات صريحة إلى وجود ديانة عند الفرس قبل الزرادشتية لأن ظهور زرادشت في أيام الملك بشتاسف وقبوله الزرادشتية أثار غضب الفرس مما دفع عامله رستم إلى التعبير عن غضبهم قائلاً: «ترك دين آبائنا الذي توارثوه آخرًا عن أول وصبا إلى دين محدث» [2] ولم يوضح الدينوري دين هؤلاء الآباء قبل بشتاسف، كما أنه لم يبين الآراء والمعتقدات التي أثارت غضب الفرس وليس أدل على مدى تمسك الفرس بالمعتقدات القديمة فإنهم نهوا «الناس عن السيرة بشيء مما ابتدع زرادشت وقتلوا بشرًا كثيرًا ثبتوا عليها» [3]، ولم يشر الطبري بشيء إلى المعتقدات

---

(١) انظر الطبري ج ٢ ص ٧ - ٩٤ الطبعة الحسينية.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال ص ٢٥، تحقيق عبد المنعم عامر، مطبعة عيسى البابي، القاهرة سنة ١٩٦٠م. وسأعتمد هذه الطبعة.

(٣) الطبري: ج١ ق ٢ ص ٨٩٤، طبعة ليدن. سنة ١٨٨١ - ١٨٨٢م.

التي انتشرت قبل الزرادشتية ولم يوضح أسباب الحملة عليها . ويشير ابن الجوزي إلى وجود ديانات وأنبياء قبل زرادشت فيقول: « وكان أول ملوك المجوس كومرث فجاءهم بدينهم ثم تتابع مدعو النبوة عليهم حتى اشتهر بها زرادشت »[1] إلا أن ابن الجوزي لم يذكر شيئًا عن آراء «كومرث» كما لم يذكر أسماء الأنبياء الآخرين ولم يوضح آراءهم .

أما كريستنسين فيعتبر الديانة المترية هي الديانة السابقة للزرادشتية ويرى أنها كانت متأثرة كثيرًا بعلم النجوم الكلداني ، وعقيدتها ثنوية فيقول: « أن إلهي الخير والشر كانا أخوين توأمين وهما ولدا زوران الزمان اللامتناهي »[2] ويؤيد عباس العقاد كريستنسين من أن فكرة زوران متأثرة بالمعتقدات السامية إذ يقول : « أن زوران هذا صنو لإله البابليين نون أو القدر الذي يتسلط على الآلهة كما يتسلط على المخلوقات »[3] . ويذكر كريستنسين الخرافة الدينية المتعلقة بخلق الدنيا وظهور العقيدة الثنوية وهي: « أن زوران الإله الأقدم ظل يقدم القرابين زهاء ألف سنة لكي يكون له ولد يسميه أهورامزدا ولكنه في آخر الأمر أخذ يشك في فائدة ما قدم من قرابين وحينئذ ظهر ولدان في بطنه أحدهما « أهورامزدا» لأنه قدم القرابين والثاني « أهرمن» لأنه شك فيما يفعل »[4] فأهورامزدا إله الخير وأهرمن إله الشر وهكذا نشأت العقيدة الثنوية التي ظلت العلامة المميزة للديانات الإيرانية التالية والصفة المشتركة لها .

والزرادشتية نسبة إلى زرادشت ابن أسفيمان الذي ظهر أيام الملك بشتاسف وادعى النبوة ووضع أسس الديانة الزرادشتية[5] في كتاب

(١) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص ٧٣ ، مطبعة المنيرية القاهرة ١٣٤٧ هـ . وسأعتمد هذه الطبعة .

(٢) إيران في عهد الساسانيين ص ٢٢ .

(٣) العقاد : كتاب الله ص ٧٨ ، سلسلة كتاب الهلال ، القاهرة بلا تاريخ .

(٤) إيران في عهد الساسانيين ص ٢٢ .

(٥) الطبري ج١ ص ٢٩٣ الطبعة الحسينية . المسعودي - مروج ج ١ ص ١٤٢ .

الأفستا الذي في يد المجوس »[1] .

لقد أمن الملك بشتاسف بما جاء به زرادشت ولم يعبأ بغضب الفرس مما شجع المواطنين على الإيمان بهذه الديانة وقد تزايد عدد المعتنقين لها تدريجيًا وثبتوا عليها ولم ينتهوا عنها[2] حتى أصبحت الزرادشتية هي الديانة السائدة وأصبح « الفرس يدينون بما أورده زرادشت في المجوسية»[3] ، وأمست الزرادشتية الديانة الرسمية أيام الساسانيين واستمرت حتى الفتح الإسلامي[4] .

والزرادشتية من الديانات الثنوية « أثبتوا أصلين اثنين مديرين قديمين يقتسمان الخير والشر... ويسمون أحدهما النور والثاني الظلمة »[5] .

وفي المجال الاجتماعي كانت الزرادشتية « يستحلون زواج الأمهات وقالوا الابن أحرى بتسكين شهوة أمه وإذا مات الزوج فابنه أولى بالمرأة»[6] ويؤيد بارتولد ما ذهب إليه ابن الجوزي بقوله: أن الزرادشتية « أباحت زواج الأب من البنت والإبن من الأم والأخ من الأخت »[7] ولم أجد ما يؤيد ابن الجوزي وبارتولد في المصادر التي رجعت إليها ولعلهما يخلطان بين الزرادشتية والمزدكية .

---

(١) انظر الأخبار الطوال ص ٢٥ و Browen, Vol . I . p . 96 .

(٢) الطبري : ج ١ ق ٢ ص ٨٩٤ طبعة ليدن ١٨٨١ ـ ١٨٨٢م .

(٣) البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٢٠٧ طبعة لايبزك سنة ١٩٢٣م وسأشير له : الآثار الباقية ، وسأعتمد هذه الطبعة في الصفحات القادمة .

(٤) إيران في عهد الساسانيين ص ١٣٠ .

(٥) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص ٧٢ ـ ٧٣ المطبعة الأدبية القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ . وسأشير له : الملل والنحل وسأعتمد هذه الطبعة . الطبعة الأولى .

(٦) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص ٧٣ .

(٧) بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٩٥ ط ٣ .

والمرقونية تنسب إلى مرقيون الذي وضع أسسها [(١)] ، وعقيدتها ثنوية كغيرها من الديانات الإيرانية [(٢)] ، وتختلف المرقونية عن الزرادشتية بوجود الكون الثالث فقد « زعمت أن الأصلين القديمين النور والظلمة وأن ههنا كونًا ثالثًا مزجها وخالفها » [(٣)] ولم يوضح ابن النديم ولا ابن حزم كيف حدث الكون الثالث كما أنهما لم يوضحا طبيعة هذا ويقول الشهرستاني: « المرقونية أثبتوا أصلين قديمين متضادين أحدهما النور والآخر الظلمة وأثبتوا أصلاً ثالثًا هو المعدل الجامع وهو سبب المزاج » [(٤)] وكذلك يذكر الشهرستاني أسباب وجود الكون الثالث على حد تعبير المرقونية «وقالوا وإنما أثبتنا المعدل ؛ لأن النور هو الله تعالى لا يجوز عليه مخالطة الشيطان وأيضًا فإن القديمين يتنافران طبعًا ويتمانعان ذاتا ونفسًا فكيف يجوز اجتماعهما وامتزاجهما فلابد من معدل يكون منزلته دون النور وفوق الظلام فيرفع المزاج معه » [(٥)] .

والعقيدة المرقونية متأثرة بالزرادشتية والمسيحية وذلك « لأن مرقيون وابن ديصان سمعا كلام عيسى وأخذا منه إلى جانب أخذهما من الزرادشتية » [(٦)] .

وأما الديصانية فإنها تنسب إلى ابن ديصان [(٧)] الذي وضع مبادئها

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ج١ ص ٢٠٠ طبعة باريس ، ١٨٦١م .

(٢) المسعودي : التنبيه والإشراف ص ٨٩ ، دار الصاوي للطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٣٨م .

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٨ مطبعة الاستقامة القاهرة بلا تاريخ وسأشير إليه : الفهرست وهي الطبعة التي سأعتمد عليها .
وابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج١ ص ٣٥ ، ٣٦ القاهرة المطبعة الأدبية سنة ١٣١٧هـ الطبعة الأولى وسأشير إليه : الفصل في الملل وهي الطبعة التي سأعتمد عليها .

(٤) الملل والنحل ج١ ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٥) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٦) البيروني : الآثار الباقية ص ٢٠٧ .

(٧) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٨ .

وسمى بذلك لأنه ولد على نهر يقال له ديصان وإليه أضيفت الديصانية[1] .

والديصانية من الديانات الثنوية ، فقد ادعى ابن ديصان « أن النور خالق الخير والظلمة خالقة الشر ... وأن النور حي حساس والظلمة موات»[2] إلا أن ابن ديصان لم يوضح كيف أن الظلمة الموات خلقت الشر.

وذهب ابن ديصان إلى ما ذهبت إليه المرقونية من وجود عالم ثالث فقال: « أن الكونين النوري والظلامي قديمان ومعهما شيء قديم ثالث لم يزل خلافهما وخارجا عن خارجيهما وهو الذي حمل الكونين على المشابكة والامتزاج ولولا ذلك المعدل بينهما لما كان في جوهرهما إلا التباين والتنافر»[3] وعلى هذا فإن الديصانية قالت بوجود ثلاثة عوالم ولم تحتج إلى وضع تفسير لكيفية وجود العالم الثالث واعتبرت مهمته الفصل بين عالم النور وعالم الظلمة فقط .

وقد وضع ابن ديصان عدة مؤلفات منها « كتاب النور والظلمة ، وكتاب روحانية الحق ، وكتاب المتحرك والجماد وله كتب كثيرة »[4] ، ولم نقف على أي من هذه الكتب ولعلها فقدت ، ولاشك أنها قد لعبت دورًا في تثبيت العقيدة الثنوية ، وابن ديصان أول من مهد لفكرة الحلول حيث أنه «زعم ... أن نور الله قد حل قلبه »[5] .

والمانوية: هي الديانة التي وضع أسسها «ماني» بن فتق بن بابك بن أبي

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ج١ ص ٢٠٠ طبعة باريس .

(٢) المسعودي : التنبيه والإشراف ص ٨٩ .

(٣) المقدسي : البدء والتاريخ ج ١ ص ١٤٢ - ١٤٣ ، باعتناء كلمان هوار باريس سنة ١٨٩٩ م . وسأعتمد هذه الطبعة. وهو لأبي زيد البلخي .

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٨ .

(٥) البيروني : الآثار الباقية ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

برزام » [١] وهو « فارسي أظهر دين المنانية وزعم أنه نبي » [٢] ، وكان ظهور ماني زمن الملك سابور بن أردشير الذي تولي الملك [٣] سنة ٢٤٢م .

ولقد تأثر ماني بالزرادشتية والمسيحية والديصانية فقد « أخذ من ابن ديصان مذهبه وخالفه في المعدل » [٤] ، ووضع دينًا بين المجوسية والنصرانية [٥] ، وادعى النبوة « وأنه الفارقليط [٦] وأنه خاتم النبيين » [٧] .

وركز ماني العقيدة الثنوية فأكد أن العالم مركب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزليان ... ولم يزالا قوتين حساستين سميعين بصيرين [٨] ، ولم يذهب ماني إلى ما ذهبت إليه المرقونية والديصانية من وجود عالم ثالث واكتفى بالقول « أن مبدأ العالم كونان أحدهما نور والآخر ظلمة كل واحد منهما منفصل عن الآخر ... وذلك الكون النير مجاور للكون المظلم لا حاجز بينهما » [٩] .

وثبت ماني في ديانته فكرة الحلول التي أخذها من الهند حين نفي لبها ، كما يقول البيروني [١٠] ، ومن المحتمل أنه أخذها من ابن ديصان الذي

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٤٧٠ .

(٢) ابن البطريق : نظم الجوهر ص ١١١ ، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ، سنة ١٩٠٥ - ١٩٠٩

(٣) انظر إيران في عهد الساسانيين ص ١٦٩ . Browne vol. I, p . 154

(٤) الملل والنحل ج١ ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٥) المصدر السابق ج١ ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٦) الفارقليط: هو النبي الذي بشر به عيسى - عليه السلام - انظر الفهرست : ص ٤٧٢ .

(٧) البيروني : الآثار الباقية ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٨) الشهرستاني : انظر الملل والنحل ج١ ص ١٨٨ ، ١٩٠ ، والفهرست ص ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

(٩) ابن النديم : الفهرست ص ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

(١٠) البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ص ٢٧ ، طبعة لا يبزك سنة ١٩٢٥ وسأشير إليه .

ادعى أن نور الله قد حل في قلبه كما ذكرنا ، وكذلك قال ماني بالتناسخ فزعم « أن النفوس لا تموت وأنها في الترديد منقلبة إلى شبه كل صورة هي لابسة ودابة قبلت فيها » (١) ، وفرق ماني بين تناسخ أرواح الصديقين وأرواح أهل الضلال ، ومن خلال هذه التفرقة نسف فكرة المعاد فقال: فأرواح الصديقين إذا فارقت أجسادها سرت في عمود الصبح إلى النور الذي فوق الفلك فبقيت في ذلك العالم على السرور الدائم ، وأرواح أهل الضلال إذا فارقت الأجساد وأرادت اللحوق بالنور الأعلى ردت منعكسة إلى الأسفل»(٢) .

ومن معتقدات المانوية « أنهم لا يرون الذبيحة ولا يأكلون اللحم ولا شيئًا من الحيوانات » (٣) ويحرمون من الماء الطهور ولا يقرون الغسل به (٤) ، كما وضع ماني عبادات منها الصلاة على أوقات تبدأ الصلاة الأولى منها عند الزوال والثانية بين الزوال وغروب الشمس ثم صلاة المغرب بعد غروب الشمس ثم صلاة العتمة بعد المغرب بثلاث ساعات ، وكذلك فرض مناي صيامًا أمده ستة وثلاثون يومًا (٥) .

لقد اضطهد الملوك الساسانيون المانوية اضطهادًا شديدًا ، فإنه لما أظهر ماني ديانته في أيام الملك سابور طلبه فلم يظفر به (٦) ، وعندما تولى هرمز ابن سابور الملك ألقى القبض على ماني وجمع عددًا كبيرًا من الناس وقال : هذا الرجل أعلن ضرورة قتل الناس لخلاص العالم ولهذا فمن الضروري

---

(١) البيروني : تحقيق ما للهند ص ٢٧ .

(٢) البغدادي : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ص ١٦٢ ، تحقيق الكوثري ونشر عزت العطار ، القاهرة ١٩٤٨ وسأشير إليه : الفرق بين الفرق ، وسأعتمد هذه الطبعة .

(٣) ابن البطريق : نظم الجوهر ص ١٤٦ .

(٤) انظر المصدر السابق ص ١٤٦ والطبري ج ١٠ ص ٤٣ الطبعة الحسينية .

(٥) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٠ .

(٦) الدينوري : الأخبار الطوال ص ٤٩ .

أن أبدأ بقتله من أجل خلاص العالم منه فقتله وعلق جسده على باب مدينة جند سابور التي تعرف إلى الآن ببوابة ماني [١].

وبرغم هذا الاضطهاد استمرت المانوية وتحولت إلى حركة سرية وبقيت كذلك في الفترة الإسلامية واستطاعت استقطاب عدد كبير من الفرس وكان لها أثر بعيد في تنشيط الحركة العلمية أبان القرن السابع الميلادي - القرن الأول الهجري حيث دونت آداب المانوية باللغة الإيرانية[٢]، ولم يقتصر نشاط المانوية على جهة واحدة بل شملت جهات مختلفة من البلاد الإيرانية حتى غدا لها تأثير بعيد في ازدهار الحضارة الإيرانية [٣].

والمزدكية وضع أسسها مزدك الذي ظهر في أيام الملك قباذ [٤] بن فيروز وذلك في أواخر القرن الخامس الميلادي [٥] وهي من العقائد الثنوية «كقول كثير من المانوية في الكونين والأصلين»[٦]، وتختلف المزدكية عن المانوية لأنها اعتبرت «النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق، والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى» [٧] وحرمت المزدكية كالمانوية أكل لحم الحيوان [٨].

ولقد أحدثت المزدكية انقلابًا عنيفًا في النظام الاجتماعي الإيراني وذلك لأنها قالت: «أن الله إنما جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بينهم

---

(١) انظر: الأخبار الطوال ص ٤٩ والآثار الباقية ص ٢٠٧-٢٠٨ و Browne, Vol. I p. 158

(٢) بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٤٨.

(٣) بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية ص ١٠٠.

(٤) الطبري: ج ٢ ص ٨٨. الطبعة الحسينية، والفهرست ص ٤٩٣.

(٥) كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين ص ٣٢٠.

(6) Browne, Vol I, pp. 166 – 171

(٧) الملل والنحل ج ١ ص ٨٦.

(٨) المصدر السابق ج١ ص ٨٦.

بالتآسي ... ودعت .. أنه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة فليس هو بأولى بها من غيره »[(١)] ، وأضاف ابن النديم[(٢)] أن مزدك دعا إلى « مشاركة في الحرم والأهل فلا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه » .

فقد أباح النساء لكل من شاء[(٣)] . والذي حدا مزدك إلى وضع هذه الآراء ما كان لاحظه من التباين بين الناس في الأموال والنساء والأمتعة[(٤)] ، فدعا إلى مساواة بدائية بأن « تكون النساء والأموال شركة بين الناس كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ »[(٥)] .

ولقد أخذ الملك قباذ بآراء مزدك وطبقها في السنوات العشر الأولى من ملكه[(٦)] ، ولا سيما ما يتعلق منها بالمشاركة في الأموال وكان يرمي من وراء ذلك إلى تحطيم نفوذ رجال الدين والنبلاء[(٧)] ، وقد أدرك هؤلاء خطورة هذه المبادئ فأعلنوا الثورة على قباذ وعزلوه عن العرش ونصبوا أخاه جاماسب مكانه[(٨)] ، وحبس قباذ ولكنه استطاع أن يفر من محبسه ويعود ثانية إلى الملك ، ولم يتنكر قباذ للمزدكية ولم يندفع في تطبيق مبادئها ويبدو أنه «تعهد أن يكون حذرًا وأكثر حيطة مع المزدكية »[(٩)] ولم يعدل قباذ عن المزدكية إلا بعد أن وقف على بطلان دعوة مزدك إثر مناقشة جرت بين

(١) الطبري : ج ٢ ص ٨٨ الطبعة الحسينية .
(٢) الفهرست ص ٤٩٣ .
(٣) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص ٧٣ .
(٤) إيران في عهد الساسانيين ص ٣٢٩ .
(٥) الملل والنحل ج١ ص ٨٦ .
(٦) الطبري : ج ٢ ص ٨٨ ، الطبعة الحسينية .
(٧) انظر إيران في عهد الساسانيين ص ٣٢١ ، وبروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية الترجمة العربية ج ١ ص ١٠٩ ، دار العلم للملايين ط ٣ بيروت سنة ١٩٦٠ .
(٨) إيران في عهد الساسانيين ص ٣٣٤ .
(٩) المصدر السابق ص ٣٣٤ .

مزدك والموبذ وفي ذلك يقول الفردوسي « فقال الموبذ لمزدك : أيها الرجل قد أتيت بدين جديد أبحت فيه النساء والأموال ويلزم في ذلك ألا يعرف الوالد ولده ولا الولد والده ... وإذ استووا فمن يتعين للرياسة ويترشح للسياسة ؟! وأخذوا في المناظرة والمباحثة حتى انقطع مزدك فرجع قباذ عن دينه »[١] وانتهت هذه المناظرة التي وقعت في سنة ٥٢٩ ميلادية بقتل عدد كبير من أنصار المزدكية على يد الجند فتحولت المزدكية « إلى جماعة سرية وعاشت على هذا النحو في أيام الدولة الساسانية ثم عادت إلى الظهور من جديد في العصور الإسلامية »[٢] .

لقد وجدت الطبقة العامة في المزدكية متنفسًا فانتشر أتباعها بين هذه الطبقة وبهذا الصدد يقول الطبري « فافترض السفلة ذلك واغتنموه وكاتفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم »[٣] وهذا يفسر الالتفاف الواسع للموالي حول الفرق الغالية التي قالت بالإباحية وفي هذا يقول فلهاوزن «أن شيوعية الزوجات التي كان قد دعا إليها مزدك أحيتها الخرمية والراوندية »[٤] فالخرمية التي ظهرت في دولة الإسلام هي لقب للمزدكية الذين أباحوا النساء والمحرمات ، وأحلوا كل محظور ، فسموا هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم إياهم في نهاية المذهب وأن خالفوهم في مقدماته[٥] .

كان لهذا كله أثره البعيد في إثارة الوعي في الشعب الإيراني الذي ظهر بمظهر التحدي ووقف من الإسلام والدولة العربية موقفًا يتسم

---

(١) الفردوسي : الشاهنامه ، الترجمة العربية ج٢ ص ١١٩ الطبعة الأولى مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة ١٣٥٠هـ ١٩٣٢م.

(٢) إيران في عهد الساسانيين ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

(٣) الطبري : ج٢ ص ٨٨ الطبعة الحسينية .

(٤) فلهاوزن : الدولة العربية وسقوطها ، الترجمة ص ٤٠٨ ، ترجمة يوسف العش . مطبعة الجامعة السورية، دمشق ١٩٥٦م .

(٥) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص ١٠٢ .

بالمعارضة، وهذا الوعي هو الذي أثار التحدي وأجج روح الشعوبية في الشعب الإيراني ، وكان للديانات الإيرانية الأثر الأكبر في إثارة هذا الوعي وذلك لأن هذه الديانات « أقوى مثل للذات الإيرانية المجوسية وأن الدعوة إليها تنطوي على وعي إيراني بين المجوس وعلى جهد لمكافحة الإسلام حملته العرب »[1] .



ثانيًا : الإسلام وأثره :

١- الإسلام والصراع مع الثنوية :

كان لظهور الإسلام أثر بعيد في حياة العرب والشعوب الأخرى المجاورة وبخاصة الشعب الإيراني ، فقد أدى هذا الظهور إلى حدوث تصادم حاد ومتصل بين مبدأ التوحيد الإسلامي والثنوية الإيرانية ، كما تسبب هذا الظهور في قيام الدولة العربية التي نشرت الإسلام وحررت البلاد العربية من النفوذ الأجنبي وأخضعت شعوبًا أخرى ، فخلفت منازعات بين العرب الموالي عملت على ظهور الشعوبية وتغذيتها وتوسيعها واستطاعت من خلال تلك المنازعات أن تلعب دورًا بعيد الأثر في حياة هؤلاء وأولئك .

أن مبدأ التوحيد الذي يعتبر الركن الأول من العقيدة الإسلامية هو كما يقول الإمام محمد عبده « علم يبحث فيه عن وجود الله وما يجب أن يثبت له من صفات وما يجوز أن يوصف به وما يجب أن ينفى عنه وعن الرسل لإثبات رسالتهم وما يجب أن يكونوا عليه وما يجوز أن ينسب إليهم وما يمتنع أن يلحق بهم »[2] .

---

(١) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص ٧٣ ـ ٧٤ ، منشورات دار الطليعة بيروت ١٩٦٢م .

(٢) محمد عبده : رسالة التوحيد ص ٤ ، الطبعة السابعة القاهرة ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م .

ولقد اعتبر القرآن الكريم الشرك أكبر الكبائر التي لا تغتفر فذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء :٤٨] ولقد نزل كثير من الآيات مؤكدة أهمية التوحيد ومعللة صحته حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] ويضيف جل شأنه: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون : ٩١]، ويعلل الله سبحانه ضرورة مبدأ الوحدانية بقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الإسراء : ٤٢، ٤٣]، ونظرًا لانتشار العقيدة الثنوية وخطورة نشاطها كانت الآيات تنزل مهددة ومحذرة أصحاب هذه العقيدة: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [النحل :٥١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر : ٣]، وإلى جانب آيات التحذير آيات للترغيب: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠] ويكرر الله سبحانه وتعالى تحذيره: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥].

وتطالب الآيات القرآنية أصحاب العقائد الثنوية وغيرهم إثبات قدرة آلهتهم: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [الأحقاف:٤] وكذلك يؤكد سبحانه وتعالى قدرته ووحدانيته: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام : ١٠٢].

هذه أمثلة من الآيات التي تكشف عن أهمية مبدأ التوحيد في الإسلام قد ذكرنا من قبل أن كل الديانات الإيرانية ثنوية لذلك نرى عقيدة التوحيد تصطدم بالعقيدة الثنوية اصطدامًا مباشرًا منذ بعث محمد ﷺ رسالته إلى

كسرى أبرويز يدعوه فيها إلى الإسلام وقد بقي هذا التصادم طوال عهد الدولة العربية وكانت الشعوبية من أهم نتائج التصادم .



القرآن واستغلال الشعوبية بعض آياته :

■ □ ■

القرآن الكريم دستور الحركة الإسلامية والمصدر الأول والأهم لها و«خاص وعام ومحكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ »[1] ولهذا اختلف المفسرون في تفسير آياته واستند إليه المتخاصمون في إثبات معتقداتهم والرد على خصومهم ، ولهذا نرى القرآن « يخاصم به المرجىء والقدري والزنديق»[2] ويرى نلينو « Nallino» « أن المسائل الكلامية في القرنين الأول والثاني للهجرة نشأت كلها تقريبًا عن اختلافات في تفسير الآيات فقرات وألفاظ وردت في القرآن »[3] .

وقد استغل الغلاة والزنادقة بعض آيات القرآن لدعم آرائهم وتثبيت معتقداتهم، ويبدو أن هؤلاء وأمثالهم كانوا قد ظهروا في حياة الرسول ﷺ أشار سبحانه وتعالى إليهم بقوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾ [آل عمران : ٧] .

---

(١) الكليني : أصول الكافي ج ٥ القسم الأول ١٢١ تحقيق عبد الحسين غافر ـ النجف ١٩٥٧م وسأعتمد هذه الطبعة .

(٢) المصدر السابق ج ٥ القسم الأول ص ٩ ـ ١٠ .

(٣) عبد الرحمن بدوي : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ص ٢٠١ ، مطبعة الاعتماد القاهرة سنة ١٩٤٠ .

ولما أراد المختار بن أبي عبيد الثقفي أن يبرر لأنصاره عدم تحقيق ما وعدهم به من نصر الله تعالى إياهم قال: « بالبداء » وادعى بأن الله قد وعده بالنصر فبدا له فعدل عن وعده ولم ينس المختار أن يدعم قوله هذا بآية من القرآن فادعى بأن الله قد وعده بالنصر إلا أنه قد عدل عن قراره وهذا جائز عند الله بدليل قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤١]، وأن في قوله تعالى: ﴿قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ﴾ [الأنعام: ٢].

ولما كانت العقائد الثنوية تقول بوجود الهين فإن أصحابها ظلوا يتلمسون آية يستغلونها في تفسير دعواهم وتبرير رأيهم فادعى أبو شاكر الديعاني أن في القرآن آية هي قولنا وهي: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، على أنه ليس ثمة علاقة بين عقيدة الثنوية وهذه الآية: « فإن الله ربنا في السماء إله وفي الأرض إله وفي البحار إله وفي القفار إله وفي كل مكان إله»[1] على حد تعبير الإمام الصادق (ع).

وتلمس الغلاة والزنادقة آيات من القرآن لتبرير قولهم بالحلول والتناسخ فادعوا أن في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ [السجد: ٩] وقوله جل شأنه: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء:٩١] وقوله عز وجل: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢] تأكيدًا لفكرة حلول والتناسخ وتبريرًا للقول بها وعلى هذا تكون روح آدم وروح عيسى جزءًا من روح الله[2] ومن ثم أحلوا روح الله في الأنبياء والأئمة.

(١) الكليني: أصول الكافي ج٢ ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٢) الكليني: أصول الكافي ج ٢ ص ١٨٥ الحاشية.

واستغل زنديق آخر قوله تعالى : ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨٤] فجاء إلى الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق فسأله « فله رضا وسخط ؟ فقال أبو عبد الله (ع) نعم ولكن ليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين وذلك أن الرضا حال تدخل عليه فتنقله من حال إلى حال ، فرضاه ثوابه وسخطه عقابه »[1] وفي سؤال الزنديق وجواب الإمام أبي عبد الله الصادق تبين لنا أن هذا الزنديق كان يريد أن يقول أن الغضب حالة ينتقل إليها الله سبحانه وتعالى من أجل تشبيه الخالق عز وجل بالإنسان .

والدهرية الذين جحدوا الصانع المدبر وزعموا أن العالم لم يزل موجودًا كذلك بنفسه لا بصانع[2] ، هم الذين قال فيهم القرآن الكريم مصورًا بدعتهم : ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية : ٢٤] أرادت هي الأخرى أن تجد آية تدعم بها بدعتها فادعت أن في قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ دعما لرأيها ، فقد حضر أحد هؤلاء الدهرية مجلس أبي الحسن الإمام علي ﷺ فسأل عن ماهية الله « فقال : رحمك الله أوجدني كيف هو وأين هو فقال أبو الحسن : ويلك هل الذي ذهبت إليه غلط هو أين الأين بلا أين وكيف الكيف بلا كيف ، فلا يعرف بالكيفوفية ولا بالاينونية ولا يدرك بحاسة ولا يقاس بشيء فقال الرجل الزنديق فإذا أنه لا شيء إذا لم يدرك بحاسة من الحواس » .

وقد فسرت المشبهة والمجسمة آيات من القرآن وفقًا لهواها وبدعها ففسروا قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه : ٥][3] وقوله عز

---

(١) الكليني : أصول الكافي ج ٣ القسم الأول ص ١٣٧ .

(٢) الغزالي : فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ص ١٧٣ ، ط ١ ـ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي وشركاه ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م ، تحقيق سليمان نيا وسأشير له : فيصل التفرقة . وسأعتمد هذه الطبعة .

(٣) الكليني : أصول الكافي ج٣ القسم الأول ص ٢١/ ٢٢ .

وجل : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف : ٥٤] وقوله : ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] وقوله : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[هود : ٧] بأن العرش كان الماء والرب فوقه وجسموا الله وعرشه تجسيمًا يؤدي إلى الوثنية وفسروا قوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف : ٥٥] بأن الله سبحانه يأسف كأسفنا ويجري عليه من التغيير ما يجري على الإنسان. وفسر المشبهة قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ بأن هناك آلة يسمع بها ويبصر فجاء أحدهم يسأل الإمام أبا عبد الله جعفر الصادق (ع) (أتقول أنه سميع بصير ؟ فقال أبو عبد الله : هو سميع بصير ، سميع بغير جارحة وبصير بغير آلة بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه وليس قولي أنه سميع بنفسه أنه شيء والنفس شيء آخر)[1] ومن سؤال هذا الزنديق نرى أنه كان يسأل عن آلة السمع والبصر عند الله وأراد أن يشير إلى التجسيم والحكم بالتشبيه.

والجبرية التي لم تجعل للإنسان أثرًا في تصرفاته قد اعتمدت على آيات من القرآن الكريم دعمت بها أقوالها منها قوله تعالى : ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس : ٧]، وقوله : ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام : ١٢٥] وقوله تعالى : ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة : ٧] وقوله عز وجل : ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الأعراف : ١٨٦] وقوله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص : ٥٦].

والشعوبية العنصرية ابتدأت دعوتها بالتستر بالإسلام ورددت الآية الكريمة :

---

(١) الكليني : أصول الكافي ج ٢ ق ١ ص ١٢٣ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣] وقد تظاهر الشعوبيون بالتمسك بهذه الآية فترات طويلة من حركتهم وتستروا خلفها وكانوا يرددون معها قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] في كل مناسبة يفتخر بها العرب بمحمد باعتباره من العرب ويدعمون احتجاجهم هذا بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] وبقوله جل شأنه: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾ [الأحزاب:٥].

من هذا يتبين لنا أن الشعوبية قد استغلت آيات القرآن استغلالاً موسعًا ووضعت آراءها ومعتقداتها على أساس تأويل تلك الآيات تأويلاً ...... وميولها السياسية ومعتقداتها الدينية وبذلك يمكن القول بأن الإسلام يلقى تحديًا وحقدًا لدى الشعوبيين كما آثار وعيهم وقدم مادة خصبة في النزاع بين الشعوبية والعروبة.



الإسلام وقيام الدولة العربية :

نزل القرآن الكريم على العرب وبلغتهم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:٢] وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل:١٠٣] وكان نزوله على العرب يعني بالبداهة اصطفاء الله سبحانه وتعالى العرب من بين شعوبه لحمل الرسالة فقال عز من قائل: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤].

واختيار العرب لحمل الرسالة لم يقع اعتباطًا إنما يرجع إلى أن العرب كانوا على استعداد لقبول الرسالة وحملها والدفاع عنها فقال الله تعالى فيهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقد توجه الله سبحانه إلى العرب ليوضح أهميتهم ومسؤوليتهم في حمل أعباء الرسالة فقال مخاطبًا إياهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] كذلك أكد القرآن الكريم مسؤولية العرب بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧] وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤] وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأحقاف: ١٢] ويبدو أن هذا الاختيار قد أحدث رد فعل لدى الشعوب غير العربية فأخذت تبث شكوكها وتكشف عن استيائها فجاء جوابه تعالى إلى هؤلاء قاطعًا: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ [طه: ١١٣].

وقد أدرك الرسول ﷺ أهمية العرب في حمل الرسالة، فقد روى الإمامان البخاري ومسلم عن ابن عمر أن النبي قال: « **ما زال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان، وقريش من العرب وإذا هذا الأمر وقفا على قريش فهو وقف على العرب** ».

وكانت الإمامة موضع اختلاف بين المسلمين إلا أن معظم الفرق الكلامية عدا فرقة الخوارج وبعض المعتزلة أكدت حصرها في العرب وفي كل منهم، وفي ذلك يقول الأشعري: « واختلفوا إذا اجتمع قرشي وأعجمي تساويا في الفضل أيهما أولى على مقالتين فقال ضرار بن عمرو:[١]

(١) ضرار بن عمرو كان تلميذًا لواصل بن العطاء انظر الفخر الرازي: شذرات المسلمين والمشركين. ص ٦٩.

يولي الأعجمي لأنه أقلهما عشيرة وقال سائر الناس: يولي القرشي فهو أولى»[1] ، وقال أبو حنيفة : « لا تصلح الإمامة إلا في قريش وذلك للخبر الذي جاء عن النبي ﷺ أنه قال : « **الأئمة من قريش** »[2] ويضيف السيوطي شروطًا على الإمامة في قريش فيقول : « الأئمة من قريش ما حكموا فعدلوا ووعدوا فوفوا واسترحموا فرحموا »[3] . ويفلسف ابن خلدون ويخص الرسول هذا بقوله : « والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم وعمل اللحمة في قريش فهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب إلى ما يراد منهم فلا يخشى من خلاف عليهم ولا فرقة ... فاشترط نسبهم القرشي في هذا المنصب ... إن أبلغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة»[4].

وقد أدرك محمد ﷺ أهمية العرب في حمل الرسالة فمنع استرقاق العربي وأعتق الأرقاء من العرب عند قيام الدولة الإسلامية وفي ذلك يقول ابن سلام :(فهذه أحكام الأساري المن والفداء والقتل وكانت هذه في العرب خاصة لأنه لا رق على رجالهم وبذلك مضت سنة رسول الله أنه لم يسترق أحدًا من ذكورهم وكذلك حكم عمر فيهم أيضًا)[5] .

وقد أدرك عمر بن الخطاب هذه الأهمية للعرب فكان يوصي: (ولا تجلدوا العرب فتذلوها ولا تحجروها فتفتنوها ولا تفضلوا عنها

---

(١) الأشعري : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ج ٢ ص ١٣٥ ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة الطبعة الأولى سنة ١٣٧٣ هـ وسأشير إليه : مقالات الإسلاميين ، وقد اعتمدت هذه الطبعة .

(٢) النوبختي : فرق الشيعة ص ٣٠ تعليق محمد صادق بحر العلوم . النجف ١٩٣٦ م .

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٩ ن تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة القاهرة سنة ١٩٥٩ م الطبعة الثانية ، وسأشير إلى تاريخ الخلفاء معتمدًا هذه الطبعة .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ ، مطبعة مطابع دار الطباعة اللبنانية ـ بيروت ١٩٥٦ .

(٥) ابن سلام : كتاب الأموال ص ١٣٣ ، تصحيح محمد حامد الفقي ، مطبعة عبد اللطيف حجازي . القاهرة ، سنة ١٣٥٣ هـ ، وسأشير إليه الأموال . وسأعتمد هذه الطبعة .

فتحرموها[1] ، وقد ذهب عمر رضي الله عنه إلى أبعد من ذلك فقال : «أوصه بالأعراب فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام »[2] .

ولأهمية العرب في الحركة الإسلامية لم يقبل الرسول الجزية منهم فإما الإسلام وإما القتل وقد أوضح أبو يوسف هذه المسألة بقوله : (أو لا ترى أن العرب من عبدة الأوثان حكمهم القتل أو الإسلام ولا تقبل منهم الجزية وهذا خلاف الحكم في غيرهم فكذلك أرض العرب)[3] ، وقال الإمام أبو حنيفة : « لا أخذها من العرب لئلا يجري عليهم صغار »[4] وأضاف الماوردي : «فأخذها أبو حنيفة من عبدة الأوثان إذا كانوا عجمًا ولم يأخذها منهم إذا كانوا عربا »[5] .

ولما كانت اللغة أهم مقومات الأمة نجد الاهتمام بها واضحًا ملموسًا فالرسول الأكرم يقول : «رحم الله امرءًا أصلح من لسانه »[6] وقد أوصى عمر بن الخطاب بتعلم العربية فقال : « تعلموا العربية فإنها تثبت العقل وتزيد المروءة »[7] وفي هذا المعنى قال الزهري : « ما أحدث الناس مروءة أحب إلي من تعلم النحو »[8] وكان الخطأ في اللغة يعتبر إثما يستوجب المغفرة فقد روي : « كان الحسن بن أبي الحسن يعثر لسانه بشيء في اللحن فيقول أستغفر الله »[9] ولم يقف الاهتمام باللغة العربية عند هذا الحد بل ذهبوا إلى أبعد من هذا حتى أنهم اعتبروها لغة الآخرة ورددوا قول الرسول ﷺ حين قال : « أحب العرب لثلاث: لأني عربي والقرآن عربي

---

(١) الطبري : ج١ ص ٢٧٤١ (طبعة دي غويه) .
(٢) أبو يوسف : الخراج ص ١٦ ، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٦هـ وسأعتمد هذه الطبعة .
(٣) السابق نفسه .
(٤) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ص ١٢٨ ، مطبعة البابي الحلبي ـ ١٣٥٧هـ وسأشير إليه : الأحكام السلطانية، وسأعتمد هذه الطبعة .
(٥) السابق نفسه .
(٦) ياقوت : معجم الأدباء ج١ ص ٦٧ مطبعة دار المأمون القاهرة ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م .
(٧) ياقوت : معجم الأدباء ج١ ص ٦٨ مطبعة دار المأمون .
(٨) المصدر السابق ج١ ص ٧٨ .
(٩) المصدر السابق ج ١ ص ٦٨ .

ولسان أهل الجنة عربي»[1] .

إن هذا التكامل بين العروبة والإسلام استمر في أيام الأمويين وأن تعريب الدواوين واعتبار العربية اللغة الرسمية في جميع المعاملات وسك النقود العربية ليدل على هذا التكامل[2] ، وقد تداخل الأمر بين العروبة والإسلام حتى أصبحت كلمة عربي تعني كلمة مسلم فقد اعتذر دهاقين من قلة الضرائب فكتبوا إلى الوالي أشرس يقولون له : « ممن تأخذ خراج وقد صار الناس كلهم عربًا »[3] أي أصبحوا مسلمين .

إلا أن هذا التداخل بين العروبة والإسلام قد اختل في أيام العباسيين حيث أننا نجد عددًا من هؤلاء الذين عرفوا بعدائهم للعرب كعلان الوراق وسهل بن هارون يتولون مناصب هامة ويشرفون على دار الحكمة في أيام هارون الرشيد والمأمون[4] .

إن هذا الترابط بين العروبة والإسلام الذي تؤيده بعض الآيات القرآنية وما أثر عن الرسول ﷺ قد أثار الثقة عند العرب وربما أثار الغرور عند بعضهم وكان لهذا الترابط أثره البعيد في إثارة الحسد والحقد في نفوس بعض الشعوب غير العربية وقد صور الجاحظ ذلك الحقد أبلغ تصوير في هذه العبارة (فإن عامة من ارتاب بالإسلام إنما جاءه ذلك من الشعوبية فإذا أبغض شيئًا أبغض أهله وأن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام إذ كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف[5] .

(١) الألوسي : بلوغ الإرب ج ١ ص ١٦٦ ـ الطبعة الأولى : مطبعة دار العلوم بغداد ١٣١٤ هـ وسأعتمد هذه الطبعة .

(٢) انظر الأحكام السلطانية ص ٢٢٣ . وتراث فارس الترجمة العربية ٩٢ ـ ٩٤ ، وهو مقالات مترجمة لأساتذة مستشرقين بإشراف أربري وترجمة محمد كفافي وجماعته . مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة سنة .... وسأعتمد هذه الطبعة .

(٣) الطبري :ج ٨ ص ١٩٦ الطبعة الحسينية .

(٤) انظر الفهرست ص ١٦٠ ، ١٨٠ .

(٥) الجاحظ : كتاب الحيوان ج٧ ص ٦٨ مطبعة السعادة ـ القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ ـ ١٩٠٧ م تحقيق محمد بدر الدين النعماني الحلبي .

الدولة العربية ، ونشر الإسلام :

□ ■ □

لقد تولى العرب حمل الرسالة ونشرها وقد استجاب محمد ﷺ لنداء ربه : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤] فاتصل بقومه وعمل على إيجاد نواة لحركته واستطاع أن يدخل فريقًا منهم في حضيرة الإسلام وأعدهم إعدادًا خاصًا ليكونوا بناة الحركة الإسلامية وقادتها .

بدأ محمد ﷺ دعوته في مكة واستطاع أن يعد طليعة واعية هاجر بها إلى المدينة ودخل مع قريش معركة انتهت بنصر الحديبية الذي كان بداية الانطلاق لحمل الرسالة ونشرها في الحجاز وفي خارجه .

كان العراق في هذه المرحلة خاضعًا للنفوذ الإيراني ، ومصر وبلاد الشام وشمالي أفريقيا خاضعة للنفوذ الروماني ، فقرر الرسول تحرير هذه البلاد ونشر الإسلام فيها واتبع في ذلك أسلوبًا مسالمًا في دعوة حكامها فأرسل إليهم كتبًا يدعوهم فيها إلى الإسلام جاء فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر والنجاشي أما بعد تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهد بأنا مسلمون » [(١)] ولما وصل كتاب الرسول إلى كسرى غضب ومزق الكتاب ولم ينظر فيه ولم يقف الرسول على هذه الرسالة بل أرسل رسائل أخرى وضح فيها العلاقة بين المسلمين وما يحققه الدخول في الإسلام من حقوق وما يترتب عليه من واجبات ، فكتب إلى كسرى وإلى إمبراطور الروم كتبًا جاء فيها (من محمد رسول الله .. إني أدعوك إلى الإسلام فإن أسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فإن لم تفعل فاعط الجزية) [(٢)] ولم يستجب الإمبراطور لهذه الدعوة كما لم يستجب كسرى إليها ولم يقف كسرى عند حد الرفض

(١) ابن سلام : الأموال ص ٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩ .

بل كتب إلى باذان على اليمن كتابا يقول فيه : « ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به »[(١)] وكان محمد مكلفًا بنشر الرسالة بالإقناع والحجة إذ كانت قاعدة الجهاد (أن يعرض المسلمون فكرة الدين على الناس عرضًا سليما فإن أجابوا دخلوا الإسلام وكان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فإن أبوا عرض المسلمون عليهم قبول الجزية فإن رضوا كانوا أهل ذمة ... فإن أبوا كان معنى هذا أنهم يفضلون إشهار السيف في وجه المسلمين)[(٢)] فعلى المسلمين قتالهم التزامًا بقوله تعالى : ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] فأوفد المسلمون الوفود المبشرة والجيوش فتقدمت هذه الجيوش وحررت الوطن العربي من النفوذ الأجنبي ..... على دولتي الفرس والروم ، فتحررت الشام ومصر وشمالي أفريقيا من حكم الرومان ، وتحرر العراق وبلاد اليمن من حكم الفرس ، وتقدمت الجيوش العربية تحمل رسالة الإسلام حتى وصلت إلى حدود الصين شرقًا وإلى آسيا الصغرى شمالاً وإلى أوروبا غربًا .

ولقد أحدث انتصار الدولة العربية هذا رد فعل لدى الشعوب المغلوبة وكان رد هذا الفعل يتناسب طرديًا مع وعي تلك الشعوب ولهذا نجد هذا التحدي لدى الشعب الإيراني قويًا لأن «إيران كانت في سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في نفسها بحيث كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد وكانوا يعدون سائر الناس عبيدًا لهم فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب ... تعاظم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى »[(٣)] ، ويؤيد « فان فلوتن» المقريزي فيما ذهب إليه فيقول : « لم تكن المسألة مسألة دين انتشر وبسط

(١) الطبري : ج٣ ص ٩٠ الطبعة الحسينية والمسعودي : التنبيه ص ٢٢٥ .

(٢) حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام في أفريقيا ص ٤٠ ط ٢ القاهرة ١٩٦٤ .

(٣) المقريزي : كتاب الخطط والآثار في مصر والقاهرة والنيل وما يتعلق بها من أخبار ج ٢ ص ٣٦١ طبعة بولاق ١٣٢٤ - ١٣٢٦هـ وسأشير إليه : الخطط وسأعتمد هذه الطبعة .

نفوذه فحسب على بلاد سوريا وجزء عظيم من مملكة فارس القديمة ، فقد كان هناك أمر آخر ذلك أن شعبًا ... قد استطاع بما له من قوة وبأس أن ينفذ إلى الولايات المسيحية وأن يوطد سلطانه بين أنصار دين زرادشت» [1] .

والموالي « هم المسلمون من غير العرب » [2] ، وقد ساوى الإسلام بينهم وبين المسلمين العرب في الحقوق والواجبات : ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وكانت سياسة الرسول ﷺ تقوم على مبدأ المساواة فكان يؤكد أنه : « لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى» ويستشهد دائمًا في معاملته بقوله تعالى : ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ [الأحزاب : ٥] وقد ثبت الرسول المساواة بين المسلمين في أسمى الدرجات كان يؤكد : « **كلكم لآدم وآدم من تراب**» .

وكذلك التزم أبو بكر ﷺ بمبدأ المساواة وقد تجلى ذلك في توزيع العطاء بالتساوي « وقد سوى بين الناس في القسم » [3] .

وكذلك سوى عمر بن الخطاب بين المسلمين في الحقوق والواجبات وكان التمايز في العطاء بينهم على قدر أهميتهم في الدفاع عن الإسلام وسبقهم في الدخول فيه فكان يقول : « لا أجعل من قاتل رسول الله ﷺ كمن قاتل معه » [4] .

ولما قسم عمر العطاء جعل حصة العربي المسلم وحصة مولاه واحدة فرض « لكل رجل منهم... في كل سنة حليفهم ومولاهم معهم سواء

---

(١) فان فلوتن : السيادة العربية الترجمة ص ١٥ .

(٢) فلهاوزن : الخوارج والشيعة ص ٢٢١ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣٧ ، تعليق رضوان محمد رضوان....... المصرية القاهرة ١٣٥٠ هـ ١٩٣١م وسأعتمد هذه الطبعة وهي الأولى .

(٤) المصدر السابق ص ٤٣٧ وأبو يوسف : الخراج ص ٥٠ المطبعة ......

بسواء »[1] .

وكان عدد الموالي في هذا الوقت محدودًا[2]، وقد اتبع عمر بن الخطاب هذه السياسة التي تقوم على العدالة والمساواة فإنه لما جاءت بنو عدي ومعهم عشيرته وقالوا له : «أنت خليفة رسول الله ﷺ وخليفة أبي بكر وأبو بكر خليفة رسول الله ﷺ فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم كتبوا »[3] غضب عمر وقال لهم : « بخ بخ بني عدي أردتم الأكل بين ظهري وأن أهب حسناتي لكم ... والله لئن جاءت الأعاجم بعمل وجئنا بعمل لهم أولى بمحمد منا يوم القيامة فإن من قصر به عمله لم يسرع له نسبه »[4] .

وقد عمل عمر بن الخطاب من أجل تثبيت المساواة واحترام المسلمين من غير العرب فقد «قدم صهيب الرومي على المهاجرين والأنصار فصلى بالناس »[5] وقال موضحًا رغبته في ترسيخ سالم وهو مولى للخلافة بقوله : «لو أدرك سالما مولى أبي حذيفة لما شككت فيه »[6] . وكان عمر رضي الله عنه يكتب إلى الولاة وأمراء الأجناد لتطبيق المساواة بين المسلمين فكتب مرة « من أعتقتم من الحمراء[7] فأسلموا فألحقوهم بمواليهم لهم مالهم وعليهم ما عليهم وأن أحبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلوهم أسوتهم في العطاء»[8] وقد وافق عمر رضي الله عنه على إدخال فريق من الموالي في الجيش كما وافق على شروطهم التي قالوا فيها : « أن نلحق بشرف العطاء ويعقد لنا

---

(١) فتوح البلدان : ص ٤٣٧ .

(٢) انظر السيادة العربية ص ٣٨-٣٩ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٣٦ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٣٦ .

(٥) الألوسي : بلوغ الأرب ج١ ص ١٧١ .

(٦) المصدر السابق ج١ ص ١٧١ .

(٧) الحمراء هم الموالي وغير العرب بوجه عام وكان العرب يسمونهم الموالي الحمراء، انظر دائرة المعارف الإسلامية المجلد العاشر ص ٤٤١ .

(٨) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٤٤ .

بذلك الأمر الذي بعثكم »[١] .

وكانت معاملة عثمان بن عفان ﷺ امتدادًا لمعاملة عمر واستمرت هذه المعاملة الطيبة بل زادت في خلافة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وقد أخذت مشكلة الموالي تظهر في عهد الدولة الأموية حيث تزايد عددهم واستقروا في المدن، وكان معظمهم لا يأخذون العطاء[٢] مع أنهم « كانوا يرون أن العطاء إنما هو حق لجميع المسلمين »[٣] ، وكانت حالة الموالي الاقتصادية والاجتماعية متباينة فهناك أصحاب المهن وهي على أنواع ودرجات وهناك الدهاقين « الذين أصبح العطاء وقفًا عليهم »[٤] وكتاب الدواوين ، حيث « ظلت الأعمال الكتابية بأيدي العمال المحليين وفي اللغتين الفارسية واليونانية ولم يبدأ استعمال اللغة العربية إلا في نهاية القرن الأول الهجري»[٥] وإلى جانب هؤلاء المحدثين والفقهاء والشعراء ، وكانت الدولة إليهم لا تتناسب وأهميتهم الثقافية والدينية والاقتصادية[٦] ، لكن نظرة الدولة الأموية إلى الموالي واحدة وعلى هذا لا يمكن قبول بعض المؤرخين التي ذهبت إلى القول بأن موقف الدولة كان قاسيًا للموالي وأنهم كانوا ينظرون إليهم نظرة احتقار »[٧] فإن إطلاق مثل هذه الأحكام العامة يحتاج إلى إعادة النظر ويعتبر بعيدًا عن الواقع .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٦٦ .

(٢) صالح أحمد العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص ٦٤ ـ ٦٥ ، مطبعة المعارف بغداد سنة ١٩٥٣ .

(٣) فان فلوتن : السيادة العربية ص ٣٨ ـ ٣٩ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٨ ـ ٣٩ .

(٥) بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٦٦ .

(٦) الدوري : مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ص ٧٧ الطبعة الأولى .

(7) Oleary, Arabic Thought and its place History , p . 89 . « New York 1936 .

وفي العصر العباسي الأول تحسنت حالة الموالي وأصبحت مساوية للعرب وقد تزيد أحيانًا [1] ، وأعلن الخلفاء العباسيون بأنهم جاءوا سنة الرسول وأن حكمهم ديني لا ملك دنيوي [2] .

أما ما يتعلق بالضرائب فإننا نستطيع أن نقرر حقيقة أولية هي أن الجزية والخراج قد فرضتا على غير المسلمين ، ولم تفرض على الموالي ، إلا أن أسيء استعمالها في فترات معينة محدودة .

قد نظم عمر بن الخطاب الضرائب ووقف على ما كان متبعًا من الأنظمة فجعلها أساسًا لتنظيماته، ففي العراق وإيران (لم يخالف عمر ... مع كسرى على جربان [3] الأرض .. والجماجم وألغى ما كان كسرى كان معايش الناس) [4] ولهذا اعتبر دانيت نظام الضرائب العربي (في جوهره هو نفسه ما كان من نظام الضرائب عند الفرس) [5] ويؤيد ليفي ... « levy» ذلك بقوله: (وقد والى عمر العمل بنظام كسرى أنو شروان بصفة عامة) [6] .

ولم تفرض الضرائب في منطقة خراسان بطريقة منظمة حيث لم يفرق بين ضريبة الخراج وضريبة الجزية بل كانت قد عقدت معاهدات صلح تدفع بموجبها كل مدينة القدر المتفق عليه إلى الدولة فأهل طبسين [7] مثلا صالحوا عمر بن الخطاب على ستين ألفا ويقال خمسة وسبعين ألفا [8] ،

---

(١) انظر الآثار الباقية ص ٢١٣ والجذور التاريخية للشعوبية ص ٣ .

(2) Hitti, History of the Arabs, p . 288 (London , 1937) .

(٣)جربان جمع جريب وهو مساحة من الأرض تبلغ ٣٦٠٠ ذراع حكام السلطانية ص ١٧٩ .

(٤) الطبري : ج٢ ص ١٢٣ الطبعة الحسينية .

(٥) دانيت : الجزية والإسلام الترجمة العربية ص ٤٦ .

(٦) تراث فارس : مقالة فارس والعرب ص ٩٥ .

(٧) طبسين مدينة من مدن خراسان ، انظر الأعلاق النفيسة ص ١٠٥ طبعة ليدن سنة ١٨٩١ .

(٨) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٩٤ .

واستمرت هذه الطريقة متبعة في منطقة خراسان إبان خلافة عثمان (الذي أقر صلح الطبسين)[1] وصالح مدينة نسا [2] على ثلاثمائة ألف درهم ويقال على احتمال الأرض من الخراج)[3] والطبري يذكر معاهدات الصلح هذه التي استمرت طوال أيام الراشدين والأمويين والعباسيين [4] ، وقد حاول نصر بن سيار والي الأمويين على خراسان معالجة مشكلة الضرائب فعمد إلى التفريق بين ضريبتي الجزية والخراج وجرد الدهاقين من كثير من امتيازاتهم [5] ، إلا أن إصلاحات نصر كانت مؤقتة حيث عادت مشكلة الضرائب إلى ما كانت عليه سابقًا [6] .

ومما زاد في مشكلة الضرائب في خراسان تعقيدًا أن الدهاقين قد تولوا أمر جمعها ، وكان المفروض أن المبالغ المتصالح عليها مع المدن تجمع من غير المسلمين ، إلا أن الدهاقين كانوا يجبونها من جميع السكان مسلمين وغير مسلمين ، من أجل جمع أكبر مقدار ممكن من المال ، وأداء المبلغ المتفق عليه بالزيادات المتجمعة[7] . ولقد ولدت هذه الإجراءات رد فعل عند الموالي في خراسان وكانت عاملاً لإثارة الاستياء والحقد على الحكم العربي الذي استغلته الشعوبية استغلالاً كبيرًا .

أما في العراق والشام فقد استمرت تنظيمات عمر بن الخطاب على ما عليه من قبل ولم يطرأ عليها تغيير إلا في خلافة عبد الملك بن مراون حيث وضع عامله الحجاج بن يوسف الثقفي (الخراج على العرب الذين اقتنوا

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩٤ .

(٢) نسا مدينة من مدن خراسان ، انظر الأعلاق النفيسة ص ١٠٥ ، طبعة ليدن .

(٣) فتوح البلدان ص ٣٩٤ .

(٤) انظر الطبري ج ٤ ص ١٥٠ ـ ١٥٢ الطبعة الحسينية .

(5) Wellhausen, Arabi Kingdom and its Fall, p . 283 (Calcutta University Press, 1927) .

(٦) انظر الخراج لأبي يوسف ص ٣٣ ـ ٥٠ .

(٧) انظر الجزية والإسلام الترجمة ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

أراضي خراجية وفرض الجزية والخراج على الأعاجم الذين أسلموا [١] ، وطلب الحجاج من جميع الذين نزحوا من قراهم العودة إليها فعادوا إلى البصرة وغيرها أن من كان له أصل في قرية فليخرج إليها) [٢] ، لقد أثارت هذه الإجراءات رد فعل عند العرب والموالي الذين مستهم ونادوا بأنها إجراءات تنافي الإسلام [٣] .

قد عالج عمر بن عبد العزيز هذه الناحية معالجة سليمة فقرر (أن الخراج إيجار للأرض وقال بأن الأرض الخراج كانت أولاً ملكًا مشتركًا بين المسلمين وأنها تركت بيد المغلوبين يزرعونها لقاء إيجار يدفعونه للأمة وهو الخراج) [٤] وألغى عمر الثاني (الجزية عمن أسلم من أهل الذمة) [٥]

وإذا نظرنا إلى الضرائب فإننا نرى أنها لم تكن منظمة تنظيمًا دقيقًا فإن عمر بن الخطاب لم يضع نظامًا ثابتًا لها [٦] فالخراج فرض على غير المسلمين فترة ثم أصبح إيجارًا للأرض يدفعه المسلم وغير المسلم، والجزية فرضت على غير المسلمين إلا أن الحجاج فرضها فترة على الموالي ، وفي خراسان لم تكن سوى ضريبة واحدة تدفع نقدًا [٧] فأعطت هذه الوضعية مجالاً لإثارة التذمر والحقد على الدولة العربية ، وإذا ذكرنا أن الضرائب في أيام آل ساسان كانت رمزًا للهوان والذلة وأنها كانت ترفع عن الطبقات العليا من (أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة [٨] والكتاب ومن كان في خدمة

---

(١) الدوري : النظم الإسلامية ص ١٤٦ الطبعة الأولى بغداد ١٩٥٠ م .

(٢)الطبري : ج٢ ص ٣٥ الطبعة الحسينية .

(٣) الدوري : النظم الإسلامية ص ١٤٦ .

(٤) المصدر السابق ص ١٤٧ .

(٥) المقريزي : الخطط ج٢ ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧ طبعة بولاق .

(٦) فان فلوتن : السيادة العربية الترجمة ص ٢٧ .

(٧) فان فلوتن : السيادة العربية الترجمة ص ٤٩ .

(٨) الطبري : ج٢ ص ١٥٠٧ (طبعة ليدن) سنة ١٨٧٩ ـ ١٨٨١م .

الملك)[1] ، وأنها كانت تفرض على طبقة العامة فهي لهذا (سمة للذل وعنوان للوضاعة الاجتماعية)[2] . إذا ذكرنا هذا كله أدركنا ما كانت تولده الضرائب غير المحدودة في خراسان من استياء وكيف أن الشعوبيين وجدوا في إجراءات الحجاج مادة لإثارة الحقد وإذكاء روح التحدي عند الموالي في وجه النفوذ العربي .

إن نظرة إلى ما ذكرنا لترينا أن هناك عوامل عدة قد تفاعلت مع بعضها البعض في إثارة الحركة الشعوبية ، ولما كانت الشعوبية تمثل التحدي في أجلى مظاهره فإننا نستطيع أن نميز بين نوعين من عوامل هذا التحدي ، نوع يثير وعيًا وثقة وآخر يثير حقدًا وكراهية وعلى هذا فالشعوبية هي مجموعة لهذه المواقف التي تقوم على العداء والتحدي والتي كان يثيرها الوعي حينا فتراها منظمة تسلك سبيلاً مدروسًا فهي على حد تعبير أحد الشعوبيين رفض في الظاهر ما بيننا من العداوة ونظهر موافقتهم ومساعدتهم وندخل دين محمد ونؤمن به ثم نفسد عليهم دينهم بلطيف الحيل وندرك منهم ما لم يمكن إدراكه بالقهر والغلبة)[3] ، ومواقف يثيرها الحقد والكراهية هي مواقف منفعلة متعصبة غير منظمة تكيل التهم جزافًا (وتدفع العرب عن كل فضيلة وتلحق بهم كل رذيلة وتغلو في القول وتسرف في الذم وتبهت الكفر وتكابر العيان)[4] .

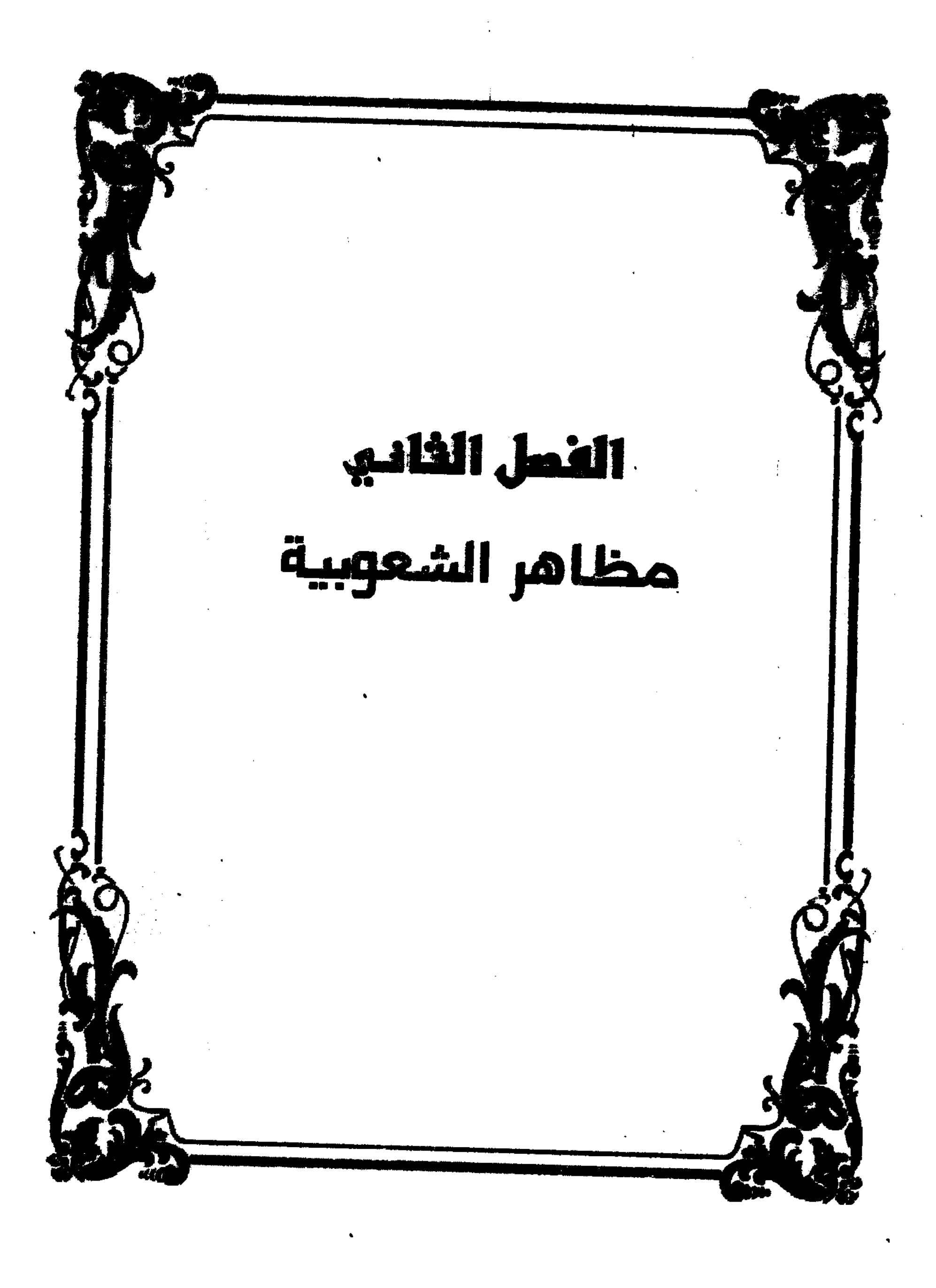
***

(١) المرابذة جمع هريذ والهريذ رئيس سدنة بيت النار عند المجوس وقد يكون من حكامهم ، انظر البيان والتبيين ج٣ ص١٠ الحاشية تحقيق السندوبي .

(٢) دانيت : الجزية والإسلام ص ٤٦ ـ ٤٧ .

(٣) العراقي : الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة ص ١٠٠ ، بشار قوتلواي ، أنقرة ، طبعة ١٩٦١م وسأشير إليه: الفرق المفترقة معتمد هذه الطبعة .

(٤) كرد علي : رسائل البلغاء ، كتاب العرب ص ٣٤٤ الطبعة الرابعة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م . وسأشير رسائل البلغاء وسأعتمد هذه الطبعة .



الفصل الثاني

مظاهر الشعوبية

الفصل الثاني
مظاهر الشعوبية

□ ■ □ ■

ظهرت الشعوبية كحركة معادية للعروبة والإسلام بمظاهر متعددة ومن ملاحظة تلك المظاهر يمكن حصرها في مجموعتين ، مظاهر معادية للإسلام كعقيدة ونظام وهي التي سنطلق عليها ـ الشعوبية الدينية ، ومظاهر تناولت العرب بالعداء والطعن ، وتناولتهم بالطعن وشوهت حضارتهم وأشادت بحضارة وهم وهذه سنطلق عليها ـ الشعوبية العنصرية .

أولاً : الشعوبية الدينية :

وقد تمثلت هذه حركتين أساسيتين هما الغلو والزندقة وتظاهرت بالإسلام ستارًا لنشاطها .

أ ـ والغلو تجاوز الحد في الدين والغلاة (هم الذين غلوا في حق آلهتهم حتى أخرجوهم عن حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام الآلهة)[1] .

بداية الغلو مرتبطة بابن سبأ فهو (أول من كفر : وقال علي رب العالمين)[2] ، وقد ظهر الغلو في حياة الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ فقد عثر الإمام (على قوم استحوذ الشيطان عليهم إلى أن كفروا بربهم ... فاتخذوه وادعوه إلها وقالوا له أنت خالقنا ورازقنا)[3] ويعتبر البغدادي السبئية

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص ١٠ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٦٧ ، الطبعة الأولى تحقيق محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، المطبعة الإسلامية القاهرة سنة ١٣٥٣هـ سنة ١٩٣٤م فأشير إليه : المعارف وسأعتمد هذه الطبعة .

(٣) كتاب نهج البلاغة : المجلد الثاني ص ٣٠٨ ، مطبعة دار الكتب العربية .

كفرقة هي التي ابتدأت الغلو فقال: (والسبئية أظهروا بدعتهم في زمان علي ﷺ فقال بعضهم أنت الإله)[1] دون أن يعين شخصًا مسؤولاً عن هذا الغلو ، وسواء أكان عبد الله بن سبأ هو الذي ابتدأ القول بالغلو أم أنصاره من السبئية فإن ابتداء الغلو مرتبط بعبد الله بن سبأ لذلك نرى من المفيد أن نقف على حياته وعلى آرائه لنقف على جذور الغلو ومدى تأثر ابن سبأ بآراء ومعتقدات البلاد التي تجول فيها ومن أجل الوقوف على أثر السبئية في الفرق الغالية الأخرى .

فعبد الله بن سبأ يهودي يماني عاش في اليمن يوم كانت تحت النفوذ الفارسي ، فقد سيطر الفرس عليها يوم استعان سيف بن ذي يزن بكسرى أنو شروان واستمرت هذه السيطرة حتى ظهور الإسلام[2] ، ولا يبعد أن يكون ابن سبأ قد وقف على آراء في الحلول والتناسخ من هؤلاء الفرس ولا سيما إذا ذكرنا أن هؤلاء كانوا من السجناء الذين اتهموا بجرائم مختلفة كان منها اعتناقهم المانوية والمزدكية[3] . وإلى اعتقاد ابن سبأ اليهودية وتأثره بالمعتقدات الثنوية نرى أنه بعد إسلامه لم يستقر في مكان واحد ، فقد (تنقل في الحجاز ثم في البصرة ثم بالكوفة ثم بالشام ... فأخرجه أهل الشام فأتى مصر)[4] ، ولما كانت هذه البلاد قد انتشرت فيها اليهودية والمسيحية والصابئة والزرادشتية والمانوية فمن المحتمل أن ابن سبأ قد وقف على معتقدات هذه الديانات التي كان لها تأثير في آرائه ، وإذا ذكرنا أن ابن سبأ كان يقول: (وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى ـ عليه السلام ـ بهذه المقالة)[5] مقالة الغلو يتبين لنا أن الغلو عند ابن سبأ يتصل بجذور

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٨ .

(٢) انظر ابن هشام سيرة النبي ج١ ص ٦٥ ، مطبعة حجازي القاهرة سنة ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد .

(٣) الطبري : ج٢ ص ١١٥ ـ ١١٦ . الطبعة الحسينية .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج٣ ص ٥٩ ، مطبعة التحرير القاهرة ١٣٠٣هـ .

(٥) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٤ طبعة النجف ١٩٣٦م .

يهودية وأخرى ثنوية .

ويؤكد الأستاذ جولد تسيهر أثر اليهودية في حركة الغلو فيقول: (أن دور غلو الغلاة في الأئمة يجب أن لا يبحث عنها في الميدان الفارسي فحسب الهجاداه [١] تقول في إحدى الروايات التي ترويها أن صورة الإنسان موجود بالجزء الأعلى من العرش السماوي هي صورة يعقوب التي صعدت إلى عرش الله) [٢] .

ويظهر أثر المسيحية واضحًا في آراء بعض الفرق الغالية حيث قال: ومن الأمور الغالية أن الله أقدر علي بن أبي طالب ﷺ على فعل الأجسام، وخص إليه الأمور والتدبيرات وقال قوم منهم: أن الله سبحانه قد أقدر نبيه عليه السلام على فعل الأجسام واختراع الأنام وهذا كقول من قال من النصارى أن الله خص عيسى عليه السلام بلطيفة يخترع بها الأجرام وينشيء بها الأجسام)[٣] . ويوضح الديلمي علاقة المسيحية بآراء الغلاة بقوله في الجملة مذهبهم في علي يقرب إلى مذهب النصارى في عيسى في اتحاده فقالوا أن الإله اتحد بعلي) [٤] .

والفكرة الغالية القائلة بأنه لا خلاف بين الأنبياء إلا في المظهر الخارجي في الحقيقة فإنه رسول واحد بعث إلى العالمين في أزمنة مختلفة وفي مظاهر متباينة هذه الفكرة ترجع إلى الغنوصية المسيحية التي عبرت عنها المنسوبة إلى القديس كليمانس فقال: في الموعظة (١٨) الفقرة (٢١٣) ثمة

---

(١) الهجاداه من الفعل هجيد أي شرح وهي تشمل قصصًا تكمل وتوضح الكتاب المقدس ، انظر التراث اليوناني الحاشية ص٢٢٧.

(٢) بدوي : التراث اليوناني ، مقالة العناصر الأفلاطونية والغنوصية في حديث للأستاذ جولد تسيهر ص ٢٢٧ .

(٣) الأشعري : مقالات الإسلاميين ج١ ص ١١٤ .

(٤) محمد بن الحسن الديلمي : من كتاب قواعد عقائد آل محمد ص ٣٠٢ تحقيق وتصحيح ر . شترطهان مطبعة اسطنبول سنة ١٩٣٨ .

غير نبي صادق واحد هو إنسان خلقه الله وزوده بروح القدس خلال عصور العالم منذ البدء بأسماء وصور متغيرة حتى يشمله الله فيبلغ الراحة الأبدية بعد انقضاء الأعصر التي حددت له كي يؤدي الرسالة التي أخذ على عاتقه أداءها) [١] . كما كان للأفلاطونية أثرها في الإسماعيلية [٢] .

وكان للمعتقدات الهندية القديمة أثر في آراء الغلاة ففكرة التناسخ التي هي (علم النحلة الهندية) [٣] قد نقلها ماني إلى عقيدته عندما (نفي ... فدخل أرض الهند ونقل التناسخ منها إلى نحلته) [٤] . وكان للمزدكية أثر في آراء بعض الفرق الغالية ففرقة الحلمانية [٥] قالت: (أن من عرف الإله على الوصف الذي يعتقده هو زال عنه الحظر والتحريم واستباح كل ما يستلذه ويشتهيه) [٦] يشبه قول المزدكية الذين (استباحوا المحرمات وزعموا أن الناس شركاء في الأموال والنساء) [٧] ، ومن هذا يتبين لنا أن الفرق الغالية قد تأثرت بمعتقدات البلاد التي ظهرت فيها وفي ذلك يقول الشهرستاني:(وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب

---

(١) بدوي : التراث اليوناني ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٠ .

(٣) البيروني : الفلسفة الهندية ص ٥٢ مراجعة وتقديم عبد الحليم محمود وعثمان عبد المنعم يوسف، مطبعة أحمد علي مخيمر بلا تاريخ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٧ .

(٥)الحلمانية : من الفرق الغالية وضع مبادئها (أبو حلمان الدمشقي وأصله من فارس أظهر بدعته بدمشق) (الفرق بين الفرق ص ١٥٦) ، وادعى أبو حلمان (حلول الإله في الأشخاص الحسنة وكان مع أصحابه إذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها) . « الفرق بين الفرق ص ١٥٦ » وأباح المحرمات وفلسف ذلك بقوله أن من عرف الإله على الوصف الذي يعتقده زال عنه الحظر .. (الفرق بين الفرق ص ١٥٦) .

(٦) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٥٦ .

(٧) الرسيعني : مختصر كتاب الفرق بين الفرق ص ١٢٦ ، حرره فليب حتى ، مطبعة الهلال القاهرة سنة ١٩٢٤ ، وسأشير إليه : مختصر الفرق وسأعتمد هذه الطبعة .

التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى)[1] .

ولم تنس بعض الفرق الغالية أن تستغل آيات من القرآن وتفسرها وفقًا هواها لدعم آرائها وغلوها فالبيانية[2] فسرت قوله تعالى : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٧] أن الله يفنى جميعه إلا وجهه[3] ، وفسرت قوله تعالى : ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١٣٨] أن المقصود بهذه الآية هو بيان بن سمعان صاحب البيانية[4] .

وزعمت فرقة المنصورية[5] أن المقصود بقوله تعالى : ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور : ٤٤] هو أبو منصور العجلي زعيم المنصورية .

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص ١٠ .

(٢) البيانية : فرقة غالية وهم اتباع بيان بن سمعان (الفرق بين الفرق ص ١٤٥) الذي ادعى الإمامة على أساس التعيين والوصية فقال أن الإمامة صارت في محمد بن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد ثم صارت من أبي هاشم إلى بيان بن سمعان بوصيته إليه) (الفرق بين الفرق ص ١٤٥) وادعى بيان النبوة والإلوهية (الفرق بين الفرق ص ١٤٥) ونسب بيان إلى الإمام علي ﷺ الربوبية على أساس الحلول (الملل والنحل ج١ ص ٢٠٣) وادعى أنه المقصود بقوله تعالى هذا بيان للناس (ابن الأثير الكامل ج٥ ص ١٥٥) وقد قتله خالد بن عبد الله القسري حرقًا مع المغيرة بن سعيد (الطبري ج ٨ص ٢٤١ الطبعة الحسينية) .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج٥ ص ٧٧ طبعة ليد ن.

(٤) النوبختي : فرق الشيعة ص ٦٧ .

(٥) المنصورية : من الفرق الغالية تنسب إلى أبي منصور العجلي (المعارف ص٢٦٧) وكان أبو منصور أميا (الفرق بين الفرق ص ١٥٢ والملل والنحل ج٢ ص ١٤) وادعى الإمامة وأن أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ فوض إليه أمره وجعله وصيه (فرق الشيعة ص ٦٠) وقال أبو منصور بالتأويل ، وزعم أن الله بعث محمدًا بالتنزيل وبعثه بالتأويل (فرق الشيعة ص٦٠) ، وزعم أن جبريل يأتيه بالوحي من عند الله (فرق الشيعة ص ٦٠) ، وأنكر الجنة والنار وأولهما على أن (الجنة نعيم الدنيا والنار محن الناس في الدنيا) (مختصر الفرق ص ١٥٢) وادعى أبو منصور على أساس التأويل أن الجنة رجل أمرنا بموالاته وهو إمام الوقت وأن النار رجل أمرنا بمعاداته وهو خصم الإمام (الملل والنحل ج٢ ص ١٤) وكانت حركة المنصورية هذه خطرة مما دفعت والي العراق يوسف بن عمر أن يلقي القبض على زعيمها أبي منصور ويصلبه (الملل والنحل ج٢ ص ١٤) وذلك في خلافة هشام بن عبد الملك .

واعتمدت فرقة الكيسانية [١] في القول بالبداء على تأويل قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد : ٢٩].

ولما كانت مسألة الإمامة من المسائل الهامة في الإسلام فقد استغلت من قبل الغلاة استغلالاً واسعًا لوضع آراء غالية فادعت فرقة الهاشمية [٢] (أن الإمام عالم يعلم كل شيء وهو بمنزلة النبي في جميع أموره ومن لم يعرفه لم يعرف الله وليس بمؤمن بل هو كافر مشرك) [٣].

واستغلت فرقة الأبو مسلمية [٤] موضوع الإمامة وغالت فيه فقالت:

---

(١) الكيسانية : من الفرق الغالية تنسب إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي لأنه (كان يقال له كيسان) فرق الشيعة ص ٤٥ ويرى الأشعري أن كيسان هو مولى الإمام علي بن أبي طالب (مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٨١) وانقسمت الكيسانية إلى عدة فرق يميزها شيئان (قولهم بإمامة ابن الحنفية والثاني قولهم بجواز البداء على الله (الفرق بين الفرق ص ٣١و٣٢) كما وضع مبدأ البداء ليبرر لنفسه التحدث باسم الله (التبصير في الدين ص ٣٧) ويبرر مواقفه السياسية إذ كان (خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيًا وكيسانيًا) (الملل والنحل ج١ ص ١٩٧ والخوارج والشيعة الترجمة ص ٢٣٥) .

(٢)الهاشمية : نسبة إلى ابن هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية (فرق الشيعة ص ٧٢) ولم تذكر المصادر زعيمًا آخر لهذه الفرقة ، وقد غالت بحق الإمام فادعت أن الإمام عالم بكل شيء وهو الله (فرق الشيعة ص ٧٢) وهذه الفرقة نقلت الإمامة من أبي هاشم إلى ولد العباس (فرق الشيعة ص ٧٢) وقالت الهاشمية بالتأويل فساعدت على (تسرب الكثير من العقائد غير الإسلامية إلى الغلاة تلك العقائد التي انتقلت إليها عن المجوسية والمانوية والبوذية وغيرها من الديانات التي كانت سائدة في آسيا قبل الإسلام) (فان فلوتن : السيادة العربية الترجمة ص ٨٢ ـ ٨٣) .

(٣) النوبختي : فرق الشيعة طبعة النجف ص ٧٢ .

(٤)الأبو مسلمية : أصحاب أبي مسلم الخراساني (فرق الشيعة ص ٦٧) ادعت أن أبا مسلم نبي (النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ص ٢٥) وقالت بالحلول واستغلته لإضافة صفة الألوهية إلى أبي مسلم الذي (صار إلهًا بحلول روح الله فيه) (الفرق بين الفرق ص ١٥٥) كما قالت بالتأويل فأباحت المحرمات وترك الفرائض وجعلت الإيمان المعرفة لإمامهم فقط (فرق الشيعة) .

إن أبا مسلم نبي [١]، وزادت على هذا فادعت أنه حي لم يمت [٢].

من هذا العرض يتبين لنا أن بداية الغلو قد ظهرت على يد عبد الله بن سبأ في حياة الإمام علي ﷺ، ولما كان ابن سبأ يهوديًا ثم أسلم، وكان على اتصال بالمعتقدات الثنوية فإن الغلو يتصل بجذور يهودية وثنوية وزرادشتية ومانوية ومزدكية) كما كان للمسيحية أثرها في آراء الغلاة إلى آراء النحلة الهندية. ولما كان ظهور الغلو بعد ظهور الإسلام فإن الفرق الغالية استغلت آيات من القرآن لوضع آرائها كما استغلت الاختلاف في الإمامة لوضع آراء غالية من أجل الطعن في الإسلام.

الغلو:

لقد ظهرت الفرق الغالية تحمل آراء غريبة ومن أجل التستر عليها اتخذت من الإسلام شعارًا وستارًا ومن آل البيت محورًا لبدعها فوضعت مبادئ مناهضة للإسلام أخطرها الحلول أو لتناسخ والبداء والتأويل، استطاعت من خلال هذه المبادئ توجيه ضربات قوية إلى الدين الإسلامي بمعتقدات غريبة عملت على هدمه من الداخل وخنقه من الخارج.

الحلول والتناسخ:

الحلول والتناسخ من الأفكار المتشابهة وفيه يقول أبو العلاء المعري الحلولية قريبة من مذهب التناسخ) [٣] وهناك من يستعمل التناسخ الحلول والعكس فالبغدادي يقول: (وأما أهل التناسخ في دولة الإسلام من الحلولية كلها قالت بتناسخ روح الإله في الأئمة بزعمهم) [٤] وكذلك يستعمل الشهرستاني لفظة التناسخ بمعنى الحلول فيقول: « وقال روح

(١) الفاطمي ذو النسبين: النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس تحقيق عباس العزاوي مطبعة المعارف بغداد سنة ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م.

(٢) النوبختي: فرق الشيعة ص ٦٧ طبعة النجف.

(٣) أبو العلاء: رسالة الغفران ٤٤٩ تحقيق وشرح الدكتورة بنت الشاطئ الطبعة الثانية.

(٤) الفرق بين الفرق ص ١٦٢.

الإله تناسخت حتى وصلت إليه وحلت فيه وادعى الألوهية »[1].

وإذا تتبعنا الحالات التي استعمل فيها لفظا الحلول والتناسخ فإننا نرى أن الحلول استعمل في الأغلب بخصوص انتقال روح الإله في الأشخاص والتناسخ خاص بانتقال الأرواح عامة من شخص إلى آخر أو من شخص إلى حيوان أو من حيوان إلى إنسان.

وفكرة الحلول من الأفكار القديمة وهي تعني حلول الله روحه أو نوره في الأشخاص وقديمًا قال ابن ديصان: (أن نور الله قد حل قلبه) وقال ماني بالحلول وثبته في عقيدته، وقد ظهرت فكرة الحلول في الإسلام وقصد بها (حلول الله في أشخاص الأئمة)[2]، وكان عبد الله بن سبأ أول من قال بالحلول لإضفاء صفة الألوهية على الإمام علي وعلى الأئمة من بعده فقال (أن الجزء الإلهي يحل في الأئمة)[3].

وقد رفض المستشرقان فريد لندر وكايتاني ما نسب إلى ابن سبأ من أنه أول من قال بالغلو وادعى ألوهية الإمام علي والأئمة من بعده، وردد ذلك برنارد لويس وفلهاوزن وكانت حجة كايتاني هي (أن مؤامرة مثل هذه بهذا التفكير وهذا التنظيم لا يمكن أن يتصورها العالم العربي عام ٣٥ هجرية بنظامه القبلي القائم على سلطان الأبوة وأنها تعكس أحوال العصر العباسي الأول بجلاء)[4] ونظرة إلى ما ذكره كايتاني ترينا أنه قد افترض أن المجتمع العربي كان في عام ٣٥هـ مجتمعًا قبليًا وأن هذا المجتمع لا يتحمل آراء ابن سبأ الغالية دون أن يقدم دليلاً على صحة ما ذهب إليه من أن المجتمع العربي كان مجتمعًا قبليًا، وإذا ذكرنا أن الحلول من الأفكار القديمة أنه كان عند الهنود وقالت به المانوية وادعاه فرعون موسى وتردد في المسيحية فليس

(١) الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣.
(٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٣٨.
(٣) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٦٧.
(٤) انظر : . THE Origins of Ismailism, p . 25

غريبًا ظهوره في الفترة موضوعة البحث لا سيما وهناك آيات من القرآن يمكن أن تؤول على معنى الحلول منها قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجر: ٢٩].

ويذهب الأشعري إلى القول بأن الغلاة قد أحلوا روح الإله في النبي وفي آل البيت من بعده فقد قالت الغالية: (أن روح القدس هو الله عز وجل كانت في النبي ﷺ ثم في علي ثم في الحسن ثم في الحسين ثم في علي ابن الحسين ثم في محمد بن علي ... وهؤلاء آلهة) [١].

وذهبت الخطابية [٢] إلى أن: (النور الذي هو الله كان في عبد المطلب ثم صار في أبي طالب ثم صار في محمد ثم صار في علي بن أبي طالب ﷺ فهم آلهة كلهم) [٣].

ويرى ابن خلدون أن القول بالحلول كان على مذهبين فيقول (والإيمان القول بألوهية هؤلاء الأئمة إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية أو أن الإله حل في ذاته البشرية) [٤] إلا أن ابن خلدون لم يذكر أمثلة توضح ما ذهب إليه.

---

(١) مقالات الإسلاميين ج١ ص ٨١.

(٢) الخطابية: من الفرق الغالية وتنتسب إلى أبي الخطاب (المعارف، ٢٦١) وهو محمد بن أبي الخطاب (الفرق بين الفرق ص١٣٨) وادعى أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة (الملل والنحل ج ٢ ص ١١) ولما أعلن أبو الخطاب غلوه هذا تبرأ منه الإمام الصادق (ع) ولعنه ونفاه (الملل والنحل ج٢، ١٦ ومختصر الفرق ص١٥٥) وتوجه أبو الخطاب إلى المجتمع وعمل به فأباح شهادة الزور على من خالفه (مختصر الفرق ص ١٥٥) ولما لم يجد من آل البيت حماية وتأييدًا ادعى من نفسه أنه الإله (مختصر الفرق) كما قال بالبداء على الله (ابن الأثير الكامل ج٨ ص ٢١) وقد توسعت الفرقة واشتد خطرها فبعث أبو جعفر المنصور عيسى بن موسى في جيش فقتل أبا الخطاب في كناسة الكوفة وقضى على هذه الفتنة (مختصر الفرق ص ١٥٥)..

(٣) النوبختي: فرق الشيعة ص ٤٦ طبعة النجف سنة ١٩٣٦م.

(٤) ابن خلدون: المقدمة ص ٤٦ طبعة النجف سنة ١٩٣٦م. ابن خلدون: المقدمة ص١٩٨. دار الطباعة العربية بيروت ١٩٥٦م.

لقد وضع الغلاة مبدأ الحلول لضرب الإسلام في أهم ركن من أركانه ألا وهو التوحيد وفي ذلك يقول النوبختي (وكلهم متفقون على نفي الربوبية على الجليل الخالق ... وإثباتها في بدن مخلوق على أن البدن مسكن لله وأن الله تعالى نور وروح ينتقل في هذه الأبدان) [١] . ويؤكد الإسفراييني ذلك بقوله: (الحلولية وهم فرق ظهرت في دولة الإسلام كان غرضهم إفساد التوحيد على المسلمين) [٢] . وإلى جانب محاربة الغلاة مبدأ التوحيد عملوا على الطعن في النبي والصحابة وآل البيت ، فالبيانية قالت: إن روح الله تناسخت في الأنبياء والأئمة حتى صارت إلى أبي هاشم ثم انتقلت إليه فادعى لنفسه الربوبية) [٣] ، ويبدو أن الفرق الغالية قد أدركت أثر بيت الرسول في الإسلام فتظاهرت بالولاء لواحد منهم وغالت في هذا التظاهر من أجل ضرب مبدأ التوحيد والطعن في آل البيت ومن هذا قول فرقة الذمية [٤] (أن عليا هو الله ويكذبون النبي ويشتمونه ويقولون أن عليا وجه به ليبين أمره فادعى الأمر لنفسه) [٥] .

وفرقة الشريعية [٦] ادعت (أن الله حل في خمسة أشخاص محمد وعلي

---

(١) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٤ ـ ٤٦ .

(٢)الإسفراييني : التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين ص ١١٣ ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، الناشر: مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد سنة ١٣٧٤هـ ١٩٥٥ . وسأشير إليه : التبصير في الدين وسأعتمد هذه الطبعة .

(٣) الرسيعني : مختصر الفرق ص ١٤٥ .

(٤) الذمية : وهم أصحاب العليا بن ذراع الدوسي وقال قوم الأسدي (الملل والنحل ج٢ ص ٢٢) وسموا بالذمية لأن العليا كان يقول بذم محمد (الملل والنحل ج٢ ص ١٢ ـ ١٣) ونسب فريق من الذمية الإلوهية إلى خمسة أشخاص ... محمد وعلي ... إلخ (الملل والنحل ١٢٢ ـ ١٣) .

(٥) الأشعري : مقالات الإسلاميين ج١ ص ٨٣ـ٨٤ .

(٦) الشريعية : أتباع رجل يعرف بالشريعي . (الفرق بين الفرق) ولم تذكر المصادر شيئًا آخر عن اسمه ، وقد غالت هذه الفرقة بحق الرسول وآل البيت ونسبت إليهم الإلوهية على أساس الحلول (الفرق بين الفرق ص ١٥٣) وعن طريق الحلول هاجمت الرسول والصحابة (مقالات الإسلاميين ١ ج ص ٨٢) وادعى الشريعي الإلوهية وذلك على أساس الحلول أن الإله قد حل فيه (الفرق بين الفرق ص ١٥٣) .

وفاطمة والحسن والحسين، وقالوا لهذه الأشخاص الخمسة خمسة شداد أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمرو بن العاص)[1] .

وكذلك استغلت فرقة الحربية[2] الحلول لضرب التوحيد والنبوة فقالت: (أن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة إلى أن انتهت إلى أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ... وانتقلت منه إلى عبد الله بن عمرو)[3] وبذلك طعنت الحربية في مبدأ التوحيد وأنكرت النبوة كما أنكرت اختتامها بمحمد وطعنت في الأئمة وفقًا لهواها .

واستغلت الراوندية[4] الحلول لنقل الإمامة من البيت العلوي الفرع والحسيني إلى الفرع الحنفي ومنه إلى البيت العباسي ثم إلى أبي مسلم الخراساني فقالت: (إن الروح التي كانت في عيسى ابن مريم صارت في علي بن أبي طالب ثم في الأئمة في واحد واحد إلى إبراهيم بن محمد ... وأنهم آلهة).

ولما أدركت الراوندية أهمية أبي جعفر المنصور وأثره في محاربتهم قرروا

---

(١) الأشعري : مقالات الإسلاميين ج١ ص ٨٢ ـ ٨٣ .

(٢) الحربية : وهي من الفرق الغالية وضع أسسها عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي: (الفرق بين الفِرق ص ١٤٩) وقالت بالحلول وطعنت من خلاله مبدأ التوحيد وأنكرت فكرة النبوة واختتامها (الفرق بين الفِرق ص ١٥٣) .

(٣) البغدادي : الفرق بين الفِرق ص ١٤٩ .

(٤) الراوندية : وهي من الفرق الغالية ويسميهم النوبختي الروندية من فرق الشيعة ص ٦٧) ويعتبر الطبري أن (الأبلق تكلم بالغلو ودعا بالراوندية وزعم أن الروح التي كانت في عيسى ابن مريم صارت في علي بن أبي طالب ثم في الأئمة ... واستحلوا الحرمات) الطبري ج٣ ص ١٣٠ طبعة ليدن) وقالت الراوندية بالتناسخ وزعموا (أن روح آدم انتقلت إلى رجل من كبارهم وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور) (ابن الأثير : الكامل ج٥ ص ١٨٧ التحرير القاهرة) وقالت بإلهية أبي جعفر المنصور (النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ص ٢٥) ، وتفرقت الراوندية إلى عدة فرق منها الأبو مسلمية الخرزامية والمقنعية والهريرية والجريانية (النوبختي فرق الشيعة ص ٦٧ ـ ٦٨ خروج الذهب ج٣ ص ٢٥٤) .

الطعن فيه فقالوا بألوهية أبي جعفر المنصور على أساس الحلول وأن (روح آدم حلت في عثمان بن نهيك وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور) [١] .

واستغلت الراوندية الحلول للطعن في صحة خلافة الخلفاء الراشدين وذلك من خلال التظاهر بالولاء للعباسيين فقالت: (أن النبي ﷺ نص على العباس بن عبد المطلب ونصبه إمامًا ثم نص العباس على إمامة ابنه عبد الله ... ثم ساقوا الإمامة إلى أن انتهوا إلى أبي جعفر المنصور) [٢] وتبرؤوا من أبي بكر [٣] وعمر رضي الله عنهما .

كما استغلت فرقة الأبو مسلمية الحلول لإضفاء صفة الربوبية على أبي مسلم فادعت أنه صار إلها بحلول روح الإله فيه [٤] ولتأكيد الثقة عند العاملين لإعادة الملك إلى الفرس قالت الأبو مسلمية (أن أبا مسلم حي وأن روح الإله انتقلت إليه وهم على انتظاره ويقولون أن الذي قتله أبو جعفر كان شيطانًا بصورة أبي مسلم) [٥] .

وقد استغل بعض الفرق الغالية الحلول لهدم المجتمع بإباحة المحرمات وترك الفرائض وفي ذلك يقول البغدادي: (ومنهم الذين عبدوا كل ما استحسنوا من الصور على مذاهب الحلولية في دعواها حلول روح الإله في الصور الحسنة) [٦] ، ويذهب ابن الجوزي كما ذهب البغدادي يقول في الحلولية أنهم (زعموا أن الحق تعالى اصطفى أجسامًا حل فيها الربوبية

(١) الطبري : ج٣ ص ٤١٨ طبعة ليدن .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج٥ ص ١٨٧ مطبعة التحرير القاهرة .

(٣) الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٩٢ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج٣ ص ٢٥٢ ط٣ مطبعة السعادة القاهرة سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨م تحقيق محيى الدين عبد الحميد .

(٥) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٥٥ .

(٦) الفرق بين الفرق ص ٢١٣ .

ومنهم من قال هو حال في المستحسنات) [1] . ومن هذه الفرق التي ذهبت في استغلال الحلول لهدم المجتمع فرقة الحلمانية فقد ادعى أبو حلمان حلول الإله في الأشخاص الحسنة وكان مع أصحابه إذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها [2] ، ولتبرير استباحة المحرمات قال أبو حلمان: (إن عرف الإله على الوصف الذي يعتقده هو زال عنه الحظر والتحريم واستباح كل ما يستلذه ويشتهيه) [3] ، ولما كان الإله يحل في الصور الحسنة على رأي الحلمانية فإن معرفة الإله سهلة لا تحتاج إلا جهدا قليلاً في البحث عنه في الصور الجميلة . وأعلن أبو حلمان بعد هذا (أن كل من كان اعتقاده مثل اعتقادي فلا تكليف عليه وكل ما يشتهيه فهو حلال) [4] .

والتناسخ هو رد الروح إلى بدن غير البدن الأول [5] وهذه الكلمة هي الاصطلاح الصحيح الخاص بفكرة انتقال الأرواح من شخص إلى شخص [6] ، والتناسخ من الأفكار القديمة فهو (علم النحلة الهندية فمن انتحله لم يكن منها ولم يعد من جملتها [7] . ويرى أبو العلاء المعري أن فرعون كان على هذا المذهب [8] ، ويؤيد ابن الجوزي ما ذهب إليه أبو العلاء من أن هذا المذهب ظهر في زمن فرعون وموسى [9] .

(١) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص ٢٥٦ .

(٢)البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٥٦ .

(٣) المصدر السابق ص ١٥٦ .

(٤) المصدر السابق ص ١٥٦ .

(٥)ابن سينا : رسالة أضحوية في أمر المعاد ص ٤١ الطبعة الأولى سنة ٩٤٩ م مطبعة الاعتماد بمصر، تحقيق سليمان دنيا ، وسأشير إليه : أضحوية .

(٦)بدوي : التراث اليوناني ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٧) البيروني : الفلسفة الهندية ص ٥٢ .

(٨) رسالة الغفران ص٤٤٩ الطبعة الثانية .

(٩) تلبيس إبليس ص ٧٧ .

وقد ذهب القائلون بالتناسخ مذاهب شتى (فرقة يجوزون كرور النفس في جميع الأجساد البالية نباتية كانت أو حيوانية ... وفرقة يقصرون ذلك على الأبدان الحيوانية ، وفرقة لا يجوزون دخول نفس إنسانية في نوع غير الإنسان أصلاً) [1] .

وانتقال الروح الإنسانية على ضوء مبدأ التناسخ يتم بعد مفارقتها أجسادها وذلك على مقالتين (فرقة ذهبت إلى أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخرى وإن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت ... والفرقة الثانية ذهبت إلى أن منعت من انتقال الأرواح إلى غير أنواع أجسادها التي فارقتها) [2] .

وقالت معظم الفرق الغالية بالتناسخ ولم تقف عند حد انتقال الأرواح من جسد إلى آخر بل ذهبت إلى القول بتناسخ روح الإله وفي ذلك يقول البغدادي: (وأما أهل التناسخ في دولة الإسلام... فقالت بتناسخ روح الإله في الأئمة) [3] والشهرستاني يذهب إلى ما ذهب إليه البغدادي فيقول حكاية عن أحد الغلاة: (... وقال روح الله تناسخت حتى وصلت إليه وحلت فيه) [4] .

ولقد استغلت الفرق الغالية التناسخ لمحاربة مبادئ الإسلام ولما كان مبدأ التوحيد هو المبدأ الأساسي فقد وجهوا إليه حملتهم المركزة فقالت فرقة البيانية: (أن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة) [5] وبذلك أوجدت عددًا من الآلهة وطعنت مبدأ التوحيد كما قللت من شأن النبوة والإمامة .

(١) رسالة أضحوية : ص ٤١ .
(٢) ابن حزم : الفصل في الملل ج١ ص ٩٠ ـ ٩١ .
(٣) الفرق بين الفرق ص ١٦٢ .
(٤) الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .
(٥) الرسعني : مختصر الفرق ص ١٤٥ .

وقد استغل عبد الله بن معاوية صاحب فرقة الجناحية [١] التناسخ وادعى الإلوهية بموجبه فقال: وروح الله تناسخت حتى وصلت إليه وحلت فيه، وادعى الإلوهية والنبوة معا [٢].

ويوضح فلها وزن كيف استغلت الفرق الغالية مبدأ التناسخ للطعن في النبوة فيقول: «وقالوا أن روح الله التي تحل في نفوس الأنبياء تنتقل من نبي إلى نبي آخر بعد وفاة السابق، ولا يوجد في الوقت الواحد غير نبي واحد أو يتابعون حتى يبلغوا ألف نبي وتبعًا لهذا فإن الأنبياء جميعًا واحد يبعث في كل منهم من روح الله والحق أن النبي الصادق واحد يعود من جديد» [٣].

وذهبت فرقة الكاملية [٤] في استعمال التناسخ في النبوة والإمامة معا فقالت: (الإمامة نور يتناسخ من شخص يكون نبوة ومن شخص يكون

---

(١) الجناحية من الفرق الغالية سميت بذلك لأن مؤسسها هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين (انظر مختصر التحفة الإثني عشرية ص ١١٩ وقالت بالحلول (الفرق بين الفرق ص ١٤٥) وادعى عبد الله النبوة والإلوهية على أساس التناسخ (الملل والنحل ج١ ص٢٠٢) وقد ألغى المعاد واعتبر الثواب والعقاب في الأرواح المتناسخة (الملل والنحل ج١ ص٢٠٢).

(٢) الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٣) الخوارج والشيعة الترجمة العربية ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٤) الكاملية : من الفرق الغالية أتباع أبي كامل (الملل والنحل ج١ ص١٧) ولم تذكر المصادر شيئًا آخر عن اسمه، وقد فضل أبو كامل النار والطين والتراب (العراقي : الفرق المفترقة ص٣١) وصوب موقف إبليس وامتناعه عن السجود لآدم (الفرق بين الفرق ص٣٥)، وكان الشاعر بشار بن برد يقول بمقالة الكاملية حيث قال: (بالرجعة وتفضيل النار على الأرض) ينشد :

الأرض مظلمة والنار مشرقة   والنار معبودة مذ كانت النار

انظر الملل والنحل ج٢ ص ١١٩ وقالت هذه الفرقة بالتناسخ (الملل والنحل ص ١١) وبإلوهية الأنبياء على أساس تناسخ روح الله فيهم (التحفة الإثني عشرية ص ١٠) كما طعنت في الصحابة جميعًا فقالت: (أن الصحابة) كفروا بتركهم بيعة علي وكفر علي بتركه قتالهم) (الفرق بين الفرق ص ٣٥).

إمامه وربما تتناسخ الإمامة فتصير نبوة)[1] . وهكذا أصبحت النبوة والإمامة أمرًا يتناقله الغلاة من شخص إلى آخر فأوجدوا عددًا من الأنبياء والأئمة وفقا لأهوائهم . ولم تقف الكاملية عند هذا الحد بل ذهبت إلى الطعن في مبدأ التوحيد فقالت بتناسخ روح الله تعالى التي (كانت في آدم ثم في شيت ثم صارت إلى الأنبياء)[2] .

واستعملت فرقة البشرية[3] التناسخ للطعن في الإمامة فاعتبروا (الإمامة قائمة على التناسخ فقالوا ... أن الأئمة واحد وإنما هم متنقلون من بدن إلى آخر)[4] .

وقد استغلت الفرق الغالية التناسخ لنسخ مبدأ المعاد وإنكار الجنة والنار والطعن بالفرائض وإباحة المحرمات فجعلوا الثواب والعقاب في الأرواح المتناسخة فقالوا: (إن الأرواح تتناسخ من شخص إلى شخص وأن الثواب والعقاب في هذه الأشخاص)[5] وقد فرقت الفرق الغالية بين أرواح الصالحين والأشرار فقالوا: (فأرواح الأبرار والصالحين تنتقل إلى أجساد الصالحين والأبرار وأرواح الأشرار والفاسقين تنتقل إلى أجساد

(١) الدهلوي : مختصر التحفة الاثني عشرية ص١٠ نقله من الفارسية إلى العربية غلام محمد واختصره محمود شكري الألوسي وحققه وعلق عليه محب الدين الخطيب المطبعة السلفية القاهرة سنة ١٣٧٣هـ وقد اعتمدت هذه الطبعة .

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل ج٢ ص ١١ ـ ١٢ .

(٣) البشرية : وهم أصحاب محمد بن بشر مولى بني أسد من أهل الكوفة (فرق الشيعة ص ١٠٤) وغلت هذه الفرقة في الإمام موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ فادعت أنه لم يمت ولم يحبس وأنه حي غائب وأنه القائم المهدي) (فرق الشيعة ص ١٠٢) وكذلك أنكرت البشرية جانبًا من الفرائض (فزعموا أن الفرض من الله عليهم إقامة الصلوات الخمس وصوم رمضان وأنكروا الزكاة والحج وسائر الفرائض) (فرق الشيعة ص ١٠٥) وقالت بالتناسخ ولا سيما تناسخ الإمامة (فرق الشيعة ص١٠٥) .

(٤) النوبختي : فرق الشيعة ص١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٥) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

الفاسقين والأشرار وكل جسد ينتقل إليه روح صالح يكون عيشه رضيا هنيئًا وكل جسد ينتقل إليه روح فاسق شرير يكون عيشه متعصبًا) [1]
ويذهب ابن الجوزي إلى ما ذهب إليه العراقي فيقول في أهل التاريخ: وقالوا بالتناسخ وأن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت في خيرة فاستراحت وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل في أبدان شريرة عليها المشاق) [2] .

وهكذا جعلت هذه الفرق الثواب والعقاب في الأجساد التي يقع عليها التناسخ وبذلك أنكروا الجنة والنار ويعلق الشهرستاني على بدعتهم بقوله: كفروا بالقيامة لاعتقادهم أن التناسخ يكون في الدنيا والثواب والعقاب في هذه الأشخاص) [3] .

وعلى هذا أنكر الغلاة القائلون بالتناسخ البعث ، وقالوا بدوام الحياة وفي ذلك يقول فلهاوزن حكاية عنهم : (فالأرواح تنتقل بالموت من وإلى جسم ، وثمة بعث مستمر في المجرى الطبيعي للحياة الدنيا) [4] .

يرى ابن سينا أن القائلين بالتناسخ انقسموا إلى فرق (فرقة توجب التناسخ للنفس الشقية وحدها حتى تستكمل وتستعد فتخلص من المادة وفرقة توجب ذلك للنفسين جميعًا الشقية والسعيدة ... الشقية في أبدان والسعيدة في أبدان ذات نعمة وراحة) [5] .

من خلال مبدأ التناسخ أنكرت الفرق الغالية الفرائض وأباحت المهارة من أجل هدم المجتمع وبذلك يسهل عليهم التسلل لهدم الإسلام فقد

(١) العراقي : الفرق المفترقة ص ٣٨-٣٩ .

(٢) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص٧٦-٧٧ .

(٣) الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢-٢٠٣ .

(٤) فلهاوزن : الخوارج والشيعة الترجمة ص ٢٤٨ .

(٥) ابن سينا : رسالة أضحوية ص ٤١ .

أباحت فرقة الجناحية المحرمات فكانوا (يبيحون المحرمات ويعيشون عيشة من لا تكليف عليه) [(١)] ودعت فرقة الحارثية إلى إباحة المحرمات على أنواعها[(٢)] . واستغلت الراوندية التناسخ للطعن في الفرائض وإشاعة الموبقات فقالت: (أن الروح التي كانت في عيسى ابن مريم صارت في علي ابن أبي طالب ثم في الأئمة ... وأنهم آلهة واستحلوا الحرمات) [(٣)] وكذلك أشاعت الفرق الغالية المحرمات فهم (يستحلون شرب الخمر ومباشرة الأخوات ومباشرة نساء بعضهم بعضًا فيجمعون النساء في موضع واحد ثم يهجمون عليهن دفعة واحدة فيأخذ كل واحد من الرجال من شاء منهن ويقولون هذا صيد والصيد حلال) [(٤)] .

واستغلت بعض الفرق التناسخ للطعن في الصحابة فجوز بعض الفرق في أول الأمر (كرور النفس في جميع الأجساد البالية نباتية كانت أو حيوانية) [(٥)] وقد فلسفت هذه الفرق ذلك بقولها: أن (النفس إذا قدرت على تهيئة مسكن لها مثل بدن الإنسان فهي قادرة على تهيئة مساكن لها دونه ... فالأبدان الإنسانية والحيوانية ... داخلة في ذلك التقدير والتدبير فلا يمتنع أن تسكن النفس في الأبدان غير الإنسانية) [(٦)] ولم ينس هؤلاء الغلاة أن يؤلوا آيات من القرآن في سبيل تثبيت فكرة تناسخ أرواح بني الإنسان في الحيوانات فقالوا: أن في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ (الأنعام: ٣٨) أي أنهم مشاركون لنا في نفوسهم بالقوة[(٧)] وعلى هذا نجد فرقة الجناحية تقول: (أن الأرواح تتناسخ من

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢ .
(٢) الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢ . ومختصر الفرق ص ١٥٣ - ١٥٤ .
(٣) الطبري : ج٣ ص ٤١٨ الطبعة الحسينية .
(٤) العراقي : الفرق المفترقة ص ٣٨ - ٣٩ .
(٥) رسالة أضحوية : ص ٤١ .
(٦) ابن سينا : رسالة أضحوية ص ٨٦ .
(٧) المصدر السابق ص ٤٢ .

شخص إلى شخص ... إما أشخاص بني آدم وإما أشخاص الحيوانات) [1] كما أجازوا (تناسخ الأرواح في الصور المختلفة وأجازوا أن ينقل روح الإنسان إلى كلب وروح الكلب إلى إنسان) [2] وبذلك أخذوا في الهجوم على الصحابة من خلال القول بالتناسخ فكان بعض الغلاة يأخذ (البغل أو الحمار فيعذبونه ويضربونه ويعطشونه ... على أن روح أبي بكر وعمر دخلت فيه) [3] ، ولم يقف الأمر عند هذين الشيخين الجليلين بل تجاوزهما إلى عائشة زوجة الرسول ﷺ وذلك (بأن كانوا يأخذون عنزة تضرب وتعذب لأن روح عائشة قد حلت في هذا الحيوان) [4] .

ومن الآراء الغالية القول بالبداء وهو لغة مصدر بدا يبدو إذا عدل عن رأي كان يراه إلى رأي آخر [5] حيث يبدو للإنسان رأي في الشيء لم يكن الرأي له هذا الرأي من قبل بأن يتبدل عزمه من العمل الذي كان يريد أن يقوم به ويحدث ما يغير رأيه فيبدو له تركه بعد أن كان يريد عمله [6] .

والبداء من المبادئ التي قال بها بعض الفرق الغالية وقصد به أن الله يفعل الأمر ثم يبدو له فلا يفعله فهو لهذا تغيير الإرادة الإلهية لقرار قد قرر قبلا [7] . وفي ذلك يقول الخياط المعتزلي على لسان الغلاة بشأن البداء : (فإذا فعل فعلا وخبر بخبر ثم تبين له أنه ليس بصواب بدا له فيه نقل عنه إلى غيره) [8] ويرى الأسفراييني أن المختار بن أبي عبيد الثقفي أول من قال بالبداء على أثر ادعائه علم الغيب وأن الله سبحانه وتعالى يخبره عما سيقع فحينما بعث جيشًا بقيادة أحمد بن شميط لمقاتلة مصعب بن الزبير قال

(١) الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢-٢٠٣ .
(٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٦٢ .
(٣) ابن حزم : الفصل في الملل ج٤ ٢ص ١٨٢ .
(٤) فريد لندر : . The journal of the American Oriental Society, Vol . 28 A,p . 58
(٥) انظر مختصر الفرق الحاشية ص ٣٥ .
(٦) انظر أصول الكافي ج٣ ق ١ ص ٢١١ .
(٧) محمد جابر عبد العال : حركات الشيعة المتطرفين ص٧٩ ، مطبعة المحمدية القاهرة ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م .
(٨) الخياط المعتزلي : الانتصار ص ٩٥ المطبعة الكاثوليكية - بيروت .

لقائده: (أوحي إلي أن الظفر لكم . فهزم ابن شميط ... فعاد إليه فقال أين الظفر الذي وعدتنا؟ فقال له المختار: هكذا قد وعدني الله ثم بدا) [1] ، ولم ينس المختار أن يؤيد قوله هذا بآية من القرآن الكريم ويفسرها وفقًا لما يريد فقال أنه سبحانه وتعالى قال : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد : ٣٩] .

ويرى النوبختي أن أبا الخطاب صاحب الخطابية هو الآخر قال بالبداء فيقول: (فحينما أرسل أبو جعفر المنصور عيسى بن موسى لمقاتلته قال أبو الخطاب: قاتلوهم فإن قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح والسيوف ، ورماحهم وسيوفهم وسلاحهم لا تضركم ولا تعمل فيكم فقدمهم عشرة عشرة للمحاربة ، فلما قتل منهم نحو ثلاثين رجلاً قالوا له: ما نرى ما يحل بنا من القوم؟ قال لهم: إن كان قد بدا الله فيكم فما ذنبي؟) [2] .

ويؤيد الطبري ما ذهب إليه النوبختي فيقول: أن (عبد الله بن نوف ... حين خرج الناس إلى حروراء ... والتقى الناس للقتال ضرب على وجهه ضربة ورجع الناس منهزمين ولقيه عبد الله بن شريك وكان قد سمع مقالته فقال: ألم تزعم لنا يا ابن نوف أنا سنهزمهم؟ قال: أو ما قرأت في كتاب ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(الرعد: ٣٩) وأخذها ابن نوف من الخطابية)[3] .

ويؤيد ابن الأثير ما ذهب إليه النوبختي والطبري فيقول على لسان أحد أنصار أبي الخطاب: (ألم تقل أن سيوفهم لا تعمل فينا ؟ فقال: إذا كان قد بدا الله فما حيلتي) [4] .

---

(١) الأسفراييني : التبصير في الدين ص ٣٣ .

(٢)النوبختي : فرق الشيعة ص ٥٩ ـ ٦٠ . تصحيح هـ . ريتر مطبعة الدولة اسطنبول سنة ١٩٣١م .

(٣) الطبري : ج ٢ ص ٧٠٦ و ٧٣٢ . طبعة أوربا .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج٨ ص ٢١ .

وعلى الرغم من هذا فإن فكرة البداء أصبحت صفة ملازمة لفرقة الكيسانية وفي ذلك يقول البغدادي: (وأن القول بالبداء من وضع الكيسانية وقد توزعت إلى عدة فرق وظهر لها مجموعة آراء إلا أن الكيسانية يميزها عن بقية الفرق أمران أحدهما قولهم بإمامة ابن الحنفية والثاني قولهم جواز البداء على الله)[1] .

ولقد استغلت الفرق الغالية فكرة البداء للطعن في ذات الله وقدرته واستغلت هذه الفكرة في إفساح المجال لادعاء النبوة والطعن بها وفي ذلك يقول النوبختي: (فأما البداء فإن أئمتهم لما أحلوا أنفسهم محل الأنبياء رعيتها في العلم فيما كان ويكون ... قالوا .... أنه سيكون في غد وفي الأيام كذا وكذا فإن جاء ذلك الشيء على ما قالوه قالوا لهم ألم نعلمكم هذا يكون فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمته الأنبياء ... وإن لم يكن ذلك الشيء الذي قالوا أنه يكون قالوا بدا الله في ذلك كونه)[2] . والقول بالبداء فيه طعن في مبدأ التوحيد وقدرة الله وفي ذلك يقول الخياط: (ولا شك أن الموصوف بهذا منقوص والنقصان من الحدث ويتعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا)[3] .

وفي مبدأ البداء خطورة على الدين وعلى المجتمع ، فمن اليسير أن البداء أكثر من مدع فيدعي العلم عن الله والتحدث عن الغيب المعتمد على البداء لتبرير الحالات التي يعد بها المدعي ولا تتحقق . كما وأن البداء قد استغل لتبرير التلون السياسي والتقلب في المذاهب فالمختار الثقفي صاحب هذه الفكرة (كان خارجيًا ثم صار زبيريًا ثم صار شيعيًا كيسانيا)[4] ، ويبدو أن المختار قد برر لنفسه ولأنصاره هذا التلون على الله بأنه سبحانه وتعالى كان

---

(١)الفرق بين الفرق ص ٢٦ .

(٢)النوبختي : فرق الشيعة ص ٨٤ ـ ٨٥ . طبعة إستانبول .

(٣) الخياط : الانتصار ص ٩٥ .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ١٩٧ .

يبدو له فيتحول هو بحسب ذلك ويعلق فلهاوزن على تقلب المختار بقوله : (ابتدع القول بالبداء في الله لكي يبرر تقلبه هو من مذهب إلى مذهب)[1] .

التأويل :

والتأويل من المبادئ الأساسية التي وضعتها الفرق الغالية لمحاربة الإسلام وهو (الرجوع إلى المآل ومآل الكلام مفاده وفحواه) [2] ، ومنشأ هذه الفكرة قولهم: (أنه لابد لكل محسوس من ظاهر وباطن ، فظاهره ما تقع الحواس عليه ، وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به بأنه فيه وظاهره مشتمل عليه وهو زوجه وقرينه) [3] .

وقد استغل الغلاة هذه الفكرة وطبقوها على القرآن الكريم فقالوا: (إن القرآن له ظاهر وباطن وتنزيل وتأويل) [4] ، وتلمسوا آيات من القرآن لدعم فكرتهم فقالوا أن في قوله تعالى : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] وقوله عز وجل : ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام : ١٢٠] وقوله سبحانه : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران : ٧] وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف : ٥٣] تأييدًا لما ذهبوا إليه من القول بالتأويل ...

ولما كان التأويل يبحث في مآل الكلام وفحواه فإن معظم الفرق الغالية قد أخذت بتأويل آيات القرآن وفقًا لأغراضها ، واستغلت ذلك في محو مبادئ الإسلام ، فتوجهوا إلى مبدأ التوحيد فأولت فرقة البيانية من أجل الطعن فيه

---

(١) الخوارج والشيعة ص ٢٣٥ .

(٢) ابن حيون : أساس التأويل ص ٥ تحقيق عارف تامر ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٠م .

(٣)المصدر السابق ص٢٨ .

(٤) عبد الجبار الأسد أبادي : المغني في أبواب التوحيد والعدل ج١٦ ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤ مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٦٠ .

قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ أن الله يفنى جميعه إلا وجهه[1] أما فرقة المقنعية[2] فقد ادعي مؤسسها لنفسه الإلهية[3]، وصور هذه الإلهية تصويرًا خاصًا معتمدًا على التأويل، فقال الإله وأنه يظهر مرة بصورة آدم، وكان يظهر بعده في صورة كل واحد من الأنبياء، وظهر في صورة علي ثم في صورة أولاده على الترتيب، ثم في صورة أبي مسلم، وقد ظهر الآن في صورة هشام بن الحكم يعني به نفسه[4].

وقد استغل الغلاة التأويل للطعن في النبوة وأولوا الآيات القرآنية في ذلك فادعت فرقة المنصورية على لسان مؤسسها النبوة على أساس التأويل، فقال: (إن الله بعث محمدًا بالتنزيل وبعثه بالتأويل)[5]، ولم يقف أبو منصور عند هذا الحد بل ادعى (أن الرسل لا تنقطع والرسالة لا تنقطع)[6]، وبذلك طعن في نبوة محمد، وأنكر أنه خاتم الأنبياء، ولكي يؤيد ادعاؤه النبوة قال أبو منصور في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤] أنه الكسف الساقط من السماء، وأنكرت الباطنية[7] النبوة، واستعملت التأويل

(١) ابن الأثير: الكامل ج٥ ص٧٧. مطبعة التحرير القاهرة.

(٢) المقنعية: من الفرق الغالية ينسبها النوبختي إلى (هاشم بن حكيم المروزي الملقب بالمقنع) (فرق الشيعة ص٦٨) ويسميه الإسفراييني هشام بن الحكم. التبصير في الدين ص ١١٤، وقد ادعى المقنع لنفسه الإلوهية (الفرق بين الفرق ص١٥٥) وذلك على أساس تأويل الربوبية وأنها صورة مختلفة (التبصير في الدين ص ١١٤ - ١١٥) وقد أباحت المقنعية وأسقطوا الصلاة والصيام وسائر العبادات (الفرق بين الفرق ص ١٥٥).

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٥٥.

(٤) التبصير في الدين ص ١١٤ - ١١٥.

(٥) النوبختي: فرق الشيعة ص ٦٠.

(٦) الملل والنحل ج٢ ص ١٤.

(٧) الباطنية: وسبب تسميتهم بالباطنية لقولهم بالإمام الباطن (مقدمة ابن خلدون ص ٢٠١) واعتبروا (أن كل من عمل بالباطن دون الظاهر فليس هو مؤمن ومن عمل بالباطن والظاهر فهو الموفق) (خمس رسائل إسماعيلية الرسالة الثانية ص١٢٦) وقالت الباطنية بإمامة محمد بن إسماعيل (التبصير في الدين ص٤١) ويحدد الإسفراييني بدايتها في زمن المأمون (المصدر السابق ص٤١) وكان مؤسس هذه الفرقة ميمون بن ديصان المجوسي (الفرق بين الفرق ص ١٧٠) وقالت هذه الفرقة بالتأويل وأنكرت النبوة (المصدر السابق ص ١٧٧).

دليلاً على إنكارها فقالوا: (أن الأنبياء قوم أحبوا الزعامة ... وإذا ذكروا النبي والوحي قالوا أن النبي هو الناطق والوحي أساسه الفاتق [1] وإلى الفاتق تأويل نطق الناطق) [2] وهكذا ضاعت النبوة بين الناطق والفاتق وأمست حبا للزعامة.

وقد استغلت الفرق الغالية التأويل لضرب مبدأ المعاد وما يتعلق به من بعث الموتى والجنة والنار فأولت المنصورية (الجنة على نعيم الدنيا والنار على محن الناس في الدنيا) [3] وذهبت في تشويه صورة الجنة من خلال قولها بالتأويل فادعت (أن الجنة رجل أمرنا بموالاته وهو أمام الوقت وأن النار رجل أمرنا بمعاداته وهو خصم الإمام) [4] ومن أجل تأكيد فكرة خلود الحياة ،قالت فرقة المعمرية [5] : (أن الدنيا لا تفني) ، وأنكر معمر الجنة والنار على أساس التأويل ، فزعم أن الجنة هي التي تصيب الناس من خير ونعمة وعافية ، وأن النار هي التي تصيب الناس من شر ومشقة وبلية) [6] ولتوكيد إلغاء فكرة المعاد والحساب أباح المعمرية شرب الخمر والزنا وسائر المحرمات وتركوا الصلاة [7] ، كما استعملوا التأويل لإلغاء

(١) الناطق والفاتق من تأويلات الباطنية بخصوص النبي والإمام والعالم ، فقد ادعوا أن معجزة النبي الصادق ليست غير أشياء تنتظم بها سياسة الجمهور فينتظم بذلك النبي شريعة يتبعها الناس .. والعالم عندهم ناطق الشريعة والإمام ناطق الحقيقة وهو المبدع الكلي ، انظر ذلك مفصلاً في الدولة الفاطمية للدكتور حسن إبراهيم حسن ص٤٣ ـ ٤٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ط٣ القاهرة ١٩٦٤ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٧٧ .

(٣) الرسيعني : مختصر الفرق ص ١٥٢ .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص ١٥٢ .

(٥)المعمرية : فرقة غالية تفرعت عن الخطابية وزعمت أن الإمام بعد أبي الخطاب هو معمر (الملل والنحل ج٢ ص ١٦) ولم تذكر المصادر شيئًا آخر عن بقية اسمه ، وقد غالت في الإمام الصادق وادعت نبوته (مختصر التحفة الاثني عشرية ص١٣) ونقلت النبوة من الصادق إلى أبي الخطاب ومنه إلى معمر أن الدنيا لا تفنى وأن الجنة هي التي تصيب الناس من خير ... وأن النار هي التي تصيب الناس من شر ... واستحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات وتركوا الحلال (الملل والنحل ج٢ ص ١٦) .

(٦)الملل والنحل ج٢ ص ١٦ .

(٧)المصدر السابق ج٢ ص ١٦ .

الفرائض وإباحة المحرمات ، فقالت فرقة الخطابية: (أن الزنا رجل وأن الخمر رجل وأن الصلاة رجل وأن الفواحش رجل) [١] وكذلك أولت فرقة الأبو مسلمية والفرائض فقالوا (بالإباحات وترك جميع الفرائض وجعلوا الإيمان بالمعرفة لإمامهم فقط) [٢] والجناحية (استحلوا المحرمات ووجوب العبادات وتأولوا العبادات على أنها كنايات عمن تجب) [٣] وأنكرت الباطنية الفرائض على أساس التأويل فقالت :(الصلاة مولاه إمامهم والحج زيارته والصوم عدم إفشاء سره) [٤] . أما فرقة البشرية فقالت: (أن الفرض من الله ، فرض عليهم إقامة الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وأنكروا الزكاة والحج وسائر العبادات الأخرى) [٥] وتحولت البشرية بعد ذلك إلى المجتمع فعملت به هدماً بإباحة المحارم في الفروج والغلمان) [٦] .

وذهبت القرامطة [٧] إلى تأويل الفرائض وشروطها وفقًا لهواها فقالت:

---

(١) الكشي : معرفة أخبار الرجال ج٣ ص ١٨٨ المطبعة المصطفوية سنة ١٣١٧هـ .
(٢) النوبختي : فرق الشيعة ص ٦٧ طبعة النجف ١٩٣٦ .
(٣) الرسيفني : مختصر الفرق ص ١٥٣ .
(٤) البشييشي: الفرق ص ٥٩ .
(٥) فرق الشيعة ص ١٠٤ .
(٦)انظر فرق الشيعة ص ١٠٥ ومعرفة أخبار الرجال ج٥ ص ٢٩٨ .
(٧) القرامطة : هي من الفرق الباطنية وضع أسسها (حمدان قرمط وعبد الله بن ميمون القداح) (التبصير في الدين ص ٢٩) . وقد اختلف المؤرخون في أصل كلمة قرمط فالطبري يرى (أن ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة يظهر الزهد والتقشف وقد تمرض هذا فاعتني به رجل يعمل على أثوار أحمر العينين وكان أهل القرية يسمونه كرميته ... وهو بالنبطية أحمر العينين) (الطبري ج١١ ص ٣٣٧) وخففت كرميته حتى أصبحت قرمطية ، ويذهب الطبري في تفسير هذه الكلمة مذهبًا آخر فيقول (قرمط رجل من سواد الكوفة كان يحمل غلات السواد على أثوار له يسمى حمدان ويقلب بقرمط) (الطبري ج١١ ص ٣٣٧) ويذهب ابن الجوزي إلى ما ذهب إليه الطبري في معنى وابتداء القرامطة (تلبيس إبليس ص ١١٠) ويأتي الدهلوي برأي آخر فيقول (وقيل أن قرمط اسم لقرية من قرى واسط منها حمدان المخترع وهو قرمطي وأتباعه قرامطة وقيل غير ذلك) (انظر مختصر التحفة الاثني عشرية ص ١٧) . وقالت القرامطة بالتأويل ومن خلاله أنكرت المحرمات فقالت: (وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليست له زوجة في حسنها فيحرمها على نفسه وينكحها من أجنبي ... وما وجه ذلك ألا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الإله الذي يزعمون) (الفرق بين الفرق ص١٧٨ ، ١٧٩) .

(أن الجنة نعيم الدنيا ، وأن العذاب إنما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد) [1] ، وادعت (أن الصلاة أربع ركعات قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها ... والقبلة إلى بيت المقدس ، والحج إلى بيت المقدس ، ويوم الجمعة يوم الاثنين، والصوم يومان في السنة هما المهرجان والنوروز) [2] .

وقد استغلت الفرق الغالية التأويل للهجوم على الإمامة وصحابة الرسول وآل بيته فقالت فرقة المغيرية [3] في تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] أن الظلوم الجهول أبو بكر [4] ، وقالت المغيرية قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾ [الحشر : ١٤٧] .فالشيطان عندهم عمر بن الخطاب .

وأولت المقنعية الدين بكل مقوماته فقالت: (الدين معرفة الإمام) [5] وأي إمام هذا الذي معرفته تعني معرفة الدين وأي دين هذا الذي معرفته تكون في معرفة الإمام . ولما أرادت فرقة الهاشمية الطعن في النبوة والإمامة قالت بالتأويل فادعت: (أن الإمام عالم يعلم كل شيء وهو النبي في جميع

(١) المصدر السابق ص١٧٧ .
(٢) الطبري : ج١١ ص ٣٣٧ الطبعة الحسينية .
(٣) المغيرية : من الفرق الغاية مؤسسها المغيرة بن سعيد مولى بجيلة (التبصير في الدين ص ١٠٨) وكان المغيرة ساحرًا (الطبري ج٨ ص٢٤٠) وكان سبئيًا (البصير في الدين ص١٠٨) وقال المغيرة (بإلهية علي) (ابن الأثير الكامل ج٥ ص١٥٥ ط ليدن) وقال بالتشبيه فادعى (أن معبوده ذو أعضاء وأن أعضاءه على صورة حروف الهجاء) (الفرق بين الفرق ص ١٣٨) كما قال تأويل (مختصر الفرق ص١٤٧) وقد استنكر الإمام الصادق دعوة المغيرة منها ولعنه لأنه كان يكذب على الإمام الصادق (الكشي : معرفة أخبار ، ج٣ ص ١٤٦ ، و١٤٧) وقد قتله خالد بن عبد الله القسري حرقًا مع بيان سمعان صاحب البيانية (انظر الطبري ج٨ ص ٢٤١ الطبعة الحسينية ٢٦٧ .
(٤) الرسيعني : مختصر الفرق ص ١٤٧ .
(٥) مختصر الفرق ص١٤٧.

أموره ومن لم يعرفه لم يعرف الله وليس بمؤمن بل كافر مشرك)[1] .

وأولت فرقة الحفصية[2] قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [البقرة : ٢٠٤] أنها نزلت في الإمام علي وأنه المقصود بقوله: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ ، وذهبت الحفصية في تأويل الإيمان فقالت: (أن بين الإيمان والشرك معرفة الله فمن عرفه ثم كفر بما سواه من رسول أو جنة أو نار أو عمل بجميع المحرمات من قتل النفس واستحلال الزنا فهو كافر بريء من الشرك ومن جهل بالله وأنكره فهو مشرك)[3] ولم تنس فرقة الحفصية أن تمتدح ابن ملجم مستغلة التأويل فقالت أنه هو الذي أنزل فيه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة :١٠٢] .

من هذا يتبين أن الفرق الغالية قالت بالتأويل واستعملته لمقاومة الإسلام وهدم مبادئه وتوجهت إلى القرآن وهو دستور الإسلام والمرجع الأول والأهم في الحركة الإسلامية فعمدت إلى التأويل فيه فقالوا : (من معجزات وغرائب تأليفه أنه يأتي بالشيء الواحد وله معنى في ظاهره ومعنى في باطنه فجعل عز وجل ظاهره معجزة رسوله وباطنه معجزة الأئمة من أهل بيته لا يوجد إلا عندهم ولا يستطيع أحد أن يأتي بظاهر الكتاب غير محمد رسول الله جدهم ولا أن يأتي بباطنه غير الأئمة من ذريته وهو علم متوافر بينهم مستودع فيهم يخاطبون كل قوم منه بمقدار ما يفهمون ويعطون كل أحد منهم ما يستحقون ويمنعون من يجب منعه

(١) المصدر السابق ص١٤٧.

(٢) الحفصية : وهي من فرق الخوارج نسبة إلى حفص بن أبي المقدام والنحل والملل ج١ ص ١٨٣) ومن آرائه الغالية قوله أن بين الإيمان والشرك معرفة الله ... (مختصر الفرق ص ٦٦) وقالت الحفصية بالتأويل واستعملته في شخصية الإمام علي (كرم الله وجهه) (انظر مختصر الفرق ص ٦٦) استعملت التأويل للإشادة بعبد الرحمن بن ملجم (المصدر السابق ص٦٦) .

(٣) مختصر الفرق ص ٦٦ .

ويدفعون عنه من استحق دفعه) [1] وهذا التقسيم للقرآن إلى ظاهر وباطن وجعل الظاهر معجزة الرسول والباطن معجزة الأئمة وأن فهمه وقف عليهم تقييد للمسلمين وتضيق على حريتهم الفكرية وإبعاد للقرآن عن المهمة التي أنزل من أجلها وتحويله أثرًا جامدًا لا حياة فيه وفي ذلك هدم للإسلام وتجميد للحضارة العربية ويعلق القاضي عبد الجبار الأسد أبادي على تأويلهم هذا بقوله: (فجعلوا ذلك طريقًا إلى القدح بالإسلام ... لأنه مبني على القرآن والسنة فإذا أخرجوا من القرآن أن يعرف به شيء ... وجعلوا المرجع إلى الباطن الذي لا يعلم إلا من جهة الحجة ... وذلك متعذر فقد سدوا باب معرفة وطعنوا فيه) [2] فلا شك أن القول بالتأويل كان أبرع وأخطر وسيلة استغلها الغلاة للهجوم على الإسلام وهدم مقوماته من الداخل وفي ذلك يقول البغدادي: (أن غرض الباطنية الدعوة إلى دين المجوس بالتأويلات يتأولون عليها القرآن والسنة) [3] .

(1) ابن حيون : أساس التأويل ص ٣٠ـ٣١ .

(2) المغني في أبواب التوحيد والعدل ج١٦ ص ٣٦٣ .

(3) الفرق بين الفرق ص١٧٠ .

الزندقة :

□ ■ □

١. الزندقة في الحضارة الإيرانية :

لفظ الزنديق فارسي معرب [١] فليس (في كلام العرب زنديق ، فإذا العرب معنى ما تقوله العامة قالوا ملحد ودهري) [٢] وقد عرب الزنديق (في العراق أخذا من المصطلحات الإيرانية أيام حكم الساسانيين) [٣] لذلك وجب أن نقف على معنى الزندقة واستعمالها في الإيرانية .

الزندقة :

كانت الزرادشتية الديانة الرسمية طوال فترة الساسانيين التي امتدت من سنة ٢٢٦ إلى سنة ٦٥١م [٤] ومرت فترات محدودة اعتنق خلالها الملك سابور المانوية بضعة عشر سنة ، واعتنق الملك قباذ المزدكية حقبة من الزمن [٥] .

لقد ارتبطت الزندقة بماني ارتباطًا زمنيًا وفكريًا ، والدينوري أول المؤرخين المسلمين الذين أطلقوا على ماني صفة زنديق في معرض الذم حيث قال (في زمن سابور ظهر ماني الزنديق وأغوى الناس) [٦] ولم يوضح الدينوري أسباب الحكم على ماني بالزندقة وكيف أنه أغوى الناس ، ويفسر

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة في تصحيح لفظ الزنديق ص١ .

(٢) أحمد أمين : فجر الإسلام ص١٠٨ ـ ١٠٩ الطبعة السابعة مطبعة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية المجلد العاشر ص ٤٤٠ ـ ٤٤١ ، مطبعة القاهرة .

(٤) فجر الإسلام ص ٩٨ ـ ٩٩ ، الطبعة السابعة ، وسأعتمد هذه الطبعة.

(٥) الأخبار الطوال ص ٤٩ .

(٦) انظر الأخبار الطوال ص٢٥ وتاريخ اليعقوبي ج١ ص١٢٩ طبعة ١٣٥٨هـ ج٢ ص١٨٨ الطبعة الحسينية وإيران في عصر الساسانيين.

الطبري أسباب قتل ماني من قبل الملك هرمز فيقول: كان (يدعوه إلى دينه فوجده داعية للشيطان) [١] إلا أن الطبري لم يبين ماهية الدين الذي دعا إليه ماني كما لم يوضح المقصود بالشيطان الذي ذهب هرمز إلى القول بأن ماني يدعو إليه .

والمسعودي أكثر المؤرخين وضوحًا وأقدمهم في ربط الزندقة بماني زمنيًا إذ يقول: (وفي أيام ماني هذا ظهر اسم الزندقة) [٢] كما أنه أول المؤرخين الذين أوضحوا العلاقة الفكرية بين ماني والزندقة وبين الزندقة والزرادشتية حيث قال: (أن الفرس حين أتاهم زرادشت ... بكتابهم المعروف بالبستاه باللغة الأولى من الفارسية وعمل له التفسير وهو الزند وعمل لهذا التفسير شرحًا سماه البازند ... وكان الزند بالتأويل غير المقدم المنزل وكان من أورد في شريعتهم شيئًا بخلاف المنزل الذي هو البستاه وعدل إلى التأويل الذي هو الزند قالوا هذا زندي إضافة له) [٣] إلا أن المسعودي لم يذكر من هو الذي وضع الزند تفسيرًا لكتاب زرادشت (الأفستا) ولو أن ما ذكره عن ماني وقوله أن الزندقة قد ظهرت في أيامه يوحي بأن ماني هو الذي وضع الزند ، ومما يؤيد ذلك أن عددًا من المؤرخين قد وضحوا العلاقة بين ماني والزندقة وأكدوا أنه أول من وضع الزند تفسيرًا للافستا [٤] ، والنسبة إلى الزند زندي وهي صفة للمؤمن بالتفسير

---

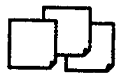
(١) الطبري : ج٢ ص ٨٣٤ طبعة دي غويه .

(٢) مروج الذهب ج٢ ص ١٦٧ ، طبعة باريس سنة ١٨٦٣م .

(٣) المصدر السابق ج٢ ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٤) فالمقدسي يقول وفي زمانه - أي شابور بن أردشير - ظهر ماني الزنديق وذلك أن أول ما ظهر في الأرض من أمر الزندقة (البدء والتاريخ ج٣ ص ١٥٧) . ويقول أبو الفرج الأصفهاني على لسان حماد عجرد في حديثه عن بشار بن برد (إنما يغيضني من بشار تجاهله بالزندقة وهو والله أعلم الزندقة من ماني) (الأغاني ج٣ ص ٦٢) ويؤيد ذلك السمعاني إذ يقول أن زندي هذه النسبة إلى كتاب جمعه ماني سماه الزند من الزندية ... الزنديق نسبة إلى ذلك وأول من سمي بهذا الاسم ماني) (كتاب الأنساب ص ٢٨٠ طبعة ليدن) . ويوضح ابن بدرون علاقة ماني بالزندقة كما ذهب إلى ذلك السمعاني (كمامة الزهر وفريدة الدهر ص ٣٦ - ٣٧ طبعة القاهرة) ويؤيد =

دون الأصل وفي ذلك يقول براون: (زنديق صفة فارسية معناها متبع الزند أو الشرح القديم للأفستا ... وأن المانوية سموا بالزناديق لميلهم إلى تأويل وشرح الكتب المقدسة حسب آرائهم)[(١)] .



مزدك والزندقة :

لقد ظهر مزدك أيام الملك قباذ وزين للناس ركوب المحارم[(٢)] ودعا إلى (اشتراك الناس في الأموال والحرم)[(٣)] مما سبب غضب الزرادشتية على قباذ فعزلته عن العرش وحبسته[(٤)] وحملت الملك أنو شروان على قتل مزدك ومن كان في ملته[(٥)] .

وعلى الرغم من دعوة مزدك الإباحية وموقف أنو شروان الصارم منه فأن الدينوري لم يطلق عليه صفة الزنديق كما طلقها على ماني ، والمسعودي أول من أطلق على مزدك صفة الزنديق حيث قال: (تم مُلك قباذ بن فيروز وفي أيامه ظهر مزدق الزنديق)[(٦)] دون أن يذكر المسعودي أسباب الحكم

=ما ذهبنا إليه ابن الأثير فيقول: (الزندي : .. هذه النسبة إلى كتاب وضعه ماني المجوسي سماه الزند والنسبة إليه زندي وإليه ينسب الزنديق) (اللباب في تهذيب الأنساب ج١ ص ٥١١) ويذكر النويري علاقة ماني بالزندقة فيقول: إن ماني (زاد في شرعهم الذي شرعه لهم زرادشت) (نهاية الأرب في فنون الأدب ج١٥ ص ١٦٨ - ١٦٩ ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٦٩هـ ١٩٤٩م . إلا أن النويري لم يشر إلى الآراء والمعتقدات التي زادها ماني على الزرادشتية ويؤكد النويري أن زندين أطلقت على ماني وسموا أصحابه الزنادقة (المصدر السابق ج١٥ ص١٦٨ - ١٦٩) .

(١) انظر : Browne , vol. 1, p . 159 والدوري : العصر العباسي الأول ص ١١٠ .

(٢) الأخبار الطوال ص ٦٥ .

(٣) البيروني : الآثار الباقية ص ٢٠٩ .

(٤) الأخبار الطوال ص٦٥ .

(٥) المصدر السابق ص ٦٥ .

(٦) مروج الذهب ج١ ص ١٦٤ .

بالزندقة على مزدك . والخوارزمي أول المؤرخين الذين أوضحوا أسباب تسمية مزدك زنديقًا فقال: (وأظهر كتابًا سماه زند وزعم أن فيه تأويل الابستا وهو كتاب المجوس الذي جاء به زرادشت .. فنسب أصحاب مزدك إلى زند فقيل زندي) [1] ، ويذهب التفتازاني [2] وابن كمال باشا[3] إلى ما ذهب إليه الخوارزمي في سبب تسمية مزدك زنديقًا .

ونظرًا لتزيين مزدك ركوب المحارم ودعوته إلى إشاعة المرأة فإن العباسي يعتبر الزنديق (معرب زن دين أي دين المرأة) [4] .

من هذا يتبين لنا أن الملوك الساسانيين قد اضطهدوا المانوية والمزدكية ، وأن المؤرخين القدامى والمحدثين أطلقوا على ماني ومزدك لفظ الزنديق في معرض الذم لأن كلا منهما وضع تفسيرًا لكتاب زرادشت «الافستا» ومن هنا أصبح من اليسير علينا أن نوضح سبب اختلاف المؤرخين في نسبة الزندقة إلى ماني تارة وإلى مزدك تارة أخرى فالواقع أن كلاً منهما استحق الحكم بالزندقة وعليه أصبحت لفظة زنديق تطلق على من وضع تفسيرًا للافستا ، وعلى من أخذ بتفسير ماني ومزدك أو بتفسيريهما وفي ذلك يقول بروكلمان: (أن هذه الكلمة ـ زنديق ـ كانت على عهد الساسانيين صفة ينبني بها كل من يجرأ على تفسير الابستا تفسيرًا غير رشيد) [5] .

ولم تذكر المصادر شيئًا عن علاقة الزندقة بنبي آخر غير ماني ومزدك على الرغم من أن (كلا من أصحاب مرقيون وأصحاب ابن ديصان له إنجيل يخالف بعضه هذه الأناجيل) [6] ويتناقض مع الأفستا .

---

(١) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٢٥ مطبعة الشرق القاهرة .

(٢) انظر شرح مقاصد الطالبيين في حكم أصول الدين ج٢ ص ٢٦٩ ، طبعة أستانبول سنة ١٣٠٥ هـ .

(٣) انظر رسالة في تصحيح لفظ الزنديق ص١ .

(٤) العباسي : معاهد التنصيص ج١ ص ٧١ دار الطباعة المصرية ، القاهرة سنة ١٢٧٤هـ .

(٥) تاريخ الشعوب الإسلامية الترجمة العربية ج٢ ص ١٦ .

(٦) البيروني : الآثار الباقية ص ٢٣ .

ويشير المسعودي في حديثه عن ابن المقفع وانتشار الزندقة فيقول ... مما نقله عبد الله بن المقفع وغيره من الفارسية والفهلوية إلى العربية يبدأ المذاهب المنانية والديصانية والمرقونية فكثر بذلك الزنادقة)[1] لم أقف على مؤرخ أطلق على المرقونية أو الديصانية الحكم بالزندقة على الرغم من قول ابن ديصان ومرقيون بآراء تتناقض والزرادشتية وهناك عبارة واحدة لابن حجر العسقلاني يعتبر فيها (أن أصل الزنادقة أتباع ديصان وأني ومزدك)[2] دون أن يوضح ابن حجر العلاقة بين ديصان والزندقة للدور الذي قام به فاستحق أتباعه أن يكونوا من الزنادقة كما هم أتباع ماني ومزدك.

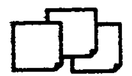


الدهرية والزندقة :

والدهرية تنكر الخالق وتعتقد بالقدم وعدم حدوث العالم ، ولم تشر المصادر إلى وجود هذه العقيدة في الحضارة الإيرانية لأن العقيدة الثنوية هي الصفة المشتركة للديانات الإيرانية كافة والثنوية تؤمن بوجود إلهين أما الدهرية فإنها تنكر الألوهية أساسًا ، وعلى الرغم من ذلك نجد معظم قواميس اللغة العربية تفسر لفظ زنديق على أنه (فارسي معرب كان أصله كرد ، زنده الحياة ، وكرد العمل أي يقول بدوام الدهر)[3] وذهب ابن سيده إلى هذا التفسير فقال: (الزنديق فارسي معرب كأن أصله عندهم زندكر أي يقولون ببقاء الدهر)[4] ويردد ذات العبارة ابن منظور في لسان العرب[5] . ويبدو أن تغييرات جرت على زنده كرد عند تعريبها فأصبحت زنديقًا والذي يظهر أن اللغويين حينما أدركوا أن لفظ زنديق فارسي بحثوا

(١) مروج الذهب ج٨ ٢٨٢ ـ ٢٩٣ طبعة باريس سنة ١٨٧٤م .
(٢) العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري ج١٢ ص ١١٩ ـ ٢٢٠ .
(٣) ابن دريد : جمهرة اللغة ج٣ ص ٥٠٤ ط١ حيدر آباد ١٣٤٥ هـ .
(٤) ابن سيده : كتاب المخصص ج١٤ ص ٤٣ ط١ المطبعة الكبرى بولاق سنة ١٣١٩هـ .
(٥) ابن منظور : لسان العرب ج١٢ ص ١٢ الطبعة الأولى بولاق ١٣٠٣هـ .

عن أصله في اللغة الفارسية فقالوا أن أصله (زنده كرد) ولما كانت زنده كرد تعني بقاء الدهر حكموا على أن الدهرية هي الزندقة على الرغم من عدم وجود معتقدات دهرية في المنطقة الإيرانية وليس ثمة علاقة بين الديانات الإيرانية الثنوية والدهرية الملحدة .



٢ـ الزندقة في الحضارة الإسلامية :

الزندقة في أيام الرسول والخلفاء الراشدين :

الزندقة مظهر من مظاهر الشعوبية الدينية أطلق على معان عدة مختلفة تدخل معظمها في إطار الحركة الشعوبية [١] ، وعليه من الضروري الوقوف على الحالات التي أطلق عليها هذا الحكم في الفترة موضوع بحثنا .

لم ترد كلمة زنديق في القرآن الكريم [٢] ، كما لم ترد في أحاديث الرسول ﷺ إلا مرات قليلة فقد أوردها ابن حنبل في مسنده مرتين بمعنى واحد (... قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«سيكون في هذه الأمة مسخ إلا وذلك من المكذبين بالقدر والزنديقية»** [٣] وقال ﷺ : **« ... أنه سيكون في أمتي مسخ وقذف وهو من الزنديقية والقدرية»** [٤] ، ولم يوضح ابن حنبل ما قصده الرسول من أمر هؤلاء الزنديقية ، كما لم يحدثنا عن آرائهم ومعتقداتهم ، ويبدو أن هؤلاء الزنادقة كانوا يمثلون معتقدات قائمة بنفسها حيث ورد اسمهم باعتبارهم ديانة لها مقوماتها الخاصة بها .

ويروي الإمام الغزالي حديثًا آخر للرسول ﷺ ترد فيه كلمة الزنادقة

---

(١) عبد الرحمن بدوي : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص ٢٣ ـ ٢٤ ، القاهرة ١٩٤٥م .

(٢) ابن تيمية : بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ص ٦٢ ، ٦٣ ، القاهرة ١٣٢٩ هـ ١٨٩١م .

(٣) ابن حنبل : المسند ج٢ ص ١٠٨ القاهرة ١٣١٣هـ .

(٤) المصدر السابق ج٢ ص ١٣٦ .

وهو قوله ﷺ: «ستفترق أمتي بضعًا وسبعين فرقة كلهم في الجنة إلا الزنادقة»[1] ولم يوضح الغزالي المقصود بهؤلاء الزنادقة كما لم يذكر آراءهم التي حرمت عليهم الدخول في الجنة، وقد فسر الغزالي معنى الزندقة وقال الزندقة: (أن تنكر أصل المعاد عقليًا وحسيًا وتنكر الصانع للعالم أصلاً ورأسًا)[2] إلا أن الغزالي لم يشر إلى العلاقة بين الزنادقة التي وردت في حديث الرسول وهذا المعنى للزندقة الذي ذهب إليه، ومن المحتمل أن هذا المعنى يمثل مفهوم الزندقة المتعارف عليه في أيام الغزالي دون أن تكون له علاقة في معنى الزنادقة التي جاءت في حديث الرسول.

ولم ترد كلمة زنديق في كتب الحديث الأخرى، كما لم أقف على استعمال لهذه الكلمة في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان (رضوان الله تعالى عليهم) وهذا مما يشكك في صحة الأحاديث التي أوردها ابن حنبل والغزالي ويؤكد استنتاج ابن تيمية حين قال: فلفظ زنديق لا يوجد في كلام النبي ﷺ[3]

ويذكر ابن حنبل لفظ الزنادقة في حديثه عن الإمام علي رضي الله عنه فيقول: «أن عليا رضي الله عنه أتى بقوم من هؤلاء الزنادقة ومعهم كتب فأمر بنار فأججت ثم أحرقهم وكتبهم»[4] ولم يشر ابن حنبل إلى ما في كتب هؤلاء الزنادقة من آراء، كما لم يوضح المقصود بزندقتهم، إلا أن ابن حنبل يذكر تعقيب ابن عباس على إجراء الإمام علي حيث قال: «لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ من بدل دينه فاقتلوه»[5] ومن هذا يتبين لنا أن هؤلاء الزنادقة قد استحقوا هذا الحكم لأنهم بدلوا دينهم الإسلامي بدين آخر، ومن الجدير ذكره أن إجراء الإمام علي هذا كان في شأن السبئية حين غلت في صفات الإمام علي وغيره من الأئمة

(١) الغزالي: فيصل التفرقة ص١٩٣.

(٢) المصدر السابق ص ١٩٣.

(٣) بغية المرتاد ص ٦١ - ٦٢.

(٤) ابن حنبل: المسند ج١ ص ٢٨٢.

(٥) المصدر السابق ج١ ص ٢٨٢.

وقالت في علي: أنت الإله وادعت بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة [١] ، وعلى هذا فإن أراء السبئية الغالية تعتبر تبديلاً في الدين وأن هذا التبديل يعتبر زندقة .

ويورد الطبرسي [٢] لفظ الزنادقة في معرض حديثه عن الإمام علي فيقول: (جاء بعض الزنادقة إلى أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ وقال له لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلت في دينكم) [٣] ولا نستطيع الجزم من نص الطبرسي أن هذا التسمية أطلقت أيام الإمام علي أو أن الطبرسي أطلقها بناء على اجتهاده هو وأراد بها مفهومًا يتناسب والمرحلة التي كان يعيش فيها ، وإذا فرضنا أنها أطلقت في أيام الإمام علي فيكون إطلاق الزندقة على من طعن في القرآن وادعى أن فيه تناقضًا واختلافًا .

ومن هذا يمكن القول أن الزندقة أطلقت أيام الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين على الذين بدلوا دينهم الإسلامي بدين آخر وعلى الذين طعنوا في القرآن الكريم .



(١) انظر : الفرق بين الفرق ص ٤٣ والملل والنحل ج٢ ص ١١ .
(٢) هو أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي المتوفي في أواخر القرن الخامس الهجري .
(٣) الطبرسي : الاحتجاج على أهل اللجاج ص ١١٩ طهران ١٣٠٢ هـ .

الزندقة في أيام الأمويين :

يعتبر الإمام جعفر الصادق (ع) (٨٠ـ١٤٨ هـ) من أشهر المفكرين العرب الذين دافعوا عن الإسلام وردوا على خصومه ، إلا أنه لم يستعمل لفظة الزندقة في كتابه (توحيد المفضل) الذي رد فيه على المانوية واكتفى بالقول فيها: (كالذي أقدمت عليه المنانية الكفرة وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة)[١] وقال في ماني: (... بل العجب من المخذول ماني حين ادعى علم الأسرار وعمي عن دلائل الحكمة في الخلق حتى نسبه إلى الخطأ)[٢] فإنه على الرغم من شهرة ماني بالزندقة وادعائه علم الأسرار وطعنه في ذات الله فإن الإمام الصادق اكتفى بوصفه بالمخذول .

ويذكر الكليني أن الصادق استعمل لفظ زنديق بصدد أبي شاكر الديصاني الذي ادعي (أن في القرآن آية هي قولنا ـ هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ـ فقال الصادق هذا كلام زنديق خبيث)[٣] فإذا صح هذا القول عن الإمام الصادق فتكون الزندقة قد أطلقت في مرحلة من مراحل حياته على من أنكر التوحيد وقال بوجود إلهين كما نرى ذلك واضحًا في قول الديصاني.

وألف القاسم بن إبراهيم المتوفي ٢٤٦هـ[٤] وهو من الزيدية (كتاب الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع) تناول فيه آراء ابن المقفع وناقشها ورد عليها فقال في ابن المقفع: (ثم خلف من بعد ماني خلف سوء ابن المقفع فورث عن ماني في كفره ميراثه وحاز عن أبيه ماني فيه تراثه)[٥] ، وفند القاسم معتقدات ابن المقفع المانوية فقال: (وزعم ابن المقفع أنه لا يرى في الأشياء كلها إلا مزاجًا مختلطًا كذلك زعم أن النور والظلمة اللذين هما

(١) الصادق : توحيد المفضل ص ٥ ـ ٦ . النجف ١٣٦٩ هـ .
(٢) المصدر السابق ص ٥ ـ ٦ .
(٣) الكليني : أصول الكافي ج٣ ق ٢ ص ١٧٣ .
(٤) انظر : ماني ودين أو ص ٧٧ .
(٥) القاسم : كتاب الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع ص ٤ ، طبعة روما ١٩٢٧م .

عنده الجهل والحكمة) [1] ومن هذه الأقوال التي رد بها القاسم نستطيع أن نستنتج أن الزندقة التي أشار فيها إلى ابن المقفع كانت تعني المانوية وأن ابن المقفع استحق الحكم بالزنديق لإيمانه بها .

وفي حديث أبي الفرج الأصفهاني عن الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال: (كان فاسقًا خليعًا متهمًا في دينه مرميًا بالزندقة) [2] ووضح الأصفهاني سبب الحكم على الوليد بالزندقة فقال: (كان الوليد زنديقًا، وكان رجل من كلب يقول بمقالته مقالة الثنوية ... فدخلت على الوليد يومًا وذلك الكلبي عنده وإذا بينهما سفط قد رفع رأسه عنه فإذا ما يبدو لي منه حرير أخضر .. فقال: يا علاء هذا ماني لم يبتعث الله نبيًا قبله ولم يبتعث نبيًا بعده) [3] وسواء أكانت هذه التهمة بحق الوليد صحيحة أم غير صحيحة أو أنها متأخرة فإن اتهام الوليد بالزندقة كان بسبب إيمانه بالمانوية والقول بنبوة ماني ونكرانه الأنبياء من قبل ماني ومن بعده .

وذكر الأصفهاني (كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون ، حماد عجرد وحماد الزبرقان وحماد الراوية يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة وكأنهم نفس واحدة وكانوا يرمون بالزندقة) [4] ، إلا أن الأصفهاني لم يوضح المراد بالزندقة التي كان الحمادون يرمون بها .

وقد اعتبر ابن النديم المانوية هم الزنادقة وقد أطلق على عدد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية حكم الزندقة فقال تحت عنوان ـ أسماء ذكر رؤساء المنانية ـ [5] (ومن رؤسائهم المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة ابن طالوت وأبو شاكر ابن أخي شاكر بن

(١) المصدر السابق ص ٥١ .
(٢) الأصفهاني : الأغاني ج٦ ص ٩٩ ، طبعة ساسي وسأعتمد هذه الطبعة .
(٣) المصدر السابق ج٦ ص ١٣١ ـ ١٣٢ .
(٤) الأغاني ج١٥ ص ١٥٧ .
(٥) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٦ .

الأعدي الحريزي وابن أبي العوجا وصالح بن عبد القدوس ولهؤلاء كتب مصنفة في نصرة الاثنين ومذاهب أهلها)[1] .

ويؤكد البيروني عند حديثه على بعض من عرف بالزندقة أن المانوية هي الزندقة فيقول: « ثم جاءت طامة أخرى من جهة الزندقة أصحاب ماني كابن المقفع وكعبد الكريم بن أبي العوجاء فشككوا ضعاف الغرائز في الواحد الأول من جهة التعديل وأمالوهم إلى التثنية وزينوا عندهم سيرة ماني »[2] .

وقد اعتبر ابن نباته المصري غيلان الدمشقي زنديقًا فقال فيه (غيلان أول من تكلم في القدر وخلق القرآن في الإسلام)[3] ثم قال مخاطبًا إياه: «.... ثم تحولت بعد ذلك قدريًا زنديقًا»[4] وقد ذكر الذهبي أن أبا الحسن المدائني قد حكم على الجعد بن درهم بالزندقة ويوضح الذهبي أسباب الحكم على الجعد بالزندقة فيقول أنه كان يقول: «إن الله لا يتكلم ... وزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليما »[5] ويضيف السيد المرتضي: «إن الجعد جعل في قارورة ترابا وماء فاستحال دودًا وهوام ، فقال لأصحابه: أنا خلقت ذلك لأني كنت سبب كونه »[6] .

ومن هذا يتضح أن الزندقة أطلقت في الفترة الأموية على المانوية ، وعلى القائلين بخلق القرآن ونكران بعض آياته وعلى المدعين الربوبية ، وكل هذه الآراء والمعتقدات مناهضة للإسلام وعملت على محاربته .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٨٧ .

(٢) البيروني : تحقيق ما للهند ص ١٣٢ .

(٣) ابن نباته : سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ص ٢٨٩ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة المدني القاهرة ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م .

(٤) المصدر السابق ص ٢٩٠ .

(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام ج٤ ص ٢٣٩ مطبعة السعادة القاهرة ١٣٦٤هـ .

(٦) المرتضى : أمالي المرتضى ج١ ص ٢٨٤ .

٣ ـ الزندقة في العصر العباسي الأول :

لقد قويت حركة الزندقة في هذا العصر واستفحل خطرها مما حمل المسؤولين على مقاومتها بشدة فاضطر الزنادقة أن يتظاهروا بمظاهر متعددة ويسلكوا أساليب مختلفة من أجل التستر على حركتهم فاتسع إطلاق لفظ الزندقة في هذه الفترة اتساعًا كبيرًا [١] .

لقد أطلقت الزندقة على المانوية في نطاق واسع فالجاحظ في حديثه عن التشابه بين معتقدات المسيحية والزندقة (وأنت إذا سمعت كلامهم في العفو والصفح وذكرهم للسياحة وزرايتهم على كل من أكل اللحمان ورغبتهم في أكل الحبوب وترك الحيوان وتزهيدهم في النكاح وتركهم لطلب الولد ومديحهم للجاثليق والمطران والأسقف والرهبان وتعظيمهم الرؤساء علمت أن بين دينهم وبين الزندقة نسبا) [٢] إن هذه الآراء والمعتقدات التي اعتبر الجاحظ أن بينها وبين المسيحية نسبًا هي آراء ومعتقدات المانوية .

وقد أطلق الجاحظ الحكم بالزندقة على عدد من الأشخاص فقال: «وكان حماد عجرد وحماد الراوية وحماد الزبرقان ويونس بن فروة وعلي بن الخليل ويزيد بن الفيض وعبادة وجميل بن محفوظ وقاسم بن زنقطة ومطيع ووالبة ابن الحباب وأبان بن عبد الحميد وعمارة بن حربية يتواصلون وكأنهم نفس واحدة » [٣] ويبدو أن سبب الحكم على هؤلاء بالزندقة كان لإيمانهم بالمانوية ومما يؤكد ذلك ما قاله أبو نواس في واحد منهم وهو إبان ابن عبد الحميد حيث قال فيه :

---

(١) انظر: حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ج٢ ص ١١٥ ط ٧ ومقالة الأستاذ فيدا : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص ٣١ ـ ٣٢ .

(٢) الجاحظ : المختار من كتاب الرد على النصارى ص ١٦ ، القاهرة ١٩٢٦م .

(٣) الجاحظ في كتاب الحيوان ج٤ ص ٤٤٧، ٤٤٨ تحقيق عبد السلام هارون القاهرة .

جالست يومًا أبانا لا در در أبان
فقلت سبحان ربي فقال سبحان ماني [١]

وعلى أثر وقوف الخليفة المهدي على مقالة أحد الزنادقة توجه إلى ابنه الهادي يوصيه بضرورة محاربة الزنادقة فقال: (يا بني إن صار لك هذا الأمر المجرد لهذه العصابة - يعني أصحاب ماني - فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخرة ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرجًا وتحوبًا ثم تخرجهما من عبادة اثنين أحدهما النور والآخر الظلمة ثم تبيح بعد ذلك نكاح الأخوات البنات والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال) [٢] فهذه الوصية توضح أن الزندقة في مفهوم المهدي كانت المانوية وفي ذلك يقول الأستاذ فيدا : (إن الزندقة التي حاربها المهدي والهادي في شخص هؤلاء الزنادقة هي المانوية ولا وبالذات) [٣] . ويفسر الأستاذ بيفن معنى كلمة زندقة فيقول: (أن الزندقة مأخوذة من كلمة صديق حيث كان يطلق على زهاد المانوية الصديقون » لأن هؤلاء كانوا يفرضون على أنفسهم إيثار المسكنة وقمع الشهوة ورفض الدنيا والزهد فيها ومواصلة الصوم والتصدق وتحريم اقتناء شيء خلا قوت يوم ولباس سنة وقد تحولت كلمة صديق رامية إلى «زنديك» في اللغة الفارسية ثم عربت هذه إلى زنديق وعلى هذا أصل الكلمة أطلق على زهاد المانوية) [٤] وسواء أكانت الزندقة قد كانت على المانوية أم على زهادها فإن الزندقة في رأي بيفن لا زالت مرتبطة بالمانوية .

(١) الجاحظ : كتاب الحيوان ج ٤ ص ٤٤٧ - ٤٤٨ تحقيق عبد السلام هارون .

(٢) الطبري : ج ١٠ ص ٤٢ الطبعة الحسينية .

(٣) عبد الرحمن بدوي : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص ٣١ - ٣٢ .

(٤) انظر من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص ٣١ و Browne, vol, I. p. 100

وقد تحدث ابن النديم عن عدد من الزنادقة بسبب إيمانهم بالمانوية وهم (ابن أبي العوجاء وصالح بن عبد القدوس ... وبشار بن برد وإسحاق بن برد وإسحاق بن خلف بن سابه وسلم الخاسر وعلي بن الخليل وعلي بن ثابت .. وأبو عيسى الوراق وأبو العباس الناشيء والجيهاني محمد بن أحمد ... وأن البرامكة بأسرها إلا محمد بن خالد البرمكي كانت زنادقة وقيل في الفضل وأخيه الحسن مثل ذلك وكان محمد بن عبيد الله كاتب المهدي زنديقًا)[١].

وقد أصبحت للمانوية كتب خاصة بها يدل اقتناؤها والإيمان بها على زندقة الشخص فقد أحضر الرشيد بنت مطيع بن إياس - الذي اتهم بالزندقة لما نويته فقالت: (فقرأت كتابهم واعترفت به وقالت هذا دين علمنيه أبي)[٢].

وقد استمر الحكم بالزندقة يطلق على المانوية طوال العصر العباسي الأول حتى أصبح الحكم على الشخص بالزندقة أو عدمها التبرؤ من ماني وشتمه ، فإنه لما اتهم أبو نواس بالزندقة جيء به إلى صاحب الزنادقة فخط له صورة ماني وقال أبصق عليه فأهوى أبو نواس بيده إلى فيه وقاء عليها فخلى سبيله[٣] ، وحاكم المأمون عشرة من الزنادقة (بضروب المحن منها إظهار صورة ماني والأمر بالتفل عليها والتبرؤ منها)[٤].

وعلى الرغم من أن الديانة الزرادشتية كانت الديانة الرسمية في الدولة الإيرانية طوال العصر الساساني وعلى الرغم من أنها ديانة ثنوية اصطدمت

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

(٢) انظر الأغاني ج ١٢ ص ٨٥ و : Bukhsh, Islamic Civilization (Calcutta) 1929, Vol . I . p . 100 .

(٣) أبو عبد الله الأصفهاني : شرح ديوان أبي نواس ج٣ ص ١٨٥ - ١٨٦ طبعة باريس ١٩٢٥ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج٧ ص ١٥ طبعة باريس ١٨٧٤م .

بالإسلام الموحد فإنه لم ترد إشارة أو حكم على شخص اتهم بالزندقة بسبب إيمانه بالزرادشتية ، كما لم أقف على زنديق أطلقت عليه الزندقة بسبب إيمانه بالمزدكية على الرغم من أن الخوارزمي ومن جاء بعده كالتفتازاني وابن كمال باشا قرروا (أن المزدكية من الفرق الثنوية ... وهم الزنادقة)[1] .

ويبدو أن المانوية استطاعت أن تضم إلى صفوفها معظم أصحاب الديانات الثنوية الأخرى وأن تستوعب نشاطهم وتوجهه وفقًا لخططها ، ويظهر أن اتباع هذه الديانات وجدوا في المانوية مجالاً للتستر لأن أراءها (تجمع آراء مسيحية وزرادشتية)[2] ولم تكن المسيحية مضطهدة آنذاك كما أن في طقوس المانوية تشابهًا مع الطقوس الإسلامية لا سيما بخصوص الصلاة والصوم والوضوء بحيث يمكن التظاهر بهذه الشعائر للتستر على الزندقة[3] كما وجدوا في المانوية تراثًا قوميًا يجب الحرص عليه إرضاء للنعرة القومية وإشباعًا للنزعة الشعوبية[4] .

وقد أطلق المؤرخون الزندقة على الدهرية ومن الذين اتهموا بالزندقة لقولهم بالدهر أبو نواس الشاعر فقد ذكر أنه وجد هذان البيتان في بيته بعد موته :

باح لساني بمضمر السر	وذاك أني أقول بالدهر
وليس بعد الممات حادثة	وإنما الموت بيضة العقر[5]

وبهذين البيتين حكم أبو سعيد نشوان على أبي نواس بالزندقة ولم أقف على مصدر آخر يؤيد ما ذهب إليه أبو سعيد نشوان ، فهناك من يقول بزندقة أبي نواس ولكن ليس لإيمانه بالدهرية .

(١) ابن كمال باشا : رسالة في تصحيح لفظ الزنديق ص ١ .
(٢) الدوري : العصر العباسي الأول ص ١١١ .
(٣) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص ٧٣ ـ ٧٤ .
(٤) عبد الرحمن بدوي : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص ٣٤ .
(٥) أبو سعيد نشوان : الحور العين ص ١٩٢ ـ ١٩٣ القاهرة ١٣٦٧ هـ .

وقد انتشر إطلاق الزندقة على الدهرية حتى أصبح لا يختلف عن إطلاقه على الثنوية فالمسعودي يرى (الثنوية هم الزنادقة وألحق بهؤلاء سائر من اعتقد القدم وأبى حدوث العالم) [١] ولا ريب أن الاعتقاد بالقدم وإنكار حدوث العالم هو قول الدهرية . ويذهب أبو العلاء المعري إلى أبعد مما ذهب إليه المسعودي فيقول: (الزنادقة هم الذين يسمون الدهرية لا يقولون بنبوة ولا كتاب) [٢] وابن قيم الجوزية يذهب إلى ما ذهب إليه المعري فيقول :(زنادقة العالم الذين لا يؤمنون بالله ورسوله وكتبه واليوم الآخر) [٣] ، وابن تيمية يجعل الزندقة وقفًا على الدهرية فيقول: (وأما الزندقة المطلقة فهو أن ينكر أصل المعاد عقليًا وحسيًا وينكر الصانع للعالم)[٤] ، ومما يؤكد انتشار إطلاق الزندقة على الدهرية أن معظم معاجم اللغة العربية فسرت لفظ الزنديق على معنى الدهرية، فابن دريد يقول: (زنديق فارسي معرب كأن أصله زنده كرد ، زنده الحياة وكرد العمل أي يقول بدوام الدهر) [٥] ويذهب ابن سيده في المخصص [٦] وابن منظور في لسان العرب [٧] إلى ما ذهب إليه ابن دريد .

وعلى الرغم من انتشار إطلاق الزندقة على الدهرية لم تعين المصادر الفترة التي أطلقت فيها الزندقة عليهم كما لم تذكر أسماء الذين حكم عليهم بالزندقة لإيمانهم بالدهرية ، كما لم تشر إلى نشاطهم ولا إلى مواقف السلطة والشعب منهم على الرغم من هذا الاتساع في إطلاق الزندقة على الدهرية لم أقف على أسمائهم أو أسماء قادتهم ولا على كتبهم وطبيعة عملهم

(١) المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ١٦٧ ـ ١٦٨ ، طبعة باريس.

(٢) المعري : رسالة الغفران ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ ، القاهرة ١٩٥٠ م .

(٣) ابن قيم الجوزية : إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ج ٢ ص ٢٤٦ القاهرة ١٣٥٧ ـ ١٣٥٨هـ.

(٤) ابن تيمية : كتاب بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ص ٦١ ـ ٦٣ .

(٥) ابن دريد : جمهرة اللغة ج٣ ص ٥٠٤ ـ ٥٠٥ .

(٦) انظر المخصص ج١٤ ص ٤٣ ، الطبعة الأولى بولاق ١٣٢٠ هـ .

(٧) انظر لسان العرب ج١٢ ص ١٢ ، الطبعة الأولى بولاق ١٣٠٢ هـ.

ولم أستطع أن أجد لهذه الظاهرة تفسيرًا .

وقد أطلق الحكم بالزندقة على المجون والمجان ففي مناقشة المهدي مع شريك بن عبد الله القاضي قال المهدي لشريك: «يا زنديق لأقتلنك» ، فضحك شريك ، فقال : «يا أمير المؤمنين إن للزنادقة علامات يعرفون بها: شربهم القهوات واتخاذهم القينات» [1] ، ففي جواب شريك دليل على أن هناك علامات للزندقة ، ومن تدقيق النظر فيما ذكره شريك نجد أن شرب القهوات [2] واتخاذ القينات من علامات الزندقة . ويؤيد صحة ما ذهبنا إليه من أن الزندقة كانت تطلق بسبب المجون ما قاله أبو نواس في حماد عجرد: (كنت أتهم حماد عجرد إنما يرمي بالزندقة لمجونه في شعره ، حتى حبست في الزنادقة ، فإذا حماد عجرد إمام من أئمتهم ، وإذا له شعر مزاوج بيتين بيتين به في صلاتهم) [3] . ويؤيد الأستاذ جب من أن الزندقة أطلقت على المجون ، فيقول: (وتجلت الزندقة بصورة أوضح في الاستهتار والاستخفاف بالمذاهب الخلقية التي تنضوي تحت اسم المجون) [4] .

قد أطلقت الزندقة على الظرف والظرفاء ومن الذين أطلقت عليهم الزندقة بسبب ذلك محمد بن زياد الحاركي فقد كان يظهر الزندقة تظارفًا، قال فيه ابن مناذر :

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٠ ص ١٥٣ ، مطبعة السعادة سنة ١٣٥٨ هـ .

(٢) المقصود بالقهوات ليست القهوة المعروفة بل كناية عن شراب مسكر قهوة بهذا المعنى في شعر الوليد بن يزيد :

ما لعيش إلا سماع محسنة … وقهوة تترك الفتى ثملا

رسالة الغفران ص ٣٧٨ .

(٣)الأصفهاني : الأغاني ج١٣ ص ٧١ .

(٤) جب : دراسات في حضارة الإسلام الترجمة ص ٩١ .

ابـن زيـاد يـا أبـا جعفـر — أظهـرت دينـا غـير مـا تخفـي
زنـدق الظـاهر بـاللفظ في — بـاطن إسـلام فتـى عـف
لسـت بزنـديق ولكـنـما — أردت أن توسـم بـالظرف[1]

يحيى بن زياد يرمي بالزندقة وكان من أظرف الناس وأنظفهم فكان يقال أظرف من الزنديق[2] ، وإلى هذا المعنى قال أبو نواس : (تيه مغن وظرف زنديق)[3] .

من هذا العرض يتبين لنا أن الزندقة أطلقت على أشخاص وآراء ومواقف استهدفت محاربة الإسلام ، فقد أطلقت على من بدل دينه الإسلامي بدين آخر وعلى من طعن في القرآن وأنكر بعض آياته وعلى من قال بالقدر وادعى الربوبية كما أطلقت على من أنكر التوحيد وقال بوجود إلهين وأطلقت على المانوية والدهرية وعلى المجون والظرف ، وعلى هذا فالزندقة مظهر أساسي من مظاهر الشعوبية وهي أعلى مراحل التحدي الديني والفكري والاجتماعي للإسلام[4] التي استهدفت هدم الإسلام من الداخل لأن الشعوبية قد أدركت العلاقة العضوية بين العروبة والإسلام وأدركت أن هدم الإسلام هو السبيل لتحقيق أهدافهم الأخرى[5] لأن ضياع ملكهم كان على يد العرب ولم يكن يتأتى للعرب لولا دينهم الجديد وهو الإسلام فكرهوا العرب وكرهوا الإسلام[6] .



(١) الأغاني ج١٧ ص ١٥ .
(٢) المصدر السابق ج ١٧ ص ١٥ .
(٣) المرتضى : أمالي المرتضى ج١ ص ١٤٣ ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٥٤م .
(٤) جب : دراسات في حضارة الإسلام الترجمة ص ٩٢ .
(٥) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص ٤٧ .
(٦) أحمد أمين : ضحي الإسلام ج١ ص ١٦٥ ، الطبعة الخامسة وسأعتمد هذه الطبعة .

ثانيًا. الشعوبية العنصرية :

١. الأشخاص والمواقف التي أطلق عليها الحكم بالشعوبية ...

لم ترد كلمة الشعوبية في القرآن الكريم ، كما لم ترد في حديث الرسول ﷺ وقد وردت كلمة شعوب في الآية الكريمة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ [الحجرات : ١٣] ولم تفسر كلمة شعوب بمعنى الشعوبية أو بأنها تعني شعبًا بينا في أيام الرسول أو في أيام الراشدين أو الأمويين ، وذلك لأن لفظ الشعوبية (لم يستعمل إلا في العصر العباسي الأول وأقدم ما وصل إلينا من الكتب التي استعملت لفظ الشعوبية كتاب البيان والتبيين للجاحظ)[(١)] .

في العصر العباسي استغلت الشعوبية هذه الآية وكلمة شعوب منها وفي ذلك يقول الكردي : « الشعوبية لتعلقهم بقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾[(٢)] وادعت الشعوبية أن لفظ الشعوبية مشتق من الشعوب مفرد شعب وهو أوسع من القبيلة واعتبرت القبائل للعرب والشعوب للعجم[(٣)] .

وعلى الرغم من قيام مؤامرات استهدفت الكيان العربي وظهور عدد من الشعراء والكتاب بنشاط معاد للعرب أيام الراشدين والأمويين فإن معاصريهم يطلقوا عليهم الحكم بالشعوبية ، فقد أنشد إسماعيل بن يسار قصيدة في هشام بن عبد الملك افتخر فيها بقومه الفرس وذم العرب فغضب هشام فقال له: (أعلي تفخر وإياي تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام ج١ ص ٥٧ ـ ٥٩ .

(٢) الكردي : حاشية على كتاب مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة لأبي الإمام الموفق ابن أحمد ج١ ص ٦٤ ـ ٦٥ الطبعة الأولى القاهرة ١٣٢١ هـ .

(٣) انظر : رسائل البلغاء كتاب العرب ص ٣٤٤ ـ ٣٤٦ وابن منظور : لسان العرب ج ١ ص ٤٨٢ والألوسي بلوغ الارب ج١ ص ١٦١ ـ ١٦٢ .

قومك)[1] يسم هشام إسماعيل بن يسار شعوبيًّا كما لم يسمه غيره بذلك مما يدل على أن استعمال لفظ الشعوبية لم يبدأ بعد ، إلا أن عدم استعماله في هذه الفترة لا يعني عدم وجود مواقف وآراء وأشخاص تدخل في نطاق الشعوبية .

وفي العصر العباسي استعمل الجاحظ لفظ الشعوبية ، وأطلقها على آراء ومواقف متعددة فقال مرة: (ونبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية ومن على باسم التسوية)[2] وذلك حينما رفع بعض الشعوبيين شعار المساواة بين العرب وغيرهم ، وقد أطلق الجاحظ هذا الحكم على مواقف معادية للرسول والصحابة فقال: (والشعوبية ... المبغضون لآل النبي وأصحابه ممن فتح الفتوح وقتل المجوس وجاء بالإسلام)[3] وكذلك استعمل هذا اللفظ باعتبار الشعوبية حركة معادية للعرب ودينهم فقال: (واعلم أنك لم تر قومًا أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدي على دينه ولا أشد استهلاكًا لعرضه ولا أطول نصبًا ولا أقل غنمًا من أهل هذه النحلة)[4] .

وعلى الرغم من اهتمام الجاحظ بالشعوبية وتأليفه عددًا من الكتب في الرد عليها ومعاصرته فريقًا من مشاهير الشعوبيين فإنه لم يطلق على أي منهم لفظ الشعوبية ، فهو في حديثه عن أبي عبيدة معمر بن المثني مع ما عرف من معاداة للعرب اكتفي بالقول فيه: (... وهذا التأويل أخرجه من أبي عبيدة سوء الرأي في القوم)[5] ويبدو أن الجاحظ قد ركز اهتمامه على الشعوبية كحركة معادية للعرب والإسلام ورد عليها دون الاهتمام بأشخاصها .

(١) الأصفهاني : الأغاني ج٤ ص ١٢٤ .
(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ج٣ ص ٤ ـ ٥ تحقيق السندوبي ، مطبعة الرحمانية القاهرة ١٩٣٢ م .
(٣) الجاحظ : البخلاء ص ٢٢٨ تحقيق طه الحاجري مطبعة دار المعارف القاهرة ١٩٥٨م .
(٤) البيان والتبيين ج٣ ص ٢٢ .
(٥) المصدر السابق ج١ ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .

وقد أطلق أبو الفرج الأصفهاني الحكم بالشعوبية على الشاعر إسماعيل ابن يسار مولي تيم بن مرة [1] فقال فيه: (كان شعوبيًا شديد التعصب للعجم وله شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم) [2]، وأضاف قائلاً: (كان مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم) [3]، ومن أشعاره التي أشاد بها بقومه الفرس وذم العرب قوله :

إنما سمي الفوارس بالفر ... س مضاهاة رفعة الأنساب

فاتركي الفخر يا إمام علينا ... واتركي الجور وانطقي بالصواب

واسألي إن جهلت عنا وعنكم ... كيف كنا في سالف الأحقاب

إذ نربي بناتنا وتدسو ... ن سفاها بناتكم في التراب [4]

وقد أنشد إسماعيل بن يسار في حضرة الخليفة هشام بن عبد الملك مفتخرًا بقومه على حساب العرب فقال :

إني وجدك ما عودي بذي خور ... عند الحفاظ ولا حوضي بمهدوم

أصلي كريم ومجدي لا يقاس به ... ولي لسان كحد السيف مسموم

أحمي به مجد أقوام ذوي حسب ... من كل قرم بتاج الملك معموم

من مثل كسرى وسابور الجنود معا ... والهرمزان لفخر أو لتعظيم

هناك إن تسألي تنبي بأن لنا ... جرثومة قهرت عز الجراثيم [5]

قال ياقوت الحموي في أبي عبيدة معمر بن المثني مولى بني تيم قريش [6]: كان عالمًا بالشعر والغريب والنسب .. قيل عنه كان شعوبيًا) [7] إلا أن

---

(١) العيي عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم .
(٢) المصدر السابق ج٤ ص ١٢٤ .
(٣) المصدر السابق ج٤ ص ١٢٤ .
(٤) المصدر السابق ج٤ ص ١١٩ .
(٥) المصدر السابق ج٤ ص ١٢٤ .
(٦) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج٧ ص ١٦٤ ، الطبعة الأولى صحيح د . س . مرجليوث القاهرة ١٩٢٥م .
(٧) المصدر السابق ج٧ ص ١٦٥ .

ياقوت لم يذكر من الذي وصف أبا عبيدة بأنه كان شعوبيًا كما لم يذكر أسباب الحكم عليه بالشعوبية، وقال ابن خلكان في أبي عبيدة: (وكان يكره العرب وألف في مثاليها كتبًا)[1]، إلا أن ابن خلكان لم يطلق على أبي عبيدة صفة شعوبي.

ولقد ألف أبو عبيدة في ذم العرب ولم ينج من ذمه حتى النبي فقد وضع كتابًا للمثالب يطعن فيه على بعض أسباب النبي ﷺ[2]، ومن كتبه في مثالب العرب وذمهم (كتاب مرج راهط وكتاب للأفرات وكتاب العققة وكتاب أدعياء العرب وكتاب لصوص العرب وكتاب فضائل الفرس وكتاب النقائض بين جرير والفرزدق)[3] ومن أسماء هذه الكتب يتبين لنا أن أبا عبيدة كان معاديًا للعرب وأنه كان يعمل على الحط منهم ويفخر بالفرس وكان أبو عبيدة يضع الشروح التي تنطوي على ذم العرب ويختلق القصص اختلاقًا للطعن فيهم ومن شروحه المقذعة التي وضعها تفسيرًا لبعض أبيات كتابه النقائض بين جرير والفرزدق قوله: (ورأوا أم درداء السليطية عريانة تعدو فألقي قعنب بن عصمة عصابة كانت فوق بيضته عليها[4]، ومنها قوله: (أن عمرو بن المنذر أخذ امرأة زرارة وهي حبلى فبقر بطنها وانصرف وأنه أخذ الحمراء بنت ضمرة النهشلي فقذف بها في النار)[5] وقال في تشويه موقف العربي من جاره: (أن طوائف من بني تيم اللات بن ثعلبة نزلت في جوار رجلين من بني ثعلبة بن سعد بن ضبة يقال لهما كدام والمساور فأكل هذان من نزل عليهما منهم وجعلا يتعبثان

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٢٣ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد الطبعة الأولى مطبعة السعادة القاهرة ١٩٤٨م.

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٨٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٨٦ .

(٤) أبو عبيدة : النقائض تحقيق بيفان ص ٥٨٣ طبعة ليدن ١٩٠٨ـ١٩٠٩ م .

(٥) الزهيري : نقائض جرير والفرزدق ص ١٤٦ الطبعة الأولى بغداد ١٩٥٤م وسأعتمد هذه الطبعة .

بنسائهم) [١] ويعلق الدكتور محمود غناوي الزهيري على هذه القصص والشروح بقوله: (فكيف يتفق وطبيعة الأشياء أن تتعرى امرأة من ثيابها في الصحراء دونما سبب وكيف يعقل أن يجاهر عربي بالغدر في جيرانه والعبث بنسائهم .. بل كيف يعقل أن تقتل المرأة السبي وتحرق مع أن طبيعة التقاليد العربية في الحروب لا تجيز ذلك ، فلا شك عندي من أن هذا التصوير يراد به الطعن في العرب وتشويه سمعتهم وتاريخهم .. فأبو عبيدة كان يبغض العرب ويؤلف كتباً في مثالبها) [٢] ، وفي أبي عبيدة يقول الأستاذ أحمد أمين: (وليس للعرب حرمة في نفسه ... بل في نفسه الكراهية لهم فهو يطلق لسانه في هجوهم وذكر مثالبهم ، وأبو عبيدة يمثل فكرة الشعوبية والبحث عن مثالب العرب والتشهير بهم) [٣] ويعتبر نيكلسون أبا عبيدة من الذين وقفوا إلى جانب الشعوبية [٤] .

ويذهب الأستاذ جب في تبرئة أبي عبيدة من الشعوبية بحجة ما كتبه في الأدب واللغة فيقول: (فقد كانت خدماته نحو الآداب العربية أكبر من أن تحصى فمنه جاءت تقريبًا نصف المعلومات التي نقلها الرواة المتأخرون عن العصر الجاهلي ... وإن اعتبار أبي عبيدة بعد كل ما ذكرنا شعوبيًا يجب دروس يكون تناقضًا في التعبير) [٥] إلا أن الأستاذ جب يعترف بأن الشعوبية قد استغلت كتابات أبي عبيدة في معركتها مع العروبة فيقول وتستطيع أن تتصور السرور الذي استلم به أعداء العرب من شعوبية القرن الثالث الهجري ما في كتبه من مواد تخدم وتوضح هجاءهم للعرب) [٦]

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٦ .

(٢) الزهيري : نقائض جرير والفرزدق ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٣) أحمد أمين : ضحى الإسلام ج١ ص ٧٤ ـ ٧٥ .

(4 Nicholson, R.A. J A Literary History of the Arabs, p . 280

(٤)جب : دراسات في حضارة الإسلام الترجمة ص ٨٩ ـ ٩٠ .

(٥) المصدر السابق ص ٩٠ .

وقد استغل تقريب[1] الرشيد والمأمون له واحتضان البرامكة إياه فأخذ يؤلف[2] ويذم العرب (فعمل كتاب الميدان في المثالب الذي هتك فيه العرب وأظهر مثالبها)[3] وألف كتابًا آخر في مثالب قريش ومنازعاتها ومثالب تيم بن مرة ومثالب بني أسد ومعظم القبائل العربية ذكرها في معرض الذم[4] .

وكان علان شاعرًا نشد في هجاء محمد بن يزيد الأموي وافتخر بطاهر ابن الحسين لقتله محمد الأمين في قصيدة ننقل منها هذه الأبيات :

أيها اللاطي بحفرته	من قرار الأرض مجهول
وأبو العباس غاديـة	لعزاليه أهاليل
تمطر العقيان راحته	وله بالجود تهطيل
رستمي من ذري شرف	زانه تاج وإكليل
كسرويات أبوتنا	غرر زهر مناديل[5]

فلم يقف علان عند هجاء محمد بن يزيد والتفاخر بطاهر بن الحسين بل ذهب إلى الافتخار بالفرس وملوكهم وقادتهم .

وفي حديث ابن النديم عن سهل بن هارون قال: « سهل بن هارون ... فارسي الأصل شعوبي المذهب شديد العصبية على العرب وله في ذلك كتب كثيرة ورسائل في البخل»[6] ولم نقف على كتب سهل ولا على رسائله في البخل التي كتبها متعرضًا بصفة الكرم التي يعتز بها العرب ، ويبدو أن هذه

(١) ابن النديم : الفهرست ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٠ .

(٣) ابن النديم : الفرست ص ١٦٠ .

(٤) المصدر السابق ص ١٦٠ .

(٥) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج٥ ص ٦٨ تصحيح مرجليوث .

(٦) ابن النديم : الفهرست ص ١٨٠ .

الكتب قد فقدت في حومة المعركة بين العروبة والشعوبية ، وقال ابن شاكر الكتبي فيه: (سهل بن هارون فارسي الأصل شعوبي المذهب شديد التعصب على العرب) [1] ، وأكد ياقوت الحموي شعوبية سهل فقال: (كان أديبًا شاعرًا حكيمًا شعوبيًا يتعصب للعجم على العرب شديدًا في ذلك) [2] ولم نقف على أشعاره ولعلها هي الأخرى فقدت كما فقدت كتبه.

هذه معظم الأسماء التي أطلق عليها المؤرخون القدامى الحكم بالشعوبية في الفترة موضوعة بحثنا ، وهي قليلة جدًا بالقياس إلى سعة وقوة الحركة الشعوبية ، ومما يسترعي الانتباه أن هناك عددًا من الكتاب والشعراء قد خلفوا في ذم العرب مؤلفات وقصائد إلى جانب مدحهم شعوبًا أخرى دون أن يطلق عليهم الحكم بالشعوبية ، وهناك مواقف لبعض أشراف الفرس استهدفت القضاء على الكيان العربي وإعادة الملك إلى الفرس ولم يرمهم المؤرخون بالشعوبية ، كما أن هناك مواقف للعامة من الموالي الذين اشتركوا في معظم الحركات التي قامت لإزالة السلطان العربي دون أن تسمى مشاركتهم هذه ومواقفهم العدائية مواقف شعوبية ، وعليه فإنه من الضروري أن تتتبع مواقف أولئك الأشراف والعامة لوضعهم في النطاق المناسب لمواقفهم من مفهوم الشعوبية العنصرية .

٢ . الأشخاص من الشعراء والكتاب والمواقف التي لها دلائل شعوبية ولم يطلق عليها هذا الحكم:

تواجهنا ونحن نتابع الحركة الشعوبية طائفة من الأشخاص ومجموعة من الآراء والمواقف التي تدل على معاداة العرب والإشادة بغيرهم دون أن يطلق عليهم أو على مواقفهم الحكم بالشعوبية، ومن هؤلاء (الهيثم بن عدي) وهو عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن زيد بن سعيد بن جابر بن عدي

---

(١) ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج١ ص ٣٦٨ ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٥١ م .

(٢) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج٤ ص ٢٥٨ تصحيح مرجليوث .

ويرجع أصله إلى منبج [١] ، وقد ألف عددًا من الكتب في ذم العرب والفخر بالفرس منها (كتاب المثالب ، كتاب تاريخ العجم وبني أمية ، كتاب المثالب الصغير والمثالب الكبير وكتاب مثالب ربيعة وكتاب بغايا قريش وكتاب أخبار الفرس) [٢] ونظرة إلى أسماء هذه الكتب ترينا أنها كانت في ذم العرب وفي التفاخر بالفرس على أننا لم نقف على هذه الكتب ولا يبعد أن تكون قد نفدت . وقد روي المسعودي قصة طويلة نقلها عن الهيثم بن عدي خلاصتها : أن رجلاً من تنوخ نزل في بني عامر فخرجت إليه جارية فقالت: ممن أنت ؟ قال: أنا من تميم فذكرت أبياتًا في ذم تميم ، فقال لها: لست من تميم بل من قبيلة ففعلت ذلك وما زال الرجل يذكر القبائل قبيلة قبيلة والجارية تروي الأبيات في ذمها حتى استنفد القبائل ولما انتسب إلى بني هاشم قالت أتعرف الذي يقول :

بني هاشم عودوا إلى نخلاتكم ... فقد صار هذا التمر صاعا بدرهم
فإن قلتموا رهط النبي محمد ... فإن النصارى رهط عيسى ابن مريم [٣]

ويعلق الأستاذ أحمد أمين على هذه القصة بقوله: «وهذه الحكاية كلها إما أن تكون من وضع الشعوبية أو من وضع الهيثم بن عدي نفسه يرمي من وضعها إلى ذكر مثالب القبائل العربية » [٤] .

وبشار بن برد العقيلي بالولاء وأصله من طخارستان [٥] اتهم بالزندقة وقتل بسببها وقد اختلف في معتقده الديني فقيل عنه أنه كان (متحيرًا مخلطًا) [٦] وإذا كان زندقة بشار موضع نقاش ومجال اختلاف فإن أشعاره

(١) المصدر السابق ج ٧ ص ٢٦١ تصحيح مرجليوث .
(٢) ابن النديم : الفهرست ص ١٥١ ـ ١٥٢ .
(٣) المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٨ ، المطبعة البهية القاهرة ١٣٤٦هـ .
(٤) أحمد أمين : ضحى الإسلام ج ١ ص ٧٢ ـ ٧٣ .
(٥) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص ٢٤٥ تحقيق محيي الدين عبد الحميد وابن النديم الفهرست ص ٤٨٧ والأغاني ج٣ ص ٢٠ .
(٦) الأصفهاني : الأغاني ج ٣ ص ٢٤ .

المعادية للعرب صريحة وكثيرة في ذمهم ومدح الفرس وعلى الرغم من ذلك لم يذكره مؤرخ قديم في قائمة الشعوبيين وقد اكتفى أبو الفرج الأصفهاني في القول فيه (كان بشار كثير التلون في ولائه شديد الشغب والتعصب للعجم)[1] ولم يسمه شعوبيًا مع العلم أنه سمي إسماعيل بن يسار بذلك على الرغم من أن قصائد بشار في ذم العرب أقذع وأكثر من قصائد إسماعيل ، ومن هذه القصائد المعادية للعرب والتي أشاد بها بالفرس قوله :

هل من رسول مخبر ... عني جميع العرب
من كان حيًا منهمو ... ومن ثوى في الترب
بأنني ذو حسب ... عال على ذي حسب
جدي الذي أسمو به ... كسرى وساسان أبي
وقيصر خالي إذا ... عددت يومًا نسبي
إنا ملوك لم نزل ... من سالفات الحقب
حتى استلمنا ملكها ... بملكنا المستلب
حتى رددنا الملك في ... أهل النبي العربي
من الذي عاد الهدى ... والدين لم يستلب[2]

وقال بشار مفتخرًا بأصله الفارسي ولم ينس أن يشتم العرب :

أنا ابن الأكرمين أبا وأما ... تنازعني المرازب من طخار
تفاخر يا ابن راعية وراعي ... بني الأحرار حسبك من خسار[3]

وقال يتبرأ من الولاء للعرب وفي ذمهم :

مولاك أكرم من تميم كلها ... أهل الفعال ومن قريش المشعر

---

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٢ .

(٢) ديوان بشار بن برد : شرح وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور ص ٣٧٧ .

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٢٩ .

فارجع إلى مولاك غير مدافع   سبحان مولاك الأجل الأكبر[1]

وقال يتوعد أبو جعفر المنصور لقتله أبا مسلم الخراساني ولم يغفل بشار الإشادة بالفرس وذم العرب فقال :

جعفر ما طول عيش بدائم   ولا سالم عما قليل بسالم
كأنك لم تسمع بقتل متوج   عظيم ولم تسمع بفتك الأعاجم
مروان قد دارت على رأسه الرحى   وكأن لما أجرمت نزر الجرائم
أصبحت تجري سادرًا في طريقهم   ولا تنقضي أشباه تلك النقائم[2]

وإبان بن عبد الحميد (ابن لاحق بن عفر مولى بني الرقاش)[3] لم يحكم عليه بالشعوبية على الرغم من مواقفه المعادية للعرب وإشادته بالفرس أنشد في هجاء العرب :

أحاجيكمو ما قوس لحم سهامها   من الريح لم توصل بقد ولا عقب
فإن فخرت يومًا تميم بحاجب   وبالقوس مضمونًا لكسرى لدى العرب[4]

وقد أسهم أبان في إحياء معالم الحضارة الإيرانية فترجم عدة كتب من الفارسية إلى العربية منها (كليلة ودمنة وجعله شعرًا ليسهل حفظه)[5] وترجم (كتاب سيرة أردشير وكتاب أنو شروان وكتاب بلوهر وبردانية وكتاب الزهر وبرداسف وكتاب السندباد وكتاب مزدك وكتاب الصيام والاعتكاف)[6] وكان إبان يريد من هذه الترجمة على ما يظهر من أسماء الكتب التي ترجمها إيقاظ الروح القديمة عند الفرس وبعث الثقة والتحدي فيهم وتأكيد الفرضية الشعوبية القائلة بأن للفرس حضارة راقية .

---

(١) الأصفهاني : الأغاني ج ٣ ص ٢٢ .
(٢) بديع شريف : الصراع بين العرب والموالي ص ٩١ .
(٣) الأغاني ج ٢٠ ص ٧٣ .
(٤) الأصفهاني : الأغاني ج ٢ ص ٧٣ .
(٥) المصدر السابق ج ٢٠ ص ٧٣ .
(٦) ابن النديم : الفهرست ص ١٧٨ وص ٢٣٨ .

وممن ألف في الدفاع عن الفرس وذم العرب (سعيد بن حميد) ويكنى (أبا عثمان ... وكان يدعي أنه من أولاد ملوك الفرس)[(١)] وقد وضع عددًا من الكتب منها (كتاب انتصاف العجم من العرب)[(٢)] وقد اعتبره ابن النديم من كتب التسوية دون أن يذكر شيئًا من محتوياته .

وسعيد بن حميد البختكان يرجع أصله إلى فارس كان (شديد العصبية على العرب وله من الكتب كتاب فضل العجم على العرب)[(٣)] وعلى الرغم من شدة عصبيته على العرب وتأليفه الكتب في ذمهم وتفضيل العجم عليهم لم يطلق عليه ابن النديم الحكم بالشعوبية كما أطلقه على سهل ابن هارون وعلان الوراق مع أن نشاط سعيد البختكان ومواقفه لا تقل عداء عن مواقف سهل وعلان في نصرة الحركة الشعوبية .

وإسحاق بن سليمة الذي ينتمي إلى أصل فارسي[(٤)] فقد ألف كتبًا يفخر فيها بالفرس على حساب العرب أشهرها (كتاب فضل العجم على العرب)[(٥)] ، ولم يشر ابن النديم بشيء عن محتوياته ، كما أننا لم نقف عليه ولعله قد لا يكون إلا أن اسم الكتاب يبين لنا أنه من تلك الكتب التي تشيد بمفاخر العجم وتحط من مكانة العرب وهو لهذا يدخل في نطاق الشعوبية العبرية .

أبو نواس الحسن بن هانئ الحكمي كان شاعرًا ماجنًا اتهم أكثر من مرة، ولم يحكم عليه بالشعوبية قديمًا إلا مرة أو مرتين ، فقد قال ابن رشيق: «كان أبو نواس شعوبي اللسان »[(٦)] على الرغم من أن قصائده في ذم العرب والتعرض بحضارتهم والفخر بالفرس والإشادة بآثارهم أكثر من أن تحصى ومنها قوله :

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٥ .
(٢) المصدر السابق ص ١٨٥ .
(٣) المصدر السابق ص ١٨٥ .
(٤) ابن النديم : ص ١٩١ .
(٥) المصدر السابق ص ١٩١ .
(٦) ابن رشيق : العمدة في محاسن الشرع وأدابه ونقده ج ١ ص ٢٠٤ سنة ١٩٣٤ م .

الشقي على رسم يسائله ... وعجت أسأل عن خمارة البلد
على طلل الماضين من أسد ... لا در درك قل لي من بنو أسد
تميم ومن قيس ولفهمو ... ليس الأعاريب عند الله من أحد
دمع الذي يبكي على حجر ... ولا صفا قلب من يصفو إلى وتد(1)

ومن شعره الذي يذم به العرب ويفخر بالفرس :

الفرس الأحرار أنفس أنفس ... وفخارهم في عشرة معدوم
أعاشر عصبة عربية ... بدرت إلى ذكر الفخار تميم
والأعاجم لا أحاذر منهمو ... شرا فمنطق شرهم محسوم
أخون على النديم إذا انتشوا ... ولهم إذا العرب اعتدت تسليم(2)

وأنشد أبو نواس مهاجمًا بعض ما يعتز به العربي من الإبل والأطلال فقال :

سقيا لغير الخيام والطنب ... ومن عيرانة من الإبل
عجبت من نعتها وناعتها ... وأي نعت يكون في الجمل(3)

وقال مستخفًا بالأطلال وبالعرب :

صفة الطلول بلاغة الفدم(4) ... فاجعل صفاتك لابنة الكرم(5)

ومن شعره على مذهب الشعوبية قوله :

وجاورت قومًا ليس بيني وبينهم ... أواصر إلا دعوة وظنون
لأزد عمان بالمهلب نزوة ... إذا افتخر الأقوام ثم تلين

---

(1) ديوان أبي نواس ص ٤٦ تحقيق أحمد عبد الحميد الغزالي القاهرة .

(2) الدجيلي : الشعوبية ص ٧٣ الطبعة الثانية النجف ١٩٦٠ م .

(3) ديوان أبي نواس ص ٢٩٥ طبعة الحلبي .

(4) العيي عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم - انظر : لسان العرب ج ١٢ ص ٤٥٠ .

(5) ديوان أبي نواس ص ٥٧ طبعة الحلبي .

وبكــر يــرى أن النبــوة أنزلــت   على مسمع من البطن وهو جنين

وقالــت تميم لا نــرى أن واحــدًا   كاحنفنا حتى المهات يكـون [(١)]

وقال مفتخرًا بآثار الفرس :

تراث أبي ساسان كسرى ولم تكن   مواريث ما أبقت تميم ولا بكر [(٢)]

وحينما أنشد أبو نواس يمدح الخصيب والي مصر لم ينس أن يفخر بالأعاجم فقال :

لــه سـلف في الأعجمـين كأنــه   إذا استؤذنوا يوم السلام بدور [(٣)]

ومن شعره في ذم العرب والفخر بالفرس قوله :

دع الأطــلال تــسفيها الجنــوب   وتبكـي عهـد جـدتها الخطـوب

ذر الألبـــان يـــشربها أنـــاس   رقيـق العـيش عنـدهمو غريـب

بـــأرض نبتهـــا عـــسر وطلـــح   وأكثـر صـيدها ضـبع وذيـب

فهـذا العـيش لا خـيم البـوادي   وهـذا العـيش لا اللـبن الحليـب

فـأين البـدو مـن إيوان كـسرى   وأيـن مـن الميادين الـزروب [(٤)]

وقال في ذم العرب والفخر بالفرس :

عـدة لم تـصل عطـل بهـا طنبـا   ولا خبـاء ولا عـبس وذبيـان

.... لـذهل ولا شيبانها وطنـا   لكنهـا لبنـي الأحـرار أوطـان

...... يبني بهـا كـسرى دسـاكره   فما بها من بني الرعناء إنسان [(٥)]

وقال متفاخرًا بمعالم الفرس الحضارية على حساب العرب :

دع الرســـم الـــذي دثـــرا   يعـــاني الـــريح والمطـــرا

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٤٠٨ . الطبعة الثانية تحقيق أحمد أمين وجماعته .

(٢) ديوان أبي نواس ص ١٠٢ طبعة الحلبي .

(٣) المصدر السابق ص ٨٠ .

(٤) المصدر السابق ص ١١ .

(٥) ديوان أبي نواس : ص ١٢٦ ، ١٢٧ طبعة الحلبي .

ألم تـــر مـــا بنـــي كـــسرى وســـابور لمـــن غـــبرا
منـــازه بـــين دجلـــة والـــ ـــفرات تفيـــأت شـــجرا
بـــأرض باعـــد الرحمـــ ـــن فيهـــا الطلـــح والعـــسرا
ولم يجعـــل مـــصايدها يرابيعهـــا ولا وصرا [1]

وقال أبو نواس يهجو الرقاشي لانتسابه إلى العرب :

قلـــت يومًـــا للرقـــاشي وقـــد ســـب المـــوالي
مـــا الـــذي نحـــاك عـــن أصـــ ـــلك مـــن غـــم وقـــال
قـــال لي قـــد كنـــت مـــولى زمنًـــا ثـــم بـــدالي [2]

فمن أشعار أبي نواس هذه التي كانت تنطوي على ذم العرب ومدح الفرس مما يحملنا على الاعتقاد بأن حملته لم تكن على البداوة كما يرى البعض إذ لو كانت كذلك لما احتاج إلى الفخر بحضارة الفرس ففي حضارة العرب معالم حضارية متقدمة لم تكن تخفي على أبي نواس وهو عائش فيها فيذكرها عند حملته على البداوة ، وعلى هذا فإن أبا نواس كان يتعصب للفرس ويمدحهم بمقدار ما يبغض العرب ويذمهم وينتقص حضارتهم ويسلبهم كل الفضائل التي امتازوا بها على الشعوب [3] ولهذا فإن أبا نواس بالإضافة إلى ما اتهم بالزندقة فإنه يدخل في نطاق الشعوبية العنصرية .

ومن الشعراء الذين أنشدوا في ذم العرب والتفاخر بالفرس الخريمي وهو (أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن فوهي) [4] فارسي الأصل ولد في بلاد الصغد ومنها رحل إلى بغداد واختار صحبة الزنادقة المجان أمثال مطيع بن إياس ويحيى بن زياد وحماد الراوية وحماد عجرد [5] وقد وضع

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٤ المطبعة العمومية ١٨٩٨ م .

(٢) المصدر السابق ص ٥٧١ .

(٣) ديوان أبي نواس المقدمة تحقيق الغزالي .

(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٦ ص ٣٢٦ مطبعة السعادة القاهرة ١٩٣١ م .

(٥) انظر المصدر السابق ج٦ ص ٣٢٦ . وابن قتيبة : الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٣٤ بيروت ١٩٦٤ م .

القصائد في مدح البرامكة ومن خلال ذلك تفاخر بالفرس على حساب العرب ومن أشعاره في هذا المجال قوله :

إني امرؤ من سراة الصغد البسني ... عرق الأعاجم جلدا طيب الخبر[1]

ومنها :

وناديت من مرو وبلخ فوارسا ... لهم حسب في الأكرمين حسيب

فيا حسرتا لا دار قومي قريبة ... فيكثر منهم ناصري ويطيب

وإن أبي ساسان كسرى بن هرمز ... وخاقان لي لو تعلمين نسيب

ملكنا رقاب الناس في الشرق كلهم ... لنا تابع طوع القياد جنيب

نسومكموا خسفًا ونقضي عليكمو ... بما شاء منا مخطئ ومصيب[2]

ومن قصائد الخريمي في ذم العرب قوله :

أبا الصغد بأس اذ تعيرني جمل[3] ... سفاها ومن أخلاق جارتنا الجهل

هم فاعلموا أصل الذي فيه منبتي ... على كل فرع في التراب له أصل

إذا أنت لم تحم القديم بحادث ... من المجد لم ينفعك ما كان من قبل[4]

ومن أشعار الخريمي هذه يتبين لنا بأنه كان يفخر بالفرس ويذم العرب وهذان ركنان أساسيان في إدخال الشخص في نطاق العنصرية .

وأنشد عبد الله بن طاهر بن الحسين قصيدة افتخر بها بالفرس وذم العرب فقال :

اقصري عما طمحت له ... ففراغي عنك مشغول

سائلي عمن تسألني ... قد يرد الخبر مسؤول

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج٢ ص ٧٣١ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٣٤ .

(٣) جمل أراد بها العرب لأنها كانت تعتز بالإبل فاعتبر الجمل كناية عن العرب .

(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج٢ ص ٧٣٥ .

أنا من تعرف نسبته — سلفي الغر البهاليل
سل بهم تنبيك نجدتهم — مشرفيات معاقيل
وأبي من لا كفا له — من يسامي مجده ؟ قولوا
سل بهم والخيل ساهمة — حوله جرد أبابيل
أبطن المخلوع كلكله — وحواليه المقاويل
فثوى والترب مضجعه — غال عنه ملكه غول
قاد جيشًا نحو بابله — ضاق عنه العرض والطول
من خراسان مضى معهم — كليوث ضمها غيل [(١)]

ففي هذه القصيدة نرى عبد الله يمدح أباه طاهرًا ويعرض بالخليفة محمد الأمين ويشيد بالفرس ويفخر بهم على حساب العرب مما يدخله في عداد الشعوبيين .

وكتب الجيهاني [(٢)] وهو (محمد بن أحمد أحد رؤساء المتكلمين) [(٣)] في مثالب العرب ونقل عنه أبو حيان التوحيدي أنه « ألف كتابًا سب فيه العرب وتناول جوانب من حياتهم بالذم والشتم» [(٤)] ومن أقواله في ذم العرب: (... يأكلون اليرابيع والضباب والجرذان والحيات ويتعاورون ويتهاجون ويتفاحشون وكأنهم قد سلخوا من فضائل البشر ولبسوا أهب الخنازير) [(٥)] ولم يقف الجيهاني عند هذا الذم المقذع بل ذهب يفاخر بالطبيعة ويعتبر ذلك من علامات تفوق الفرس على العرب فقال: (مما يدل على شرفنا وتقدمنا وعزنا وعلو مكاننا أن الله أفاض علينا النعم ووسع

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ١٩٨ . تحقيق أحمد أمين وجماعته القاهرة ١٩٤٠ م .
(٢) نسبة إلى جيهان وهي إحدى مدن خراسان انظر حاشية الإمتاع والمؤانسة ج١ ص ٧٨ .
(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٧ .
(٤) التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ج١ ص ٧٩ . تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين الطبعة الثانية .
(٥) المصدر السابق ج ١ ص ٧٩ .

لدينا القسم وبوأنا الجنان ... ولم يفعل هذا بالعرب بل أشقاهم وعذبهم وضيق عليهم وحرمهم وجمعهم في جزيرة حرجة بقعة صغيرة وسقاهم بارنق [(١)] مضاح وبهذا يعلم أن المخصوص بالنعمة والمقصود بالكرامة فوق المقصود بالإهانة) [(٢)] فأراء الجياني هذه المعادية للعرب والتي افتخر بها بالفرس تدخله في نطاق الشعوبية العنصرية .



أشراف الفرس ومواقفهم الشعوبية :

تلك مواقف الشعراء والكتاب وقفنا عليها من مؤلفاتهم وأقوالهم وأشعارهم أما أشراف الفرس فلم يخلفوا لنا كتبًا أو أشعارًا بل كانت لهم مواقف تناولناها بالبحث فإذا هي مواقف عدائية موجهة لمقاومة الدولة العربية وإزالتها وكانت مواقفهم تلك تتناسب والظروف المحيطة بهم ، ومن هؤلاء الأشراف الذين وقفوا مواقف معادية للعرب: الهرمزان الذي كان يقود جيشًا فارسيًا لمقاومة الجيش العربي الذي كان يقوده أبو موسى الأشعري فاندحر جيش الهرمزان وطلب الأمان فأعطاه أبو موسى الأمان فحمله (إلى عمر فاستحياه وفرض له) [(٣)] فأخذ الهرمزان يعمل سرًا مع أبي لؤلؤة لضرب الدولة العربية في شخص الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وفي ذلك يقول البلاذري: (فاتهم بممالاة أبي لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة على قتل عمر ﷺ) [(٤)] ويعلق الأستاذ توفيق الفكيكي على مؤامرة الهرمزان

(١) الرنق تراب في الماء ومن القذى ونحوه. انظر لسان العرب ج ١٠ ص ١٢٦ طبعة بيروت .

(٢) التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ج١ ص ٨٦ - ٨٧ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٧٤ الطبعة الأولى تعليق رضوان محمد رضوان القاهرة ١٩٣٢ م.

(٤) المصدر السابق ص ٣٧٤ .

- أبي لؤلؤة - فيقول: (وأن أول انتقام قام به المؤتمرون بنهاوند [1] اغتيال الخليفة العربي الثاني على يد المجرم أبي لؤلؤة بتحريض الهرمزان القائد المجوسي [2] ويؤكد الدكتور نبيه حجاب على علاقة الهرمزان بمقتل عمر فيقول: (... تلك الحركات التي بدأت بمقتل عمر بن الخطاب على يد فيروز أبي لؤلؤة المجوسي بإيعاز من الهرمزان) [3] .

وكذلك نرى زادوية وهو من قادة الفرس يدبر مع الخوارج مؤامرة خطيرة استهدفت حياة الإمام علي « كرم الله وجهه » وبعض رجال العرب البارزين ويشير المبرد إلى هذه المؤامرة بقوله : (.. فقال عبد الرحمن بن ملجم: أنا أقتل عليا ، وقال الحجاج بن عبد الله الصريمي: وأنا أقتل معاوية، وقال زادويه مولي بني العنبر بن عمرو بن تميم: وأنا أقتل عمرًا، فأجمع رأيهم على أن يكون قتلهم في ليلة واحدة) [4] ويبدو أن لزادويه دور كبير في هذه المؤامرة حمل الدكتور بديع شريف أن يقول: (أن المؤامرة التي ذهب ضحيتها الخليفة الرابع لا تختلف عن المؤامرة التي ذهب ضحيتها الخليفة الثاني فقد رأس هذه الهرمزان ودبر تلك زادويه) [5] .

ويتآمر أبو سلمة الخلال - وزير آل محمد وأحد رجال الدعوة العباسية البارزين ، على الدولة العباسية ولما تقم بعد فقد (ستر أمرهم وعزم أن يجعلها « أي الخلافة » شورى بين ولد علي والعباس حتى يختاروا منهم من

---

(١) مؤتمر نهاوند هو المؤتمر الذي دعا إلى عقده يزدجرد من أجل الوقوف في سبيل الزحف العربي وفي هذا المؤتمر أعلن يزدجرد (... ثم ملك عمر من بعده فطال ملكه وعرض حتى تناولكم وانتقصكم السواد والأهواز وأوطأها لم يرض حتى أهل فارس والمملكة في عقر دارهم وهو آتيكم إن لم تأتوا لقد أضرب بيت ملككم وليس بمنته حتى تخرجوا من في بلادكم من جنوده وتخلصوا هذين المصرين « يقصد البصرة والكوفة » ثم تشغلوه في بلاده وقراره - انظر الطبري ج ٤ ص ٢٣٦ الطبعة الحسينية) .

(٢) الفكيكي : الشعوبية والقومية العربية ص ١٥ بيروت ١٩٦١ م .

(٣) نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية في الأدب العربي ص ٢٢٠ .

(٤) المبرد : الكامل في الأدب ج ٣ ص ٩٢٦ تحقيق زكي مبارك الطبعة الأولى ١٣٥٥ هـ .

(٥) بديع شريف : الصراع بين العرب والموالي ص ٣٣ .

أرادوا) [١] وكانت عملية الخلال هذه مؤامرة أراد بها إيقاع الفتنة بين العلويين والعباسيين وجيوش العباسيين لازالت في حرب مع جيوش الأمويين فتتمكن القوات الفارسية من الانقضاض على الجيوش العربية المتنازعة وتقضي عليها فيعود الملك للفرس وقد أدرك الإمام جعفر الصادق عليه السلام أبعاد هذه المؤامرة فأخمدها في مهدها حين أحرق كتاب الخلال الذي أرسله إليه واقتنع عبد الله بن الحسن بسوء نية أبي سلمة وأنه ما كان مخلصًا للعلويين [٢] . وأبو سلمة في مؤامرته هذه يدخل في عداد الشعوبيين.

وكان أبو مسلم الخراساني يعمل من أجل إعادة الملك إلى الفرس ويطمع أن يكون واليًا على خراسان ليبدأ بتنفيذ خطته فلما ولاه المنصور على بلاد الشام ومصر غضب وألقى بكتاب التعيين أرضًا وقال: (هو يوليني الشام وخراسان لي) [٣] وترك الشام وتوجه يريد خراسان فأدرك المنصور نيته فألقى القبض عليه وحاكمه وقتله [٤] .

والبرامكة أوقعوا الفتنة بين الهادي والرشيد [٥] ، وبذروا بذرة الخلاف بين الأمين والمأمون في حمل الرشيد على أخذ البيعة للأخوين [٦] ، وكانوا عاملاً في تقريب الفضل بن سهل إلى مراكز الدولة العليا فكان له دور كبير في إشعال الفتنة بين الأمين والمأمون [٧] .

وإلى جانب أعمال البرامكة هذه فإنهم (استبدوا على الدولة واحتجبوا أموال الجباية ... وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم

---

(١) نبذة من كتاب التاريخ للمؤلف المجهول ص ١١٤ . نشر وتعليق بطرس غريازنيوبيج موسكو ١٩٦٠م .

(٢) انظر المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ٢١١ ـ ٢١٢ المطبعة البهية .

(٣) الطبري : ج ٩ ص ١٦١ الطبعة الحسينية .

(٤) المصدر السابق ج ٩ ص ١٦١ .

(٥) الجومرد : يزيد بن مزيد الشيباني ص ١٥١ ـ ١٥٦ الطبعة الأولى بيروت ١٩٦١ م .

(٦) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٢١١ تحقيق مصطفى السقا جماعته القاهرة ١٩٣٨ م .

(٧) المصدر السابق ٢٢٣ .

وصنائعهم) [(١)] فقربوا الشعراء ودفعوهم لإثارة الفتن وزرع الأحقاد في الصف العربي فقد عاتب أبان بن عبد الحميد البرامكة مرة (على تركهم إيصاله إلى الرشيد ... فقالوا له : وما تريد؟ فقال: أريد أن أحظى منه بمثل ما حظي به مراون بن أبي حفصة فقالوا له أن لمراون مذهبًا في هجاء آل أبي طالب به يحظى وعليه يعطي فاسلكه حتى نفعل) [(٢)] .

وقد عني البرامكة بإحياء الثقافة الإيرانية فشجعوا الكتاب على وضع الكتب التي تتناول هذه الثقافة ونقل الكتب عن اللغة الإيرانية وأجزلوا المترجمين الهبات فلما نقل إبان بن عبد الحميد كتاب كليلة ودمنة أعطاه يحيى ابن خالد البرمكي عشرة آلاف دينار وأعطاه الفضل بن يحيي خمسة آلاف دينار وتعهد جعفر البرمكي أن يكون من رواتها [(٣)] ، وقد زاد يحيى البرمكي في إكرام إبان اللاحقي فجعل (امتحان الشعراء وترقيتهم في الجوائز إليه) [(٤)] ومن المترجمين الذين لاقوا تشجيعًا من البرامكة إسحاق ابن يزيد الذي ترجم من الفارسية إلى العربية كتاب سيرة الفرس «اختيار نامه» [(٥)] ومحمد بن الليث بن الخطيب بن إدريار الذي قدمته البرامكة وأحسنت إليه [(٦)] وكذلك محمد بن الجهم البرمكي وهشام بن القاسم وموسى بن عيسى الكردي وزادويه بن شاهويه الأصفهاني ومحمد بن بهرام ابن مطيار الأصفهاني وبهرام بن حردان شاه وعمر بن الفرقان [(٧)] وكانت هذه الترجمة تستهدف إحياء الحضارة الإيرانية وتؤكد الفرضية الشعوبية التي تقول بأن الحضارة الإيرانية هي الحضارة الأم ، ومن أجل التفاخر على

(١) ابن خلدون : المقدمة ج ١ ص ١٥ ـ ١٦ المطبعة الأدبية بيروت ١٩٠١ م .
(٢) الأصفهاني : ج ٢٠ ص ٧٥ ـ ٧٦ وخزانة الأدب ٣ ص ٣٤٩ القاهرة ١٢٩٩ هـ .
(٣) الأغاني ج ٢٠ ص ٧٣ .
(٤) المصدر السابق ج ٢٠ ص ٧٣ .
(٥) ابن النديم : الفهرست ص ٢٥٦ .
(٦) المصدر السابق ص ١٨١ و . Goldziher : Muhamadanische Studien , p. 161.
(٧) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٦ .

العرب وفي سبيل إثارة الوعي والثقة وروح التحدي في الشعب الإيراني ودفعه في المعركة ضد العروبة إلى أبعادها النهائية.

وقد احتضنت البرامكة مشاهير الشعوبيين فهذا علان الوراق الذي ألف أكثر من كتاب في ذم العرب كان منقطعًا إلى البرامكة وكذلك سهل ابن هارون الذي ألف في ذم العرب أكثر من رسالة يلقى حظوة عندهم كما كان حميد بن مهران وسعيد بن وهب يلقون رعايتهم واهتمامهم [1].

ولم يقف البرامكة عند هذا الحد بل ذهبوا إلى ناحية أخرى من نواحي المعركة بين الشعوبية والعروبة فتعرضوا بالذم لبعض ما يعتز به العرب وأشادوا بالأعاجم وإنتاجهم فقد حضر الفضل بن يحيى البرمكي مجلسًا للرشيد وكان الأصمعي حاضرًا فيه فسأل الرشيد الأصمعي: (أتروي كلمة عدي بن الرقاع : عرف الديار توهمًا فاعتادها ... قلت نعم قال هات فمضيت حتى إذا صرت إلى وصفه الجمل قال الفضل بن يحيى ... ناشدتك الله أن تقطع علينا ما أمتعنا من السهر في ليلتنا هذه بصفة جمل أجرب. فقال الرشيد: أسكت الإبل هي التي أخرجتك عن دارك واستلبت تاج ملكك ... ونهض الرشيد فأخذ الخادم يصلح عقب النعل في رجله وكانت عربية ، فقال الرشيد: عقرتني يا غلام . فقال الفضل : قاتل الله الأعاجم أما إنها لو كانت سندية لما احتجت إلى هذه الكلفة، فرد عليه الرشيد هذه نعلي ونعل آبائي كم تعارض فلا تترك من جواب ممض) [2] ويعلق الأستاذ ليفي على موقف البرامكة فيقول: وعلى الرغم من أنهم لم يكونوا زرادشتيين فإن عواطفهم وتقاليدهم كانت إيرانية ويتجلى ذلك في موقفهم من مواطنيهم واهتمامهم بالاحتفال بأعياد إيران القومية) [3] ، وإلى جانب مواقف البرامكة هذه فإنهم كانوا يعدون العدة لضرب السلطة

(١) المصدر السابق ص ١٦٠ و ١٨٠ و ٢٣٨ .

(٢) المرتضى : أمالي القسم الثاني ص ١١ ـ ١٣ القاهرة ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م .

(٣) تراث فارس : مقالة فارس والعرب بقلم ليفي ص ١٠١ .

والاستيلاء على الحكم فقد أعد الفضل بن يحيى إبان ولايته على خراسان «جيش العباسية » الذي بلغ خمسمائة ألف جندي من الفرس [1] ، ولما كان جعفر البرمكي رئيسًا لحرس الرشيد (اختار ألف جندي ووزعهم حرسًا لقصور الخلافة في جانب الكرخ) [2] . ويبدو أن جعفر البرمكي كان يعد مؤامرة قوية لقلب نظام الحكم فقد تحدث مرة في مجلس فيه جماعة كانت تشيد بموقف أبي مسلم الخراساني وكيف قلب دولة بني أمية فقال جعفر البرمكي: (... وماذا صنع أبو مسلم الخراساني ؟ ! إنه نقل الملك من أسرة عربية إلى أخرى بعد أن أزهق ستمائة ألف نفس سفك دمائهم صبرًا وإنما الرجل من ينقل الدولة من قوم إلى قوم بغير سفك دم) [3] وهذه إشارة صريحة من جعفر عن نيته في التآمر وإعداد العدة لضرب الدولة وقلب نظام الحكم ، إلا أن الرشيد كان يرقب تحركات البرامكة ويتتبع نشاطهم ولا سيما جعفر البرمكي منهم فألقي القبض عليهم وأودعهم السجن وأخذ جعفر وقتله في سنة ١٨٧ هـ [4] .

وقد لعب بنو سهل والفضل منهم خاصة دورًا كبيرًا في تهديم مقومات الدولة العباسية فقد عمل على اشعال الفتنة بين الأمين والمأمون فأوحى للمأمون أنه في خطر إن هو بقي في بغداد بالقرب من أخيه الأمين وحمله على أن يطلب من الرشيد أشخاصه معه في رحلته الأخيرة إلى خراسان بحجة أن الرشيد (عليل وغير مأمون أن يحدث عليه حادث فيثب عليك أخوك فيخلعك) [5] وفعلاً لما اصطحب الرشيد المأمون معه إلى خراسان وصادف أن توفى الرشيد في رحلته هذه فأكد الفضل على المأمون ضرورة

(١) الجومرد : يزيد بن مزيد الشيباني ص ١٨١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

(٣) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ج ٤ ص ١٦٤ تعليق حسين مؤنس الطبعة الثانية القاهرة ١٩٥٨ نقلاً عن كتاب (زينة المجالس) وهو باللغة الفارسية .

(٤) الطبري : ج ٣ ق٢ ص ٦٦٧ طبعة ليدن .

(٥) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص٢٢٦ الطبعة الأولى تحقيق مصطفى السقا وجماعته .

البقاء في خراسان وصور له مواقف الأمين المعادية ولوح للمأمون بالنصر وكان يردد دومًا: (اصبر قليلًا وأنا أتضمن لك الخلافة) [1] ، وقد أجج الفضل نار الحرب بين الأمين والمأمون والتي انتهت بقتل الأمين ، فحبذ الفضل للمأمون البقاء في خراسان واتخاذ مرو عاصمة له ، وحمله على أخذ البيعة لعلي بن موسى الرضي بولاية العهد [2] من أجل إيقاع الفتنة بين العلويين والعباسيين زيادة في الاختلاف الذي أوقعه بين العباسيين ليسهل عليه ضرب الجانب العربي والقضاء على السلطة العربية ، وقد أدرك القائد العربي نعيم بن خازم مؤامرة الفضل هذه فذهب إلى المأمون وفصل له أبعاد المؤامرة التي حاكها الفضل بن سهل فقال مخاطبًا الفضل: (إنك تريد أن تزيل الملك عن بني العباس إلى ولد علي ثم تحتال عليهم فتصير الملك كسرويا ولولا أنك أردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي وولده وهي البياض إلى الخضرة وهي لباس كسرى والمجوس) [3] .

وقد تمكن الفضل بن سهل من تحقيق جانب كبير من مؤامرته فأعلنت بغداد تمردها على الخليفة المأمون وعزلته ونصبت عمه إبراهيم بن المهدي خليفة مكانه ولقبه المبارك [4] وقد عزل المأمون عن العراق تمامًا فقد كان الفضل يخفي جميع الأخبار والرسائل التي ترد عن الحالة في بغداد عن المأمون من أجل أن يستفحل الأمر ويحجز المأمون في خراسان ويقضي عليه ويعيد الملك للفرس .

لم يقف الفضل عند هذا الحد بل عمد إلى إحياء المراسيم الإيرانية المجوسية فكان (يجلس على كرسي مجنح ويحمل فيه إذا أراد الدخول على المأمون فلا يزال يحمل حتى تقع عين المأمون عليه) [5] .

---

(١) المصدر السابق ص٢٧٨ .

(٢) انظر الطبري ج٣ ص١٠١٢ طبعة ليدن . وابن قتيبة : المعارف ص١٦٩ـ ١٧٠ .

(٣) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص٣١٣ .

(٤) المصدر السابق ص ٣١٣.

(٥) المصر السابق ص٣١٦ .

وقد عمل الطاهريون وعلى رأسهم طاهر بن الحسين على تحقيق حلم الفرس في إعادة السلطان الفارسي ، فقد أسهم طاهر في قيام الإمارة الطاهرية في خراسان مساهمة كبيرة ، وكان سندًا قويًا للفضل بن سهل حيث قاد جيش المأمون ، وحقق نصرًا على جيش الأمين ، وكان قاسيًا مع الأمين فمثل بالأمين وقطع رأسه وأنفذه إلى المأمون [1] .

وقد احتضن طاهر بن الحسين الكتاب المعادية للعروبة ، فحينما وضع علان الوراق كتابًا (في مثالب بني هاشم ثم في بطون قريش ثم سائر العرب، ونسب إليهم كل كذب وبهتان وصله عليه طاهر بن الحسين بثلاثين ألف درهم) [2] .

وحينما عين المأمون طاهرا واليا على خراسان أخذ يعمل على استغلال الظروف التي خلفها أبو مسلم الخراساني والراوندية والبرامكة والفضل بن سهل من أجل إقامة الإمارة الطاهرية فبدأ يضرب على وتر أخاذ في إعادة الدولة الإيرانية فأثار آمالا كبيرة والتف حوله أهل خراسان وحينما شعر بقوته بدأ يتمرد على المأمون فأمر بحذف اسمه من خطبة الجمعة وأمسك عن الدعاء له [3] .

ومن جهود أبي مسلم والفضل بن سهل وطاهر بن الحسين قامت الإمارة الطاهرية في خراسان واتخذت مرو مركزا لها فتحقق أول أمل من آمال الشعوبية وكان قيام هذه الإمارة بداية لحركات انفصالية متلاحقة عن الدولة العربية سببت ضعفها وعجلت في انهيارها ، ومن خلال الإمارة الطاهرية عبرت الشعوبية عن كثير من آمالها وأحيت الثقافة الإيرانية وساعدت في تنشيط حركة أدبية واسعة باللغة الإيرانية [4] .

---

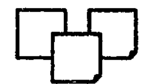
(١) المصدر السابق ص٣٠٤ .

(٢) أحمد أمين : ضحى الإسلام ج١ ص٦٤ .

(٣) الدوري : العصر العباسي الأول ص١٣٠ .

(٤) بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ص٦٧.

وتظاهر الأفشين حيدر بن كاووس وهو من أسرة أمراء أشروسنة بالإسلام وأعلن ولاءه للدولة العباسية فارتفع في المناصب العسكرية حتى أصبح قائد قوات المعتصم [1] إلا أن الأخبار أخذت تشير إلى تآمره على الدولة ، فكان يجمع المال والسلاح ويعد الجيوش للانفصال والاستقلال وضرب السلطة العربية ، وكان مع إسلامه قد وجد في بيته (تمثال إنسان من خشب عليه حلية وجوهر .. وفي كتبه كتاب من كتب المجوس) [2] . وقد وقف المعتصم على رسالة كان قد بعثها أخو الإفشين إلى أخي المازيار أحد المتمردين على الدولة العباسية ، والرسالة تحمل خطة واسعة لقلب نظام الحكم العربي ومما جاء فيها (أنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيري وغيرك وغير بابك ، فأما بابك بحمقه قتل نفسه ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت فأبى حمقه إلا أن ولاه في ما وقع فيه . فإن خالفت لم يكن للقوم ما يرمونك به غيري ومعي الفرسان وأهل النجدة والبأس فإن وجهت إليك لم يبق أحد يحاربنا إلا العرب والمغاربة والأتراك ، والعربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة ثم اضرب رأسه بالدبوس .. فإنما هي ساعة حتى تنفذ سهامهم ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتي على آخرهم ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم) [3] ، إن نظرة إلى هذه الرسالة ترينا أنها كانت تعبر عن رأي الأفشين ليست عن رأي أخيه فهي تتحدث عن ثورات وخطط عسكرية وعن بابك وأخطائه وعن المستقبل والحلول له وهذا مما لم يتهيأ لأخي الأفشين التحدث فيه ، ورسالة تحمل آراء عنصرية معادية للعرب وتبيت لهم مؤامرة تستهدف القضاء على دولتهم فهي لهذا تدخل الأفشين في نطاق الشعوبية العنصرية .



(١) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص٥٦ .

(٢) الطبري : ج١١ ص٤ الطبعة الحسينية .

(٣) المصدر السابق ج١٠ ص٣٦٧ الطبعة الحسينية .

المعاملة والشعوبية العنصرية :

كان عدد الأشراف من الموالي والشعراء والكتاب منهم محدودًا استطعنا أن نحكم عليهم من مواقفهم وآثارهم فكان الدور الذي قام به هؤلاء دور القادة في الحركة الشعوبية ، وقد أدرك هؤلاء القادة أن معظم الموالي مادة خصبة لتحقيق أهداف الحركة الشعوبية ، فعملوا على الاتصال بهم ودفعهم للاشتراك في الحركات التي قامت لتقويض أركان الدولة العربية ، ولما كان عدد هؤلاء الموالي كبير فمن الصعوبة أن نقف على أسمائهم وعلى ذلك فإننا سنعرض نشاط هؤلاء الموالي من خلال الحركات التي اشتركوا فيها والتي قامت في وجه الدولة العربية واستهدفت القضاء عليها .

فلقد أسهم قسم من الموالي في الفتنة التي ذهب ضحيتها الخليفة عثمان ابن عفان ﷺ وقد لمس الإمام علي (كرم الله وجهه) دورهم فعبر عن ألمه منهم بقوله: (يا إخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم ملكوننا ولا نملكهم ها هم هؤلاء ثابت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابهم وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا) [1] وكلمة «عبدانكم» تسترعي الانتباه ويبدو أن الإمام علي «عليه السلام» أراد بها المسلمين من غير العرب لا سيما إذا تذكرنا دور عبد الله بن سبأ في هذه الفتنة وجولاته في العراق والشام ومصر من أجل تحريض الناس على المشاركة فيها وقتل الخليفة الثالث ، هذا إلى جانب ما يقرره الدكتور الجومرد من أنه (كان للموالي اليد الطولى في إثارة الفتنة على عثمان بن عفان وقتله) [2] .

وحينما أعلن الخوارج عصيانهم على الإمام علي ﷺ وقرروا قتله وجدوا من زادويه الفارسي استعدادًا للمشاركة في هذه المؤامرة ، كما اشترك الموالي من الخوارج في تمردهم على الدولة العربية أيام الأمويين والعباسيين [3] .

(١) الطبري ج١ ص ٣٠٨١ طبعة ليدن .
(٢) الجومرد : الأصمعي ص٣٥ .
(٣) انظر المبرد : الكامل في الأدب ج٣ ص٩٢٦ و ٩٣٣ تحقيق أحمد محمد شاكر الطبعة الأولى القاهرة ١٩٣٧م . والصراع بين العرب والموالي ص٣٢ ، ٣٣ .

وحينما أعلن المختار بن أبي عبيدة الثقفي حركته ضد الحكم الأموي انضم إليه الموالي في جموع ضخمة [١] فقد انخرط في جيش إبراهيم بن الأشتر الذي أعده المختار لمقاتلة الأمويين عشرون ألف رجل كان جلهم من أبناء الفرس بالكوفة [٢] ، ومما يسترعي الانتباه أن هؤلاء الموالي كانوا يحقدون على العرب ، وقد عبروا عن سخطهم على لسان قائدها كيسان لان المختار بزعمهم قد أقبل مرة على العرب ، ولم ينظر إليهم فغضبوا ولم يقف غضبهم إلا بعد أن طمأنهم المختار ، وخاطبهم : (لا يشقن ذلك عليكم فأنتم مني وأنا منكم) [٣] ، وبعد أن تعهد المختار لهم بـ (الانتقام من المجرمين العرب) [٤] .

ولما خرج عبد الرحمن بن الأشعث على الدولة الأموية انضمت الموالي إلى صفوفه ، وكان عددهم (مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم من مواليهم) [٥] ، وكان سبب انضمام الموالي البغض والكراهية للعرب ، ومن أجل المشاركة في حرب لإزالة سلطانهم [٦] .

ولما قامت الدعوة العباسية وجدت في عامة الموالي مادة لحركتها ونشاطها ولهذا انتقلت مراكز الدعوة من الحميمة إلى الكوفة ومنها إلى خراسان حيث مناطق تجمع الموالي ، وقد وجد الدعاة العباسيون في الموالي استعدادًا لقبول الدعوة والحماس للمشاركة في إزالة الحكم الأموي ، كما وجد خداش وهو أحد الدعاة المشهورين قبولًا لآرائه المناهضة للإسلام لاسيما في منطقة خراسان ، مما حمل قائد الدعوة العباسية محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أن يكتب إلى الدعاة في خراسان مهددًا إياهم بخطر

(١) الدينوري : الأخبار الطوال ص٢٩٣ .
(٢) المصدر السابق ص٢٩٣ .
(٣) الطبري ج٤ ص٥٠٩ مطبعة الاستقامة القاهرة ١٩٣٩م .
(٤) المصدر السابق ج٤ ص٥٠٩ مطبعة الاستقامة .
(٥) المصدر السابق ج٥ ص١٥٦ مطبعة الاستقامة .
(٦) المصدر السابق ج٥ ص١٥٥ ـ ١٥٦ . مطبعة الاستقامة .

الآراء التي روجها خداش [1] والتي وجدت أرضًا خصبة لدى عموم الموالي فأخذوا بها، وعملوا على ترويجها [2]، وكانت تلك الآراء تنتشر بسرعة حتى أمست تيارًا قويًا دفع نصر بن سيار والي الأمويين على خراسان أن يكتب إلى الخليفة الأموي مروان الثاني معبرًا عن خطر هذه الآراء بقوله:

قوم يدينون دينا ما سمعت به ... عن الرسول ولم تنزل به الكتب
من يكون سائلا عن أصل دينهمو ... فإن دينهمو أن تقتل العرب [3]

ومما جاء في رسالة محمد بن علي قائد الدعوة العباسية من تهديد وتحذير من آراء خداش وما جاء في شعر نصر بن سيار وهما طرفان متناقضان يدلان دلالة واضحة على أن موقف خداش والموالي من الدعوة العباسية لم يكن من أجل نقل السلطة من الأمويين إلى العباسيين بقدر ما كان موجهًا لهدم الكيان العربي وتشويه مبادئ الدين الإسلامي.

ولما قامت الدولة العباسية قام كثير من الاختلافات بين الخلفاء وأشراف الفرس، وكانت تلك الخلافات تشد فريقًا من الموالي إلى الأشراف، فعلى أثر قتل أبي مسلم الخراساني أعلنت الراوندية تمردها على أبي جعفر المنصور، وغلت فيه من أجل الطعن بمكانته [4]، وقد انضمت أعدادًا كبيرة من الموالي إلى صفوف الراوندية سواء في العراق أو في خراسان، وكانت حركة المقنع [5] وحركة سنباذ [6] استمرارًا لتمرد

---

(١) الطبري ج٥ ص٤٦٧ . مطبعة الاستقامة .

(٢) نبذة من كتاب التأريخ للمؤلف المجهول ص٤٠ .

(٣) الدينوري : الأخبار الطوال ص٣٦١ ـ ٣٦٢ .

(٤) انظر الفخري في الآداب السلطانية ص١٣٧ مطبعة محمد علي صبيح القاهرة بلا تاريخ وابن الأثير الكامل ج٥ ص١٨٧ مطبعة التحرير القاهرة ١٣٠٣هـ .

(٥) انظر النوبختي : فرق الشعية ص٦٨.

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص١٧ والفخري في الآداب السلطانية ص١٣٧.

الراوندية، وتعبيرًا عمليًا عن السخط والكراهية للعرب، ومساهمة فعالة من الموالي في الحركات التي استهدفت القضاء على السلطان العربي، وإن مواقف هؤلاء الموالي تدخلهم في نطاق الشعوبية العنصرية.

من هذا العرض يمكن أن نقول أن الشعوبية العنصرية هي المظهر الثاني للحركة الشعوبية، وعلى هذا المظهر أطلق المؤرخون الحكم بالشعوبية وذلك على آراء ومواقف وأشخاص (دفعت العرب عن كل فضيلة وألحقت بهم كل رذيلة وفضلت الشعوب الأخرى عليهم) [١]، وادعت (أن الأمم كلها من الأعاجم في كل شق من الأرض ملوك تجمعها ومدائن تضمها وأحكام تدين بها وفلسفة تنتجها .. ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها، ولا كان لهم قط نتيجة من صناعة ولا أثر من فلسفة) [٢] وتظاهرت الشعوبية بالإسلام، ورفعت شعار المساواة تغطية وتسترًا. ولهذا فالشعوبية العنصرية حركة تقوم على أساس عنصري يدفعها الحسد والحقد وفي هذا المعنى عرف ما كدو نالد الشعوبية: (بأنها الطائفة التي تفضل الأجناس الأخرى على العرب) [٣].

ولقد افترضت الشعوبية فرضيات موهومة لتبرر هجومها على العرب والحط من مكانتهم فزعمت (أن الفرس من ولد إسحاق بن إبراهيم عليه السلام والعرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم وإسحاق بن سارة الحرة وإسماعيل بن هاجر الأمة فهم أفضل من العرب لأنهم الأحرار وأما العرب فبنوا اللخناء) [٤].

وقد جسمت الشعوبية العنصرية أخطاء العرب وذهبت إلى اعتبار الخطأ الواحد الذي وقع بصورة فردية خطأ عامًا يشمل العرب كلهم

(١) محمد كرد علي: رسائل البلغاء ص٣٤٤.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٣ ص٤٠٥ تحقيق أحمد أمين وجماعته.

(3) Enxuclopaedia of Islam, vol. 4, p. 395.

(٤) رسائل البلغاء ص٢٦٥.

فكانت تستغل ما (صدر عن كل قبيلة من بيت تعير به أو عمل تؤاخذ عليه أو جريمة ارتكبها أحد أفرادها فقيدتها وأذاعتها للتشهير بالعرب جميعا)[1].

وقد رفعت الشعوبية العنصرية شعار المساواة متظاهرة بالإسلام لاسيما في الفترات التي تشتد فيها المقاومة العربية مما حمل بعض الكتاب أن يعرفوا الشعوبية (بأنهم أهل التسوية) [2] وإن الشعوبية (فرقة لا تفضل العرب على العجم) [3].

ولم تكن الشعوبية العنصرية حركة منظمة لأنها لم تكن عقيدة محدودة الآراء والمبادئ إنما هي نزعة عدائية لذلك عرفها الفيروزأبادي بقوله والشعوبي محتقر أمر العرب وهم الشعوبية) [4] ولذلك لا نستطيع حصر معتنقي الشعوبية فهم من أقوام عدة وديانات مختلفة ومستويات اجتماعية متباينة) [5] إلا أن شروط الشعوبية العنصرية الكراهية للعرب والطعن في العرب وحضارتهم والعمل على هدم سلطانهم والإشادة بشعب آخر على حساب ومما ذكرنا يمكن أن نعرف الشعوبية العنصرية بأنها مجموع الأشخاص والمواقف والآراء المعادية للعرب التي ذهبت في ذمهم كل مذهب وعملت على تشويه حضارتهم وهدم كيانهم وفضلت غيرهم من الشعوب عليهم متظاهرة بالإسلام حينًا، وبالولاء القبلي والحزبي أحيانًا ورفعت شعار المساواة تسترا وتغطية من أجل تمرير مؤامراتها وتحقيق أهدافها.

(١) أحمد أمين: ضحى الإسلام ج١ ص٥٩.
(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٣ ص٤٠٣ تحقيق أحمد أمين القاهرة ١٩٤٢.
(٣) ابن منظور: لسان العرب ج١ ص٥٠٠ بيروت ١٩٥٥م.
(٤) الفيروزأبادي: القاموس المحيط ج١ ص٨٨ الطبعة الثالثة ١٣هـ ١٩٣٥م.
(٥) أحمد أمين: ضحى الإسلام ج١ ص٥٩ ـ ٦٠.



الفصل الثالث

أساليب وأهداف الحركة الشعوبية

الفصل الثالث

أساليب وأهداف الحركة الشعوبية

■ □ ■ □

أولا : أساليب الحركة الشعوبية :

الشعوبية مجموعة مواقف متحدية يدفعها الوعي حينًا فتكون حركة منظمة ، ويدفعها الحقد والحسد حينًا آخر فتكون نزعة عدائية غير منظمة ، ومن متابعة نشاط الشعوبية بمظهريها الديني والعنصري يمكننا أن نقرر أن الشعوبية الدينية كانت حركة منظمة فقد تظاهرت بالإسلام وعملت على هدمه من الداخل وتوزعت إلى فرق وحركات كثيرة إمكانا في التستر والاختفاء ، وكانت تنظيماتها مركزة تجلت في التعليمات التي كانت تصدرها لدعاتها فقررت أن من شروط الداعي لدعوتها (أن يكون عارفًا بالوجوه التي تدعى بها الأصناف فليست دعوة الأصناف من وجه واحد بل كل صنف من الناس وجه يدعي منه) [1] ، ولا شك أن مثل هذه التعليمات لا يمكن أن تصدر إلا من جهة منظمة لها خبرتها وتجاربها في مجال التنظيم والدعاية ، وأن هناك عملية إعداد خاصة للدعاة من أجل أن تكون لهم القدرة لمعرفة الناس وكيفية التأثير عليهم بعد الوقوف على تكوينهم الفكري والديني والخلقي وفي ذلك ينتقل البغدادي على لسان أحدهم (فمن كان مائلا للعبادات حمل على الزهد والعبادة ثم سأله عن معاني

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص١٨٠ـ ١٨١ .

العبادات وعلل الفرائض وشككه فيها ، ومن رآه ذا مجون وخلاعة قال له: العبادة بله وحماقة وإنما الفطنة في نيل اللذات ... ومن رآه شاكا في دينه أو في المعاد والثواب والعقاب صرح له بنفي ذلك وحمله على استباحة المحرمات) [1] .

ولقد وجدت الفرق الغالية في التظاهر بالإسلام ستارا لنشاطها فوضعت آراءها ومبادئها على أسس من الدين وفسروا آيات من القرآن تفسيرا يتناسب وأهدافهم ومعتقداتهم فكان الحلول والتناسخ تأويلًا لقوله: تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ (التحريم : ١٢) فقالوا : «إن عيسى روح القدس وأن روح القدس هو الله» ، وعلى هذا الأساس أعلن عبد الله بن سبأ :«أن عليا إله الخلق» [2] ، وقال: «العجب ممن يصدق أن عيسى يرجع ويكذب أن محمدًا يرجع» [3] .

وفكرة البداء كانت تأويلا لقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ و (الرعد : ٣٩) قد وجدت الفرق الغالية في الالتفاف حول آل البيت ستارًا كثيفًا لحركتها فنجد أن معظم الفرق الغالية قد اتخذت أحد أفراد آل البيت وجعلته محورًا لنشاطها وغلوها وقد كشف الغلاة أسباب التفافهم حول آل البيت فقالوا : (إنا إن أظهرها رأينا الذي نعتقد .. رمينا بالكفر والزندقة وقد وجدنا أقواما ينتحلون حب علي ويظهرونه ثم يقعون بمن شاءوا ويعتقدون ما شاءوا ويقولون ما شاءوا فنسبوا بذلك إلى الترفض فلم نر لمذهبنا أمرا ألطف من انتحال هذا الرجل ثم نقول ما شئنا

---

(١) المصدر السابق ص١٨٠ ـ ١٨١ .

(٢) الإسفراييني : التبصير في الدين ص٢٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج٣ ص٥٩ مطبعة التحرير القاهرة ١٣٠٣ هـ .

ونقع بها شئنا فلأن يقال لنا رافضة أحب إلينا من أن يقال زنادقة كفار وما على عندنا أحسن حالًا من غيره ممن نقع بهم) [1] ، ولقد حقق هذا الولاء الكاذب نجاحا لحركة الغلو ، فقد انخدع به عدد من المسلمين فحينما أعلن عبد الله بن سبأ غلوه في الإمام علي والأئمة من بعده وادعى أن الأئمة آلهة لأن الجزء الإلهي يحل فيهم [2] قرر الإمام علي عليه السلام حرقه، فتنادي الناس (يا أمير المؤمنين أتقتل رجلًا يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعداءك) [3] وهؤلاء الذين تنادوا كانوا فريقين فريق منخدع بولاء ابن سبأ المزيف ، وفريق آخر كان على اتفاق مسبق معه وكان يدرك ما يريد فصاح لينقذ ابن سبأ من الموت .

والباطنية وهي من أوسع وأخطر الفرق الغالية ضمت إلى صفوفها فرقا غالية أخرى [4] ، وجدت في الولاء المصطنع لآل البيت حماية لها فأعلنت عن رأيها في هذه العبارة (فنحن نطمع في أبطال دينهم إلا أننا لا يمكننا محاربتهم لكثرتهم فليس الطريق إلى إنشاء دعوة في الدين والانتماء إلى فرقة منهم .. فتناصروا وانتسبوا إلى إسماعيل بن جعفر الصادق) [5] .

ومما يدل على تنظيمات الباطنة تعليماتها التي كانت تصدرها لدعاتها ومنها قولهم: (فمن رآه الداعي مائلا إلى أبي بكر وعمر مدحهما عنده وقال : لهما حظ في تأويل الشريعة .. فإذا سأله الموالي لأبي بكر وعمر عن التأويل

---

(١) الدارمي : كتاب الرد على الجهمية ص٩٨ ـ ٩٩ .

(٢) انظر البغدادي : الفرق بين الفرق ص١٨ .

(٣) النوبختي : فرق الشيعة ص٢٢ . طبعة النجف ١٩٣٦م .

(٤) انظر البغدادي : الفرق بين الفرق ص١٧٠ ـ ١٧١ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك القسم الثاني من الجزء الخامس ص١١٠ .

المذكور لأبي بكر وعمر أخذ عليه العهود والمواثيق في كتمان ما أظهره له، ثم ذكر له بالتدريج بعض التأويلات فإن قبلها منه أظهر الباقي وإن لم يقبل منه التأويل الأول ربطه في الباقي وكتمه عنه) [1].

وقد وجدت الزندقة في التظاهر بالإسلام وقاية لها، فتظاهرت المانوية بأداء بعض الفرائض الدينية لا سيما تلك التي لها شبه بين بعض طقوسهم والشعائر الإسلامية كالصلاة والصوم لستر مانويتهم، كما أن أصحاب الديانات الثنوية الأخرى وجدوا في المانوية ستارًا لآرائهم فانخرطوا في صفوفهم ليحققوا من خلال ذلك أغراضهم المعادية للإسلام [2].

وقد تظاهرت عدد من مشاهير الزنادقة بأداء الشعائر الإسلامية ومن هؤلاء عبد الكريم بن أبي العوجاء على شهرته بالزندقة ذهب إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج فراه الإمام الصادق «عليه السلام» فسأله مستغربا (ما جاء بك إلى هذا الموضع فيجيب ابن أبي العوجاء ـ عادة الجسد وسنة البلد ـ) [3]، وكان صالح بن عبد القدوس يمثل الزنادقة في مناقشاتها (يصلي صلاة تامة الركوع والسجود فيقل له: ما هذا ومذهبك معروف؟ قال: سنة البلد وعادة الجسد وسلامة الأهل والولد) [4].

وقد وجد الزنادقة في التظاهر بالمجون وسيلة لستر معتقداتهم وآرائهم وأسلوبًا ناجحًا للهجوم على الإسلام فقد اشتهر عدد من مشاهير الزنادقة بالمجون فكان (حماد عجرد وحماد الراوية وحماد الزبرقان ويونس بن فروة

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق ص١٨١.
(٢) انظر الدوري: العصر العباسي الأول ص١١٠ ـ ١١٢ والجذور التاريخية للشوبية ص٢١.
(٣) الكليني: أصول الكافي ج٣ القسم الأول ص١٩ ـ ٢٠.
(٤) المرتضي: أمالي المرتضي ج١ ص١٤٤.

وعلي بن خليل ويزيد بن الفيض وعبادة وجميل بن محفوظ وقاسم بن زنقطة ومطيع ووالبة بن الحباب وإبان بن عبد الحميد وعمارة بن حمزة يتواصلون وكأنهم نفس واحدة) [1] وكانت هذه المواصلة على الشراب والغلمان وأنواع المجون الأخرى في سبيل إبعاد تهمة الزندقة عنهم والحكم عليهم بالمجون دونها ، وقد أدى هذا الأسلوب إلى تحقيق مهمته حتى أن حماد عجرد قد استطاع أن يغطي به زندقته على المقربين منه كأبي نواس [2] ، ويتصل مطيع بن إياس بجعفر بن المنصور فيقف المنصور على زندقة مطيع ويقرر معاقبته فيتقدم محمد المهدي يدافع عن مطيع قائلًا: (أما الزندقة فليس من أهلها ولكنه خبيث الدين فاسق مستحل للمحارم) [3] وهكذا استطاع مطيع أن يخفي بتظاهره بالفسق والمجون ، وأن يخدع المهدي بذلك ويخفي عليه زندقته على الرغم من شهرة المهدي بمقاومة الزنادقة ، ومما يدل على أن المجون كان وسيلة للتستر أن مطيع بن إياس هذا لما حضرته الوفاة (اجتمع حوله أهله يقولون له: قل يا مطيع: لا إله إلا الله فلا يقول حتى إذا صارت نفسه ثغرته كر يتنفس ثم أهوى إلى الكلام فقالوا له: قل يا مطيع لا إله إلا الله تكلم كلامًا ضعيفًا فتسمعوا له فإذا هو يقول :

لهف نفسي على الزمان وفي	أي زمان دهتني الأزمان
حين جاء الربيع واستقبل الصيف	وطاب الكلاء والريحان [4]

وقد وجد الزنادقة أن التظاهر بالظروف وسيلة أخرى للتستر على

---

(١) الجاحظ : الحيوان ج٤ ص٤٤٧ تحقيق عبد السلام هارون القاهرة ١٩٤٠م .

(٢) انظر الأغاني ج١٣ ص٧١ .

(٣) المصدر السابق ج١٣ ص٩٦ .

(٤) المرتضي : أمالي المرتضي ج١ ص١٤٢ .

زندقتهم كما أنهم وجدوا فيه إسلوبًا فذا لخداع الشباب وإغرائهم للدخول في أتون الزندقة وفي ذلك يقول الثعالبي: (وقد كان الجاهل الغر من أهل ذلك العصر تقفل على الزندقة وينتحلها ليعد من الظرفاء) [1] ، وبعد عملية الإغراء للخداع هذه تبدأ عملية الإعداد والتثقيف للإيمان بآراء ومعتقدات الزندقة ، وقد انتبه الجاحظ إلى خططهم هذه فقال: (وربما سمع أحدهم أن لا معرفة عنده ولا تحصيل له أن الزنادقة ظرفاء وأنهم عقلاء وأدباء .. ينزو نحوهم ويرى أنه متى اتهم بهم فقد قضى له بذلك كله فلا يزال كذلك حتى يسهل في طباعه ويرفع عنده أن يزعم أنه زنديق) [2] .

ومن مشاهير الزنادقة الذين اتخذوا الظرف ستارًا وأسلوبًا للخداع صالح بن عبد القدوس وأبو العتاهية وبشار بن برد وحماد الراوية وحماد عجرد ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد وعلي بن الخليل .. وممن تقدمهم ابن المقفع وابن أبي العوجاء) [3] وأغلب هؤلاء كان قد اشتهروا بالمجون كأنهم لم يكتفوا بالمجون ستارًا فتظاهروا بالظرف إمعانا في التستر وإذا ذكرنا أن صالح بن عبد القدوس أشهر الزنادقة علما وكان لشهرته في العلم أقامه الزنادقة في الجدال عن مذهبهم [4] ، وعبد الله بن المقفع الذي نقل كتب ماني وابن ديصان ومرقيون من الفارسية إلى العربية لنشر الزندقة [5] ، وابن أبي العوجاء الذي صنف الكتب في نصرة الاثنين ، وكذا حماد عجرد ويحيى

---

(١) الثعالبي : ثمار القلوب من المضاف والمنسوب ص١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٢) المصدر السابق ص١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٣) المصدر السابق ص١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٤) الكتبي : فوات الوفيات ج١ ص٣٩١ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

(٥) المسعودي : مروج الذهب ج٨ ص٢٩٣ «طبعة باريس» .

ابن زياد ومطيع بن إياس [1] ، إذا ذكرنا ذلك أدركنا أن الظرف كان ستارًا اتخذه هؤلاء لستر آرائهم ومواقفهم المعادية للإسلام .

ومما يؤكد أن الظرف كان إسلوبا للتستر أن يحيى بن زياد وهو من أشهر الذين عرفوا بالظرف حتى أصبحت هذه الكلمة مقرونة به (فكانوا إذا وصفوا إنسانا بالظرف قالوا هو أظرف من الزنديق يعنون يحيى لأنه كان ظريفا) [2] فلما حضرت يحيى بن زياد الوفاة (قيل له وهو يجود بنفسه قل لا إله إلا الله فقال : لم يبق إلا القرط والخلاخل ، ثم أغمى عليه فلما أعيد عليه القول فقال : وبازل تغلى به المراجل) [3] فمات يحيى ولم يقل لا إله إلا الله وهو على شهرته بالظرف .

وقد انتشر التظاهر في أيام المهدي لأنه كان جادًا في مقاومة الزنادقة وفي ذلك يقول الثعالبي: (فقد صار مثلا في زمان كثر ظرفاؤه وهو زمن المهدي)[4] .

ولكي يحقق الظرف مهمته كستارللزندقة وإسلوب لإغراء الآخرين الدخول فيها ردد الشعراء الزنادقة قول أبي نواس: «تيه مغني وظرف زنديق» [5] وقالوا: أن الظرف علامة من علامات الخفة والأدب وإن الزندقة ما هي إلا المجون والتظارف فكانوا ينشدون :

تزندق معلنًا ليقول قوم ... من الأدباء زنديق ظريف
فقد بقى التزندق فيه وسما ... وما قيل الظريف ولا الخفيف [6]

(١) المصدر السابق ج١ ص١٤٣ .

(٢) أمالي المرتضى ج١ ص١٤٣ .

(٣) أمالي المرتضى ج١ ص١٤٣ .

(٤) الثعالبي : ثمار القلوب ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٥) أمالي المرتضي ج١ ص١٤٣ .

(٦) الثعالبي ثمار القلوب ص١٣٨ ـ ١٣٩ .

والشعوبية العنصرية لم تكن حركة منظمة لأنها لا تقوم على عقيدة معينة ولا تستند إلى أسس محدودة إنما هي نزعة عدائية تتمثل في مواقف فردية فعلية إلا أن هؤلاء الشعوبيين العنصريين حينما واجهوا مقاومة عنيفة من الجانب العربي عمدوا إلى اتباع أساليب مختلفة لستر مواقفهم المعادية ومن أجل تحقيق أهدافهم فكانوا يرفعون شعار المساواة كلما وجدوا حاجة إلى ذلك ولم ينس الشعوبية أن يدعموا شعارهم هذا بآية من القرآن الكريم تمسكوا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، ولم يغفلوا أحاديث رسول في هذا المجال فتظاهروا بالتمسك بقوله ﷺ: « **المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم** » [1] وقوله ﷺ في خطبة الوداع: « **يا أيها الناس إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالإباء وكلكم لآدم وآدم من تراب، ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى** » [2].

وقد وجد الشعوبيون العنصريون في التظاهر بالولاء القبلي والسياسي حماية لهم ووسيلة للتهجم على العرب وحضارتهم وخير من يمثل هذا الولاء المصطنع الشاعر إسماعيل بن يسار الذي كان ولاؤه القبلي إلى قبيلة تيم بن مرة [3]، أما ولاؤه السياسي فكان يتنقل به من حزب إلى آخر (فانقطع فترة إلى آل الزبير فلما أضفت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان وفد إليه ... ومدحه مدح الخلفاء من ولده) [4] إلا أن عبد الملك بن مروان أدرك ولاء إسماعيل المصطنع فقال له: (يا ابن يسار إنما أنت امرؤ زبيري فبأي لسان تنشد؟) [5]، فشعر إسماعيل بالحرج إلا أنه تخلص من ذلك بأسلوب

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج ٣ ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤ تحقيق أحمد أمين وجماعته.
(٢) المصدر السابق ج٣ ص ٤٠٤.
(٣) الاصهفاني: الأغنى ج٤ ص١١٨.
(٤) الاصفهاني: الأغاني ج٤ ص١١٨.
(٥) المصدر السابق ج٤ ص١١٨.

يتناسب وقدرته على التلون، فقال مخاطبا عبد الملك: (يا أمير المؤمنين أنا أصغر شأنًا من ذلك ، وقد صفحت عن أعظم جرم وأكثر غناء لأعدائك مني وإنما أنا شاعر مضحك) [1] ، ولم يصدق إسماعيل في اعتذاره ، هذا كما لم يصدق في ولائه لآل مروان وقد كشف عن كذبه هذا فقد (استأذن على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يومًا ، فحجب ساعة ثم أذن له فدخل يبكي فقال له الغمر : ما لك يا أبا فائد تبكي قال وكيف لا أبكي وأنا على مروانيتي ومروانية أبي أحجب عنك فجعل الغمر يعتذر إليه وهو يبكي فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر .. وخرج من عنده فلحقه رجل فقال له : أخبرني ويلك يا إسماعيل أي مروانية كانت لك أو لأبيك قال : بغضنا إياهم امرأته طالق لأن لم يكن يعلن مروان وآله كل يوم مكان التسبيح) [2] .

واستغل الشعوبيون الولاء القبلي أوسع استغلال من أجل إيقاع الفتن بين القبائل العربية وتغذية الاتجاهات وتوسيعها في سبيل تفرقة العرب وتمزيق وحدتهم فقد استغل أبو عبيدة معمر بن المثني ولاءه لقبيلة تيم قريش للهجوم على القبائل الأخرى فوضع القصص البذيئة من أجل الحط من مكانتها وتأليب القبائل بعضها على البعض الآخر [3] ، وبشار بن برد استغل ولاءه إلى قبيلة [4] عقيل للهجوم على قبائل عربية أخرى، واتخذ أبو نواس من القحطانية ولاءً ليبرر لنفسه الهجوم على القبائل العدنانية وهي نصف العرب ومنها الرسول والخلفاء الراشدون والأمويون والعباسيون فقال في قصيدة هجا فيها العدنانية من خلال تظاهره بالولاء

---

(١) المصدر السابق ج٤ ص١٢٣.

(٢) المصدر السابق ج٤ ص١١٩.

(٣) انظر الصفحات السابقة المتعلقة بموقف أبي عبيدة ص٨٥ ـ ٨٧ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص٢٤٥ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٨ .

للقحطانية :

ونحن إذا فارس تدافع بهر ... ام قسطنا على مرازبها
فأفخر بقحطان غير مكتئب ... فحاتم الجود من مناقبها
إن فاخرتنا فلا افتخار لها ... إلا التجارات من مكاسبها
واهج نزارا وأخر جلدتها ... وهتك الستر عن مثالبها [(1)]

كما استغل الشعوبيون الولاء السياسي لضرب الأحزاب العربية بعضها بالبعض الآخر ومن أجل إيقاع الفتن والمنافسات بين الأحزاب العربية علة إضعافها والقضاء عليها فتظاهر أبو سلمة الخلال بالولاء للعلويين على حساب العباسيين من أجل إثارة الفتنة بين الجانبين لإضعافها والقضاء عليهما [(2)] . وعمل جعفر البرمكي على إطلاق سراح يحيي بن عبد الله العلوي وزوده بالمال والسلاح لتقويته وحمله على الثورة ضد العباسيين [(3)] . واستغل الفضل بن سهل مكانته عند المأمون وتظاهر بالولاء للعلويين وأشار على المأمون أن يعهد بولاية العهد إلى على بن موسى الرضا ليس حبًا في علي الرضا بل في سبيل إيقاع الفتنة بين العلويين والعباسيين لإضعافهما والتغلب عليهما [(4)] .

وقد اتبع الشعوبيون أساليب غير مباشرة في تحقيق أغراضهم فحينما أرادت البرامكة إحياء عبادة النار أوحوا للرشيد ضرورة إيقاد النار في الكعبة من الأخشاب النادرة ، وادعوا أن في ذلك تقديسًا وإكبارًا للكعبة، وقد أشار إلى أسلوبهم هذا البغدادي قائلا: (ولم يمكنهم إظهار عبادة

---

(1) ديوان أبي نواس ص٥٠٦ ـ ٥٠٨ تحقيق عبد المجيد الغزالي .

(2) انظر المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص٢١١ ـ ٢١٢ المطبعة البهية القاهرة ١٣٤٦هـ .

(3) الطبري ج١٠ ص٨٠ ـ ٨١ الطبعة الحسينية .

(4) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص٣١٣ تحقيق مصطفى السقا وجماعته .

النيران ، فاحتالوا بأن قالوا للمسلمين: ينبغي أن تجمر المساجد كلها .. وكانت البرامكة قد زينوا للرشيد أن يتخذ من جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها فعلم أنهم أرادوا عبادة النار في الكعبة) [١] .

ولما أدرك الشعوبيون العلاقة العضوية بين العروبة والإسلام وأدركوا أن مهاجمة الإسلام تجر عليهم تهمة الزندقة عملوا على فصل العروبة عن الإسلام بدعوى أن الإسلام دين البشرية جمعاء وأنه ليس للعرب فضل على غيرهم (فقد جمعتنا وإياهم ولادة إبراهيم وأسلمنا كما أسلموا .. ولم نجد الله عز وجل فضلهم علينا إذ جمعنا الدين) [٢] وبعد هذا التمهيد أخذ الشعوبيون يتهجمون على العرب ولاسيما في العصر العباسي حيث استطاعوا الفصل بين العروبة والإسلام بحيث وجدنا علان الوراق الشعوبي يؤلف (كتاب الميدان في المثالب الذي هتك فيه العرب وأظهر مثالبها) [٣] يشغل منصبًا مرموقًا في خلافة الرشيد والمأمون حيث كان (ينسخ في بيت الحكمة) [٤] وكذلك سهل بن هارون على شهرته في معاداة العرب كان (متحققًا بخدمة المأمون وصاحب خزانة الحكمة له) [٥] وقد اعتبر الأستاذ «كولد زيهر» هذا الموقف من الخلفاء العباسيين تأييدًا للشعوبية [٦] والذي نراه أن هذا لم يكن تأييد من الخلفاء العباسيين للشعوبية بقدر ما كان مرحلة فكرية ساد خلالها الفصل بين العروبة

---

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص٢٨٥ . تحقيق محيي الدين عبد الحميد .
(٢) الأصفهاني : الأغاني ج١٢ ص١٣٩ .
(٣) ابن النديم : الفهرست ص١٥٩ ـ ١٦٠ .
(٤) المصدر السابق ص١٦٠ .
(٥) المصدر السابق ص١٨٠ .
(٦) جب : دراسات في حضارة الإسلام الترجمة ص٨٨ .

والإسلام بحيث أصبح الهجوم على العروبة لا يعني الهجوم على الإسلام ولم يستمر هذا التأييد طويلا إذ وقف كل من الرشيد والمأمون مواقف صارمة من الشعوبيين كما سنرى في الفصل القادم .

وقد عمل الشعوبيون على إثارة الوعي لدى الفرس عن طريق الترجمة عن اللغة الإيرانية واندفع المثقفون الشعوبيون في وضع الكتب عن الحضارة الإيرانية القديمة ونسبتها إلى مؤلفين قدامى من أجل تأكيد الفرضية الشعوبية القائلة: «إن الحضارات القديمة خاصة الساسانية أساس كل شيء وأن الحضارة العربية الإسلامية لا تعدو أن تكون أخذا من تلك الحضارة» [1] ، واستهدفت الشعوبية من وراء عملية الترجمة والتأليف هذه إثارة الثقة لدى الفرس وروح التحدي من ناحية والتفاخر على العرب والحط من حضارتهم من ناحية ثانية فكانت الشعوبية تردد دوما (ومن أحب أن يبلغ من صناعة البلاغة ويعرف الغريب ويتبحر في اللغة فليقرأ كتاب كاروند ، ومن احتاج إلى العقل والأدب والعلم بالمراتب .. والمعاني الشريفة فلينظر إلى سير الملوك) [2] وقد أدت حركة الترجمة والتأليف هذه مهمتها فكان الناشيء من الشعوبيين (متى وطىء مقعد الرئاسة وصارت الدواة أمامه روى لبز جمهر أمثاله ولاردشير عهده ولعبد الحميد رسائله ولابن المقفع أدبه وصير كتاب مزدك معدن علمه ودفتر كليلة ودمنة كنز حكمته أنه الفاروق الأكبر في التدبير) [3] .

(١) انظر الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص٦٤ ـ ٧٢ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ج٣ ص١٠ .

(٣) الجاحظ : ثلاث رسائل ص٤٢ ـ ٤٣ الرسالة الثانية (تحقيق بوشع فنكل) .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد من التفاخر بآثار الفرس بل طعنوا في حضارة العرب ومعالمها ولما كان القرآن في تأليفه والقضاء عليه بتناقضه ثم بتكذيب الأخبار ـ أي التأريخ ـ وتهجين نقل الآثار) (١) .

وإلى جانب هذا لم يهمل الشعوبيون إثارة الحقد على العرب والكراهية وتشويه حضارته فخاطبوا العرب بقولهم: (ولكنكم كنتم رعاة بين الإبل والغنم) (٢) وعمدوا إلى وضع كتب المثالب في الحط من مكانة العرب وكانوا يعمدون إلى بعض الصفات الشاذة التي ظهرت في فترة معينة عند قبيلة فخذ فأذاعوها باعتبارها صفة عامة للعرب جميعًا ، فوأد البنات مثلا كان لأسباب معينة وحصل لفترة قصيرة سبقت ظهور الإسلام وذلك في فخذين من قبيلتي ربيعة وتميم (٣) تحدثت الشعوبية عن ذلك باعتباره صفة عامة عند كل العرب من غير أن تفطن إلى ما يحدث من اعتراض على هذا الادعاء إذ لو كانت العرب عامة تئد بناتها بصفة مستمرة فمن أين جاء هؤلاء العرب الذين كانوا أيام الرسول ؟

وقد عمدت الشعوبية العنصرية إلى فرض الفرضيات الغربية من أجل إصدار الأحكام القاسية على العرب فادعت (فإن منا الأنبياء والمرسلين قاطبة من لدن آدم ما خلى أربعة : هودًا وصالحًا وإسماعيل ومحمدًا ، ومنا المصطفون من العالمين آدم ونوح وهما العنصران اللذان تفرع منهما البشر فنحن الأصل وأنتم الفرع) (٤) وافترضت الشعوبية أن الفرس أحرار والعرب عبيد بفرضية لا نصيب لها من الصحة فزعمت أن الفرس أولاد

(١) الجاحظ : ثلاث رسائل باعتناء يوشع فنكل ص٤٢ ـ ٤٣ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ج٣ ص١٠.

(٣) انظر الألوسي : بلوغ الأرب ج١ ص١٤٠ .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٣ ص٤٠٥ تحقيق أحمد أمين .

سارة الحرة أما العرب فأولاد هاجر الأمة دون أن تقدم دليلًا واحدًا على ادعائها هذا .

كما عملت الشعوبية العنصرية على إشراك الشعوب الأخرى في المعركة ضد العرب فكانت تفاخر بجميع الأمم وبآثارها على حساب العرب من أجل توسيع المعركة المعادية للعرب وإشغالهم في أكثر من ميدان ومع أكثر من شعب فقالت: (فهذه الفرس ورسائلها وخطبها .. وهذه يونان ورسائلها وخطبها وحكمها ، وهذه كتبها في المنطق .. وهذه كتب الهند في حكمها وأسرارها وسيرها وعللها [(١)] وحينما تفاخر الجيهاني الشعوبي لم يفاخر بحضارة الفرس فحسب بل تفاخر بحضارات أخرى فقال: (ليس للعرب كتاب إقليدس ولا المجسطي ولا الموسيقى ولا كتاب الفلاحة ولا الطب ولا العلاج ولا ما يجري في مصالح الأبدان ويدخل في خواص الأنفس) [(٢)] ، وعندما افتخرت الشعوبية على العرب في مجال الحكم زجت شعوبا كثيرة في معركتها فقالت: (فإن لنا ملوك الأرض كلهم من الفراعنة والنماردة والعمالقة والأكاسرة والقياصرة ، وهل ينبغي لأحد أن يكون له مثل ملك سليمان الذي سخرت له الإنس والجن والطير والريح وإنما هو رجل منا . أم هل كان لأحد مثل ملك الأسكندرية الذي ملك الأرض كلها وبلغ مطلع الشمس ومغربها) [(٣)] .

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ج٣ ص١١ .
(٢) التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ج١ ص٨٩ .
(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٣ ص٤٠٤ .

ثانيا : أهداف الحركة الشعوبية :

١ ـ تشويه مبادئ الإسلام وهدمها من الداخل :

نظرة إلى مظاهر الشعوبية بنوعيها ، ومن تتبع نشاطها في مواقفها وآرائها وأساليب عملها يمكن أن نقول: أن الشعوبية ترمي إلى أهداف ثلاثة ـ تشويه مبادئ الإسلام وهدمها من الداخل ، إزالة السلطان العربي وتشويه الحضارة العربية ، وإعادة السلطان الفارسي والعمل على ازدهار الحضارة الإيرانية .

يقوم الدين الإسلامي على ثلاثة أركان اعتقادية هي: (التوحيد والنبوة والمعاد .. وركن رابع هو العمل بالدعائم .. وهي خمسة : الصلاة والصوم الزكاة والحج والجهاد ..فهذه الأركان الأربعة هي أصول الإسلام والإيمان بالمعنى الخاص عند جمهور المسلمين .. ولكن الشيعة الأمامية زادوا ركنا خامسًا هو: الاعتقاد بالإمامة)[١] وأن محاربة الإسلام تعني محاربة هذه المبادئ عن طريق التشويه حينًا والهدم حينا آخر ، وقد ركزت الشعوبية الدينية هجومًا متصلًا إلى «مبدأ التوحيد» الذي هو (أصل الدين وعمود الإسلام)[٢] وقد استغلت معظم الفرق الغالية الحلول والتناسخ لمحاربة هذا المبدأ فأحلت (الله في أشخاص الأنبياء والأئمة)[٣] وجعلت منهم آلهة إلى جانب الله «سبحانه وتعالى» ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن معظم رؤساء الفرق الغالية ادعوا الألوهية بحجة تناسخ روح الله في الأنبياء والأئمة وانتقالها إليهم .

---

(١) محمد الحسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ص١٠١ ، ١٠٢ «الطبعة ٩» .

(٢) الخياط : الانتصار ص٧٨ ـ ٧٩ .

(٣) البغدادي : الفرق بين الفرق ص١٣٨ .

وطعنت بعض الفرق الغالية بقدرة الله «بالبداء» ونسبت من خلاله إلى الله الجهل والضعف [1] .

وذهبت فرق غالية أخرى إلى القول بالتشبيه والتجسيم من أجل الطعن بوحدانية الله فقال هشام بن الحكم وهو أحد الغلاة أن الله (سبعة أشبار بشبر نفسه وأنه ذو حد ونهاية وأنه طويل وعريض وعميق ذو لون وطعم ورائحة) [2] ، وادعى هشام الجو اليقي وهو الآخر من الغلاة أن الله (جسم مصور بصورة إنسان) [3] ، وزعم أن معبوده على صورة الإنسان وأن صفة الأعلى مجوف ونصفه الأسفل مصمت، وأن له شعرة سوداء وقلبًا تنبع منه الحكمة ، وزعمت فرقة اليونسية (أن الملائكة تحمل العرش والعرش يحمل الرب .. وأن الملائكة تطء أحيانًا من وطأة عظمة الله على العرش) [4] .

وعمل الزنادقة من الثنوية على ضرب مبدأ التوحيد عن طريق تشكيك (ضعاف الغرائز في الواحد الأول من جهة التعديل وأمالوهم إلى التثنية)[5] وحبذوا للناس عبادة الاثنين النور والظلمة [6] . وذهب الزنادقة من الدهرية إلى نفي مبدأ التوحيد من أساسه فأنكروا (الصانع المدبر وزعموا أن العالم لم يزل موجودًا كذلك بنفسه لا بصانع) [7] ورددوا: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[الجاثية : ٢٤] .

(١) انظر الصفحات السابقة المتعلقة بمبدأ البداء ص٥٦ ـ ٥٩ .
(٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص١٣٩ .
(٣) الدهلوي : مختصر التحفة الاثنى عشرية ص١٥ .
(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص٢٤ .
(٥) البيروني : تحقيق ما للهند ص١٣٢ .
(٦) الطبري : ج١٠ ص٤٢ الطبعة الحسينية .
(٧) الغزالي : فيصل التفرقة ص١٧٣ .

وقد وجهت الشعوبية الدينية حملة قوية إلى «مبدأ النبوة» الذي (يقوم على الإيمان والاعتراف بجميع الأنبياء والرسل وأن محمدًا خاتمهم، وأن القرآن هو دستور الإسلام لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة) [(١)]، فعمدت بعض الفرق إلى استغلال التأويل للطعن في مبدأ النبوة فقالوا: (إن كل مؤمن يوحي إليه) [(٢)]، وعلى هذا الأساس ادعى أبو منصور العجلي النبوة فقال: (إن الله بعث محمدا بالتنزيل وبعثه هو بالتأويل) [(٣)]، واستغلت فرق غالية أخرى التناسخ لإلغاء فكرة اختتام النبوة بمحمد فقالوا :«أن روح الله التي تحل في نفوس الأنبياء .. تنتقل من نبي إلى نبي آخر بعد وفاة السابق ولا يوجد في الوقت الواحد غير نبي واحد» [(٤)].

وذهب ابن الراوندي إلى نكرات فكرة النبوة من أساسها فقال :(إن الذي يأتي به الرسول لم يخل من أحد أمرين، إما أن يكون معقولًا، وإما أن لا يكون معقولًا، فإن كان معقولًا فقد كفانا العقل التام بإدراكه والوصول إليه فأي حاجة لنا إلى الرسول ؟ وإن لم يكن معقولًا فلا يكون مقبولًا إذ قول ما ليس بمعقول خروج عن حد الإنسانية ودخول في حد البهيمية) [(٥)] وذهب محمد بن زكريا الرازي إلى ما ذهب إليه ابن الراوندي في نكران النبوة فقال: (أننا به ـ يقصد العقل ـ وصلنا إلى معرفة الباري عز وجل، وهذا يقطع بأن النبوة أصبحت لا مبرر لها ما دمنا نعرف بالعقل كل شيء

(١) آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ص١٠٦ .
(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص١٦ .
(٣) النوبختي : فرق الشيعة ص٣٨ و ٣٩ طبعة النجف ١٩٣٦م .
(٤) بدوي : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص٢٠٧ (نقلًا عن كتاب الشهرستاني، الملل والنحل) .
(٥) المصدر السابق ص١٤١ «مقالة بقلم باول كروس» .

أخلاقي لأن النبوة لا تقوم بأكثر من هذا) [1] .

وبعد هذا الهجوم على مبدأ النبوة تهجم الشعوبيون على الأنبياء واعتبروهم (قومًا أحبوا الزعامة) [2] وقالوا أنهم (سحرة ومحرفون) [3] لا معجزة لهم وأن ما جاءوا به مخاريق وشعوذة لا يقبلها العقل [4] .

وقد وجه الشعوبيون هجومًا قويًا إلى الكتب السماوية وادعوا أن فيها تناقضا فقال محمد بن زكريا الرازي الملحد: (فزعم عيسى أنه ابن الله وزعم موسى أنه لا ابن له وزعم محمد أنه مخلوق كسائر المخلوقات .. ومحمد زعم أن المسيح لم يقتل واليهود والنصارى تزعم أنه قتل وصلب) [5] .

ولما كان القرآن الكريم معجزة الإسلام والإسلام معجزة العروبة فقد وجهت الشعوبية هجومًا عنيفًا إلى القرآن فقد فضل حماد عجرد شعره على القرآن وبلاغته فذكر السيد المرتضي: (أن رجلًا كان يقرأ القرآن وحماد ينشد الشعر ، فاجتمع الناس على القارئ ، فقال حماد : علام تجتمعون فو الله ما أقول أحسن مما يقول) [6] ، وهاجم ابن الراوندي إعجاز القرآن فادعى (أن فصاحة أكثم بن صيفي تفوق فصاحة القرآن) [7] ، ولم يقف ابن الراوندي عند هذا الحد، بل زاد على ذلك فقال: (إن القرآن كلام غير

---

(١) المصدر السابق ص٢٠٣ .

(٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص١٧٨ .

(٣) الفرق بين الفرق ص١٧٨.

(٤) بدوي : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص٢٠٧ .

(٥) أمالي المرتضى ج١ ص١٣٤ .

(٦) بدوي : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص١٢١ .

(٧) الخياط : الانتصار ص١٢ .

حكيم ، وأن فيه تناقضا وخطأ وكلامًا يستحيل) ، وأضاف متهجمًا على القرآن وتعاليمه فقال: (أتى بما كان منافرًا للعقول مثل الصلاة وغسل الجنابة ورمي الحجارة والطواف حول بيت لا يسمع ولا يبصر والعدو بين حجرين لا ينفعان ولا يضران)[1] .

ولم يقف أمر الشعوبيين عند هذا الحد بل أخذوا يكذبون على الرسول محمد ، ويضعون الأحاديث الملفقة على لسانه ، ويعلق ابن الأثير على عملهم هذا فيقول: (فلما يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة ، وتشكيك ضعفة العقول في دينهم .. وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه ، فكان أول من فعل ذلك أبو خطاب محمد ابن أبي زينب مولى بني أسد وأبو شاكر ميمون بن ديصان صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة)[2] ، ومن الذين وضعوا الأحاديث المكذوبة عبد الكريم بن أبي العوجاء الذي أعلن قبل قتله: (لئن قتلتموني لقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة)[3] .

وقد وجهت الشعوبية هجومًا قويًا إلى «مبدأ المعاد» الذي يقصد به أن لهذه الدنيا نهاية ، وأن الله يبعث الخلق ثانية للحساب فيثاب الإنسان على إحسانه ، ويعاقب على جرائمه ، فإما إلى الجنة وإما إلى النار[4] ، ويتصل مبدأ المعاد اتصالا مباشرًا بمبدأ الفرائض فعمدت الشعوبية إلى محاربة

---

(١) بدوي : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص٨٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج٨ ص٢١ «طبعة ليدن ١٨٦٢ م» .

(٣) المرتضي : أمالي المرتضي ج١ ص١٢٨ .

(٤) آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ص١١٥ ، ١١٦ .

الفرائض من خلال محاربتها مبدأ المعاد، وقد استغلت الشعوبية التناسخ لنفي فكرة المعاد فقالت: (أن الأرواح تتناسخ من شخص إلى شخص وأن الثواب والعقاب في هذه الأشخاص) [1] وقد ذهبت في فلسفة موضوع الثواب والعقاب من خلال قولها بالتناسخ فادعت «أن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت أبدان خيرة فاستراحت، وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل أبدانا سريرة فيتحمل عليها المشاق) [2] وقد ذهب بعض الفرق الغالية في تأكيد عاقبة الأرواح في هذه الحياة عن طريق تناسخ روح الإنسان في الحيوانات فقالوا ـ أن عقوبة الأرواح بقدر ما اقترفته من آثام فإذا كان الميت ظالما فإن روحه حين يموت تحل في جسد سائمة أو فأر أو وحش وإذا كان حميد السيرة فإن روحه في جسد رجل تقي أو ملك ـ [3].

وذهبت الشعوبية إلى توكيد فكرة العقاب في هذه الدنيا فوضعت الفرضيات الخيالية، واستعملت الأرقام الموهومة (وأما الكفار والمشركون والمنافقون والعصاة .. فيتنقلون في الأجساد والأبدان المشوهة الموحشة الممسوخة عشر آلاف سنة بين الفيل والجمل وما هو أكثر منهما وأقل إلى البقة الصغيرة) [4].

وقد استغل الغلاة التأويل لإلغاء فكرة الجنة والنار فقالوا ـ أن الدنيا لا تفنى وأن الجنة هي التي تصيب الناس من خير .. وأن النار هي التي تصيب الناس من شر ـ [5] وبذلك ألغوا فكرة المعاد ومن أجل تأكيد إلغاء

(١) الشهر ستاني: ج١ ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.
(٢) ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص٧٦ ـ ٧٧.
(٣) انظر بيان الأديان ص٢٩ والأشعري القمي: المقالات والفرق ص ٤٩.
(٤) الأشعري القمي: المقالات والفرق ص٤٩ «تحقيق محمد جواد مشكور طبعة طهران ١٩٦٣م»
(٥) الشهر ستاني: الملل والنحل ج٢ ص١٦.

فكرة المعاد ذهبت الشعوبية إلى القول بدوام الحياة وعدم فنائها فقالت: (أنه لا تناهي للعام وأن النفس تتردد في الأجساد أبدًا) [١] وأولت الموت مدعية أنه يحصل للأجساد فقط أما الأرواح (فتنتقل بالموت من جسم إلى جسم، وثمة بعث مستمر في المجري الطبيعي للحياة الدنيا) [٢]. واستعلمت الفرق الغالية التأويل لهدم مبدأ الفرائض فقالوا: (لكل ركن من أركان الشريعة تأويل .. فزعموا أن معنى الصلاة وموالاة إمامهم، والحج زيارته وإدمان خدمته، والمراد بالصوم: الإمساك عن إفشاء سر الإمام دون الإمساك عن الطعام، والزنا عندهم إفشاء سرهم بغير عهد وميثاق، وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا في ذلك قوله: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩] وحملوا اليقين على معرفة التأويل) [٣].

واستهدفت الشعوبية من هجومها على مبدأ الفرائض وهو المبدأ العلي للإسلام وإباحتها المحرمات المختلفة هدم المجتمع الإسلامي لأن هذا هدم يؤدي إلى فقدان الإسلام القوة الحامية له من محاولات التشويه والهدم وقد أدركت الشعوبية أهمية هذا المبدأ فعملت على هدمه في غير أداة فأنكرت المعاد فألغت بذلك فكرة الجنة والنار فأزالت فكرة الخوف وعقاب الآخرة وبذلك فتحت المجال للفسق والمجون . وإلى جانب التحلل من الفرائض وإباحة المحرمات ذهبت فرق غالية إلى القول بالجبرية وادعت أنه لا فعل ولا عمل لأحد غير الله ونسبة الأعمال إلى العباد على وجه المجاز كما يقال

(١) ابن حزم : الملل والأهواء والنحل ج١ ص٩١ .
(٢) فلهاوزن : الخوارج والشيعة الترجمة ص٢٤٨ .
(٣) البغدادي : الفرق بين الفرق ص١٧٨ .

زالت الشمس) [1] وفي هذا توكيد على عدم أهمية القيام الفرائض وعدم الاهتمام من اقتراف الموبقات حيث لا قدرة ولا إرادة للإنسان فيما يفعل .

وقد اهتمت الشعوبية اهتمامًا خاصًا بموضوع الإمامة بمفهومها الديني والسياسي فعمدت فرق غالية كثيرة إلى إخراج الأئمة من نطاق إنسيانيتهم بإضفاء صفة الربوبية عليهم فقالوا : (أن الأئمة أنوار من نور الله تعالى وأبعاض من أبعاضه) [2] .

واستغلت بعض الفرق الغالية الحلول لنقل الألوهية إلى الأئمة بدعوى الجزء الإلهي يحل فيهم [3] وعلى هذا الأساس خاطب عبد الله بن سبأ الإمام علي «عليه السلام» قائلًا: (أنت خالقنا ورازقنا وأنت محيينا وموتنا) [4] وقد عبثت الشعوبية بالإمامة وتلاعبت بها وفقًا لأغراضها تارة تجعل من الإمام إلها وتارة تجعل منه نبيا مرسلا ويعلق الخياط المعتزلي على غلوهم هذا قائلًا: (وغلت في إمامها وأفرطت في وصفه فبعضهم زعم أنه إله وبعضهم زعم أنه الواسطة بين الله وخلقه وبعضهم زعم أنه رسول وبعضهم أنه نبي) [5] .

واستغلت الفرق الغالية الالتفاف حول الإمامة للهجوم عليها فأظهر عبد الله بن سبأ (الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان وتبرأ منهم) [6] من خلال تظاهره بالتمسك بإمامة الإمام علي ادعى أن الإمام علي أمره

(١) الرسيعني : مختصر الفرق بين الفرق ص١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٢) المقدسي : البدء والتاريخ ج٥ ص١٢٩ «تحقيق كلمان هوار» .

(٣) الشهر ستاني : الملل والنحل ج٢ ص١١ .

(٤) المقدسي : البدء والتاريخ ج٥ ص١٢٥ .

(٥) الخياط : الانتصار ص١١٦ .

(٦) الأشعري القمي : المقالات والفرق ص٢٠ .

بذلك[١] من أجل تشويه موقف الإمام علي والتسلل من خلاله للهجوم على الخلفاء الراشدين .

واستغلت فرق غالية أخرى التأويل للطعن في إمامة الخلفاء الراشدين فزعموا (أن أبا بكر وعمر وعثمان .. لم يزالوا منافقين في حياة الرسول وأنه قد نزل في نفاقهم وعداوتهم لله ورسوله آي كثير منه: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان : ٢٧] ومنه ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك : ٢٢] فادعى الغلاة أنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان) [٢] وقد استغلت فرقة الحفصية التأويل للهجوم على الإمام على [٣] كما ذهبت فرقة الكاملية للطعن بالخلفاء الراشدين كافة من خلال تظاهرها بالولاء للإمام علي عليه السلام فقالت: (أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي وكفر علي بتركه قتالهم) [٤] ، وأنشد بشار بن برد الذي ذهب مذهب الكاملية في ذم الخلفاء الراشدين :

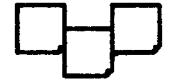
وما شر الثلاثة أم عمرو ... بصاحبك الذي لا تصحبينا [٥]

وقد شعرت الفرق الغالية أنها في حاجة إلى تفسير صحة إمامة العدد الكبير من الأئمة المفتعلين الذين ادعتهم فوجدت في القول بالتناسخ وسيلة ناجحة لتبرير ذلك فقالت: « أن الأئمة عندهم واحد وإنما هم متنقلون من بدن إلى بدن» ،وهكذا طعن الغلاة في مبدأ الإمامة الاثنى عشرية كما طعنوا

(١) المصدر السابق ص٢٠ .
(٢)الخياط : الانتصار ص١٠٢ .
(٣) انظر الصفحات السابقة المتعلقة بمبدأ التأويل ص٥٩ - ٦٦ .
(٤) البغدادي : الفرق بين الفرق ص٣٥ .
(٥) البغدادي : الفرق بين الفرق ص٣٥ .

في هذا المبدأ بمفهومه السياسي .

من هذا العرض يتبين لنا أن الشعوبية وبخاصة الشعوبية الدينية قد وجهت حملة مركزة إلى مبادئ الإسلام وعملت على تشويهها إلا أنها لم تستطع هدمها وإن استطاعت نشر آراء غريبة علقت بالإسلام وكادت أن تخنقه مرات ، إلا أن قوة الإسلام ومتانة مبادئه وانسجامها مع العقل واستنادها إلى القرآن الذي تعهد الله بحفظه فقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ مكنت الإسلام من مقاومة الآراء الغريبة وصد الهجمات العنيفة التي وجهت إليه فبقى الإسلام خالدًا .



٢ـ إزالة السلطان العربي وتشويه الحضارة العربية :

وجهت الشعوبية العنصرية هجومًا متصلًا من أجل إزالة السلطان العربي ، فكانت عمليات اغتيال الخلفاء الراشدين الثلاثة ، وحركات المختار وابن الأشعث التي اشترك فيها الموالي بأعداد كبيرة [١] ، وتمرد الراوندية والمقنع وسنباذ وبابك الخرمي والمازيار والافشين وغيرها من الحركات المعادية تمثل المحاولات العملية لإزالة السلطان العربي ، وكانت ترافق تلك المحاولات عمليات طعن وتشويه في الحضارة العربية وإشادة بحضارات الأمم الأخرى ولاسيما الحضارة الإيرانية .

إن الحضارة العربية هي ما أنتجه العقل العربي عبر حياته من شعر وخطابة ومعتقدات دينية وعمران ونظم سياسية ، وما اعتز به العرب من مثل كالكرم والشجاعة والوفاء وحفظ الأنساب واحترام المرأة والنجدة وحرمة الجار ، وأن روح هذه الحضارة الإسلام ومادة هذه الروح العرب ولذلك وجهت الشعوبية هجومها إلى الإسلام وإلى العرب وكانت عمليات الهجوم هذه تسير في خطين متوازيين حينًا ومتداخلين حينًا آخر وفي ذلك يقول الجاحظ: (فإن عامة من ارتاب بالإسلام إنما جاء ذلك من الشعوبية فإذا أبغض شيئا أبغض أهله وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام إذ كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف) [٢] .

(١) الدينوري : الأخبار الطوال ص٢٩٣.

(٢) الجاحظ : كتاب الحيوان ج٧ ص٦٨ . تحقيق محمد النعساني الحلبي القاهرة ١٩٠٧ م .

لقد تناولت الشعوبية العنصرية حضارة العرب بالتشويه والطعن فركزت هجومها على الشعر العربي الذي هو (ديوان العرب) [1] كما قال الرسول الأكرم ﷺ، وكانت عملية الهجوم على الشعر قد ذهبت إلى وضع الشروح الغريبة لأشعار العرب كما فعل أبو عبيدة في كتاب النقائض وكما فعل الهيثم ابن عدي في كتبه ، وذهب آخرون إلى فساد الشعر عن طريق الوضع فكان حماد الراوية (مشهورًا بالكذب في الرواية وعمل الشعر وإضافته إلى الشعراء المتقدمين ودسه في أشعارهم حتى أن كثيرًا من الرواة قالوا: قد أفسد حماد الشعر لأنه كان رجلًا يقدر على صنعته فيدس في شعر كل رجل ما يشاكل طريقته فاختلط الصحيح بالسقيم) [2] ويعلق الأصفهاني على خطورة ما فعله حماد الراوية قائلًا: (وقد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده ، فلا يصلح أبدًا ، فقيل له: وكيف ذلك أيخطئ في روايته أم يلحن؟ قال : ليته كان كذلك فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد وأين ذلك) [3] وكذلك عمل خلف الأحمر على إفساد الشعر عن طريق الوضع وفي ذلك يقول ابن النديم فيه: (كان شاعرًا يعمل الشعر على لسان العرب وينحله إياهم) [4] .

وقد تناولت الشعوبية العنصرية بالتشويه خطب العرب وفصاحتهم

(١) أبو زيد القرشي : جمهرة أشعار العرب ص١٢ . «طبعة بولاق القاهرة ١٣٠٨ هـ» .

(٢) المرتضي : أمالي المرتضي ج١ ص١٣٢ .

(٣) الأصفهاني : الأغاني ج٥ ص١٦٣ .

(٤) ابن النديم : الفهرست ص٨٠ .

وكلامهم الذي تعتز به العرب أيما اعتزاز فقالت أول الأمر أن (الخطابة شيء في جميع الأمم وبكل الأجيال) [1] وادعت الشعوبية بعد هذا قائلة (والخطابة في جميع الأمم .. حتى الزنج مع العثارة ومع فرط الغباوة تطيل الخطب) [2] وبعد هذا تهجمت الشعوبية على العرب فقالت: (ولطول اعتيادكم مخاطبة الأبل جفي كلامكم وغلظت مخارج أصواتكم حتى كأنكم تخاطبون الصمان إذا كلمتم الجلساء) [3] .

وكذلك وجهت الشعوبية هجوما إلى شجاعة العرب وكأنها أرادت أن تثأر لاندحارها في معارك القادسية ونهاوند وغيرها فراحت تنتقد خطط العرب العسكرية قائلة: (وكنتم تساندون في الحرب وقد علم أن الشركة ردية في ثلاثة أشياء في الملك والحرب والزوجة) [4] وادعت الشعوبية أن العرب لا تعرف (البيان ولا الكمين ولا الميمنة ولا الميسرة ولا القلب ولا الجناح ولا الساقة ولا الطليعة ولا النفيضة) [5] . كما انتقدت الشعوبية أسلحة العرب مدعية أنهم لا يعرفون (الرتيلة [6] ولا العرادة ولا المجانيق ولا الدباب ولا الخنادق) [7] وذهبت الشعوبية إلى فرض الأحكام البعيدة عن الواقع فادعت أن العرب لا تقاتل بالليل [8] .

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ج٣ ص١٠ .
(٢) المصدر السابق ج٣ ص١٠ .
(٣) الجاحظ : البيان والتبيين ج٣ ص١١ .
(٤) المصدر السابق ج٣ ص١١ .
(٥) المصدر السابق ج٣ ص١٢ ـ ١٤ .
(٦) الرتيلة : آلة تقذف الحصاة على العدو وتصيب الوجوه انظر البيان والتبيين حاشية ج٣ ص١٢ .
(٧) المصدر السابق ج٣ ص١٢ ـ ١٤ .
(٨) المصدر السابق ج٣ ص١٢ ـ ١٤ .

وأدركت الشعوبية اعتزاز العرب بالكرم وفخرها به فعملت على الطعن بهذه الصفة وتشويه أهميتها ، فألف سهل بن هارون الرسائل في ذم الكرم والإشادة بالبخل وكان أشهر تلك الرسائل الرسالة التي عملها للحسن بن سهل والتي مدح فيها البخل ورغبه فيه [(١)] .

وكذلك أدركت الشعوبية أن المرأة عند العرب محل اعتزاز وإكرام وموضع تفاخر وإكبار فعمدت إلى تشويه مكانتها والإساءة إلى سمعتها فوضعوا القصص البذيئة للطعن بالمرأة العربية ولفقوا الأخبار لتشويه مكانتها فادعوا أن العرب (يغير بعضها على بعض فرجالها موثوقون في حلق الأسر . ونساؤها سبايا مردفات على حقائب الإبل .. وقد وطئن كما توطأ الطريق [(٢)] المهيع [(٣)]) ولم تقف الشعوبية عند هذا التزوير والبهتان بل سلكت طريقا آخر لتشويه مكانة المرأة العربية والحط من منزلتها فدعت إلى إباحة المحرمات وإشاعة المجون في الغلمان ودعت إلى نكاح الأخوات والبنات [(٤)] كل ذلك من أجل انتقاص المرأة واحتقارها وإنزالها إلى حضيض الرذيلة وجعلها رخيصة مبتذلة .

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص١٨٠.

(٢) الطريق المهيع : الواسع الواضح انظر لسان العرب ج٨ ص٣٧٨ طبعة بيروت .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٣ ص٤٠٥ . «تحقيق أحمد أمين وجماعته» .

(٤) الطبري ج١٠ ص٤٢ . الطبعة الحسينية .

٣ـ إحياء الحضارة الإيرانية وإعادة السلطان الفارسي :

لقد أدركت الشعوبية أن أهدافها الثلاثة أهداف متكاملة متلازمة ، وأن تحقيق أي هدف منها يؤدي إلى تحقيق الهدفين الآخرين ، ولذلك كانت الشعوبية تعمل في أكثر من مجال وتتبع أكثر من أسلوب من أجل الوصول إلى أهدافها ، فإلى جانب هجومها على الإسلام والحضارة العربية وتآمرها على السلطان العربي كانت تعمل على إحياء معالم الحضارة الإيرانية فهي في الوقت الذي تطعن في العرب وحضارتهم وتقول أنه لم يكن للعرب ملك وليست لديهم فلسفة ولا علم تعمل على وضع الكتب والرسائل عن الحضارة الإيرانية وتدفع الهبات الكبيرة من أجل ترجمة الكتب من الإيرانية إلى العربية كما عمدت إلى إحياء المراسيم الإيرانية القديمة والاحتفال بأعياد إيران القومية [١] .

وعملت الشعوبية العنصرية على الإشادة بالحضارة الإيرانية القديمة وإحياء معالمها وإظهارها بصورة متقدمة ولم تقف الشعوبية عند هذا الحد بل ذهب عدد من الشعوبيين أمثال عبد الله بن المقفع وسهل بن هارون وعبد الحميد الكاتب وغيرهم إلى تأليف الكتب المختلفة ونسبتها إلى مؤلفين قدامى [٢] وبعد ذلك دعت الشعوبية إلى الرجوع إلى هذه الكتب بحجة أن فيها كمال البلاغة والأدب والعلم والألفاظ الكريمة والمعاني الشريفة [٣] .

---

(١) انظر الجهشياري : الوزراء والكتاب ص٣١٦ تحقيق مصطفى السقا وجماعته وتراث فارس الترجمة ص١٠١ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ج٣ ص٢١ .

(٣) انظر البيان والتبيين ج٣ ص١٠ .

وعملت الشعوبية على التمسك بالديانات الثنوية ـ الزرادشتية والمانوية والمزدكية ـ باعتبارها ديانات إيرانية [1] ، وفي ذلك يقول «دي لا فيدا»: (ومنهم من وجد في المانوية تراثا قوميًا خلفه الأدباء فيجب الحرص عليه وتعهدت .. لكي يقارنوا تراث العرب ودينهم بما خلفه لهم الآباء من تراث ودين) [2] .

وقد أولت الشعوبية اهتمامًا كبيرًا للمؤلفات والآثار الإيرانية القديمة وعملت على ترجمتها أكثر من مرة فنجد كتاب «الخداينامه» في صور ثمانية[3] مما يدل على اهتمام الشعوبية بهذا الكتاب لما ينطوي عليه من أساطير وتمجيد للحضارة الإيرانية وبخاصة سيرة الملوك الفرس ، كما ترجموا كتاب «اختيار نامه» الذي يتناول سيرة الفرس وأخبارهم وكتاب «أيين نامه» الذي يبحث في المراسيم والتقاليد الإيرانية وكذلك كتاب «مزدك» أكثر من مرة[4] .

كما افتخرت الشعوبية بآثار الفرس العمرانية فوضع الشعراء الشعوبيون القصائد في ذلك ومنها قول أبي نواس يفاخر بالفرس ويدعو إلى الإشادة بهم :

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا ... بها أثر منهم جديد ودارس
تدار علينا الراح في عسجدية ... حبتها بألوان التصاوير فارس

(١) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص٦٤ .
(٢)عبد الرحمن بدوي : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص٣٤ .
(٣) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص٦٦.
(٤) المصدر السابق (ص٦٦) .

قرارتهــا كــسرى وفي جنباتهــا مهاتدريها [1] بالقسي الفوارس

وقال أبو نواس مشيدًا بآثار الفرس :

ألم تــر مــا بنــي كــسرى وســابور لمــن غــبرا
منــازه بــين دجلــة والــ فــرات تفيــأت شــجرا [3]

وافتخرت الشعوبية بالشخصيات الإيرانية من أجل توجيه الأنظار إليها وحملها لتزعم حركة المقاومة ضد العروبة ، فنسبت فرقة الراوندية الألوهية إلى أبي مسلم الخراساني وادعت أنه لم يمت وأنه سيعود فيعيد الملك للفرس [4] ، وأنشد الشعراء الشعوبيون يشيدون بمواقف الفرس وادعوا أن الفرس هم الذين أسقطوا الدولة الأموية وأقاموا الدولة العباسية وفي ذلك يقول بشار بن برد :

إنــا ملــوك لم نــزل في ســالفات الحقــب
حتــى رددنــا الملــك في أصــل النبــي العــربي [5]

كما افتخر الشعراء بالبرامكة وقالوا في مدحهم الشيء الكثير ومما قاله الرقاشي في رثائهم :

إن يغــدر الــزمن الخــؤون بنــا فقد غدر الزمان بجعفر ومحمد
حتــى إذا وضــح النهــار تكــشفت عن قتل أكرم هالك لم يلحد

(١) تدريها : تختالها لتصطادها من غير أن تشعر ، انظر ديوان أبي نواس الحاشية ص (٣٧) تحقيق الغزالي .
(٢) ديوان أبي نواس (ص٣٧) .
(٣) المصدر السابق (ص١٢٦ ، ١٢٧).
(٤) انظر البغدادي : الفرق بين الفرق (ص١٥٥) .
(٥) ديوان بشار (١/ ٣٣٧) تحقيق طاهر بن عاشور .

يا آل برمك كم لكم من نائل وندى كعـد الرمـل غـير معـرد[1]

وبذلت الشعوبية جهودًا متصلة في سبيل إعادة السلطان الفارسي فقامت باغتيال الخلفاء الراشدين الثلاثة واشتركت في حركات المختار وابن الأشعث والخوارج التي استهدفت القضاء على سلطان الأمويين ، وساهمت في الدعوى العباسية واشتركت في قيامها وعملت بعد ذلك على محاربتها عن طريق إثارة الفتن بين العلويين والعباسيين وعن طريق الاشتراك مع الخوارج كما قامت في ثورات مباشرة ضد الدولة العباسية [2] . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل عمدت الشعوبية إلى استعمال التنجيم واستغلاله لإصدار الأحكام التي تؤكد زوال السلطان العربي وعودة الملك إلى الفرس فقالت: (.. إن القرن الثامن عشر من مولد محمد ﷺ يوافق الألف العاشر وهو المشتري .. وأنه سيخرج إنسان يعيد دولة المجوس ويستولي على الأرض كلها ويزيل ملك العرب) [3] ولكي تضفي الشعوبية على هذا النوع من التنجيم قوة دينية ادعت: (أن زرادشت قال لكشتاسف: أن الملك يزول عن الفرس إلى الروم واليونانية ثم يعود إلى الفرس ثم يزول عن الفرس إلى العرب ثم يعود إلى الفرس) [4] وذهبت الشعوبية لتأكيد تنجيمها وتصويره تصويرًا مقبولًا أن عينت زمنًا معينًا لزوال السلطان العربي - بزعمها - فقررت: (وزعم زرادشت أن الملك يعود إلى العجم تمام الألف وخمسمائة سنة من وقت ظهور زرادشت) [5] .

---

(١) الطبري (٣/ ٦٨٦) طبعة ليدن .

(٢) انظر الطبري الجزء العاشر (٨٠ - ١٣٠) والدينوري : الأخبار الطوال (٣٠٤ - ٣١٢) والجهشياري : الوزراء والكتاب (٣١٦) . وتاريخ اليعقوبي (٣/ ١٣٣) .

(٣) البيروني : الآثار الباقية (٢١٣) .

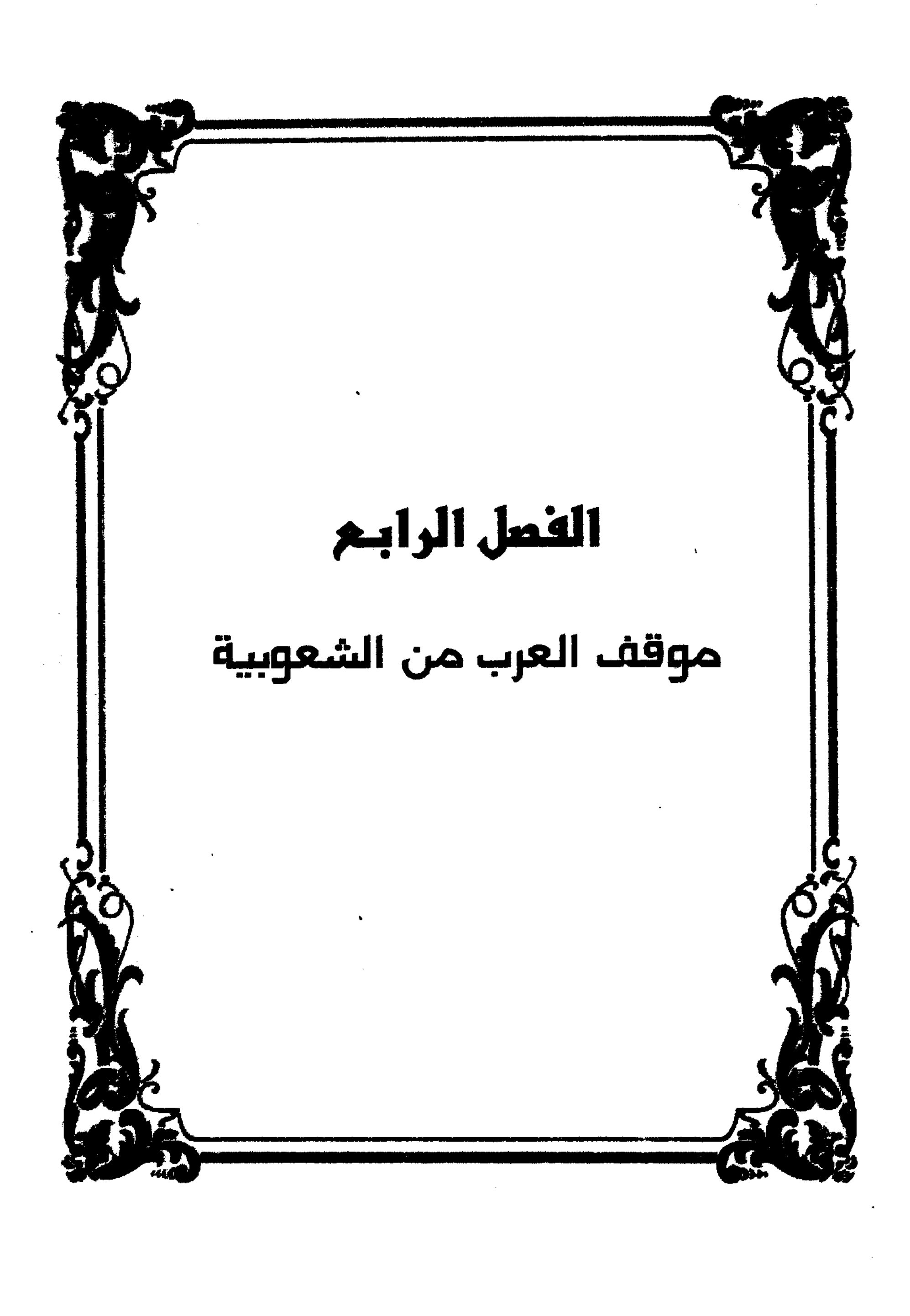
(٤) البغدادي : الفرق بين الفرق (١٧٢) .

(٥) المصدر السابق (١٧٢ ، ١٧٣) .

وقد أسفرت جهود الشعوبية هذه عن قيام نواة للسلطان الفارسي وذلك بقيام « الإمارة الطاهرية » التي كان قيامها بداية انهيار الدولة العربية وبداية اتساع النفوذ الفارسي وخطوة عملية في سبيل الوصول إلى هدف الشعوبية الكبير وهو إزالة السلطان العربي وعودة السلطان إلى الفرس .

كما حققت الشعوبية هدفها في تشويه الحضارة العربية والطعن فيها والإشادة بحضارة الفرس وإحياء معالمها لا سيما وأن عملية التدوين كانت في إبان نشاط الحركة الشعوبية وفي ذلك يقول الدوري: (فإن الشعوبية وجهوا جهودهم إلى تشويه آثار العرب وتاريخهم في عصر التدوين ، ونسبوا إلى دول فارس القديمة خاصة ما لا يقره التاريخ من مدنية وآثار ، ولم يقتصروا على التاريخ بل تناولوا الأدب .. ولقد كنا نظن أن الشعوبية قصروا الهجوم على العصر الجاهلي مستغلين الناحية الدينية ليظهروا عرب الجاهلية بمظهر البداوة الساذجة ... ولكن ظهر لنا أنهم لم يحفلوا بما للإسلام من حرمة ولم تسلم منهم فترة ولم ينج أحد) [1] .

(١) الدوري : مقدمة في تاريخ صدر الإسلام (١٢) الطبعة الأولى .



الفصل الرابع

موقف العرب من الشعوبية

الفصل الرابع

موقف العرب من الشعوبية

أولاً : موقف الدولة العربية من الشعوبية :

كانت مواقف الدولة العربية من الشعوبية تسير في خطين متوازيين ومتكاملين ، مواقف تعمل على تثبيت الكيان العربي وازدهار الحضارة العربية وتركيز مبادئ الإسلام ، وإجراءات لمقاومة الشعوبية ورد هجومها ، وكانت إجراءات الدولة هذه تتناسب وإدراك الخلفاء وتنسجم مع قوة الحركة الشعوبية وطبيعة مواقفها لذلك نجد تلك الإجراءات تشتد حينًا وتخف حينًا آخر وتتجه تارة إلى الزندقة بقوة وتارة إلى الشعوبية العنصرية ، فتحاربها بعنف وتتجه تارة إلى الزندقة والغلو والشعوبية العنصرية بقوة واحدة .

لقد عمل الخلفاء الراشدون على تثبيت المبادئ الإسلامية وتعبئة القوى لحمل الرسالة ونشرها وتحرير البلاد العربية من نير الاستعمار ، فحينما (ارتدت طوائف من العرب ومنعت الصدقة وقال قوم منهم نقيم الصلاة ولا نؤدي الزكاة أجابهم أبو بكر ـ لو منعوني عقالا لقاتلتهم)[1] وجهز أبو بكر الجيوش وقضى على المرتدين فوحد بذلك العرب وجعلهم قوة تمكنت من حمل الرسالة لهداية البشرية .

(١) البلاذري : فتوح البلدان (١٠٣) .

وقد أدرك عمر بن الخطاب ﷺ العلاقة بين العروبة والإسلام فقرر أن العرب مادة الإسلام ، وعمل على عزل العرب المسلمين عن الأقوام الأخرى خشية عليهم من تأثير الديانات والآراء المناهضة للإسلام فكان يوصي دوما (لا تجلبوا علينا من العلوج أحدًا) [1] وكان عمر ﷺ يوصي بالعرب خيرا فيقول: «ولا تجلدوا العرب فتذلوها ولا تحجروها فتفتنوها ولا تغفلوا عنها فتحرموها») [2].

واهتم عمر ﷺ باللغة العربية وكان يؤكد على ضرورة تعلمها ويردد قول الرسول ﷺ « رحم الله امرأة أصلح من لسانه » [3] وكان عمر يغضب على من يلحن في كلامه ، فقد مر على (قوم يسيئون الرمي فقرعهم فقالوا : أنا قوم متعلمين فاعرض مغضبًا ، وقال: والله لخطأكم في لسانكم أشد على من خطأكم في رميكم) [4].

ولما وقف الإمام علي ﷺ على غلو عبد الله بن سبأ وجماعته أحرق أصحابه بالنار ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن [5] ، وقد وقف الإمام علي كرم الله وجهه موقفًا صارمًا من أعداء الإسلام وفند أقوالهم وحججهم وقد خلف كتاب نهج البلاغة الذي ينسب إلى الإمام علي أقوالًا وحكمًا بليغة في تركيز مبادئ الإسلام والرد على أعدائه فكانت أقواله: (قبس من نور الكلام الإلهي وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبوي) [6].

---

(١) طبقات بن سعد (٣/ ٢٥٣) .
(٢) الطبري (١/ ٢٧٤١) « طبعة ليدن » .
(٣)ياقوت الحموي : معجم الأدباء (١/ ٦٧) « مطبوعات دار المأمون » .
(٤) المصدر السابق (١/ ٦٧) .
(٥) انظر النوبختي : فرق الشيعة (٢٢) « ط النجف » والبغدادي : الفرق بين الفرق (١٤٣) . والكشي معرفة أخبار الرجال (١/ ٧٠) « طبعة بمباي » .
(٦) الألوسي : بلوغ الأرب (٣/ ١٧٤) الطبعة الأولى .

ولما أعلن المختار حركته واشترك فيها الموالي في جموع كثيرة ، أدرك العرب خطر هذه الحركة فذهب عدد من رجالات الكوفة إلى مصعب بن الزبير يشكون إليه خطر هذه الحركة التي انضم إليها الموالي بدافع من الحقد والكراهية للعرب ، فقالوا: قتل خيارنا وهدم دورنا جماعتنا وحمل أبناء الأعاجم على رقابنا وأباحهم أموالنا) [(١)] ، فاستجاب مصعب إلى ندائهم وجهز جيشًا قاده بنفسه وتوجه إلى الكوفة وقاتل المختار حتى قتله وأخمد حركته وفوت على الموالي تحقيق آمالهم في الانتقام من العرب .

ولما ولي عبد الملك بن مروان واجهت الدولة العربية حركات عنيفة كادت أن تعصف بها كان أشدها بعد حركة المختار حركة عبد الرحمن بن الأشعث التي انضم إليها الموالي بأعداد ضخمة ، فقد أعلن تمرده على الخلافة في سجستان واتفق مع رتبيل - أحد المتمردين على الدولة - وتكاتب معه وسار إلى العراق واستخلف على سجستان رجلًا من قبله [(٢)] ، فجهز عبد الملك الجيوش وأمدها بالعدة الكافية حتى انتصرت على هذه الحركة وأخمدتها .

وكانت الدواوين حتى أيام عبد الملك تكتب في العراق وخراسان بالفارسية وفي الشام بالرومية وفي مصر باليونانية والقبطية ، فقرر عبد الملك نقل الدواوين إلى العربية وجعل العربية لغة الدولة الرسمية في جميع المعاملات ، فطلب من سليمان بن سعد الخشني نقل ديوان الشام إلى العربية وأراد سليمان مقابل ذلك (أن يعينه عبد الملك بخراج الأردن وكان خراجه مائة وثمانين ألف دينار) [(٣)] ، وتولى الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق أيام عبد الملك الإشراف على نقل الديوان من الفارسية إلى العربية (وقلد ذلك صالح بن عبد الرحمن مولى تميم) [(٤)] تم نقل ديوان مصر من اليونانية والقبطية في خلافة الوليد بن عبد الملك الذي عهد إلى ابن يربوع الفزاري الحمصي بذلك فقام بالنقل وأنجزه على

---

(١) الدينوري : الأخبار الطوال (٣٠٤) .

(٢) تاريخ اليعقوبي المجلد الثاني (٢٧٨) « طبعة بيروت » .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية (٢٢٣) . مطبعة مصطفى الحلبي القاهرة ١٣٥٧هـ .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان (٢٩٨) والماوردي الأحكام السلطانية (٢٢٣) .

الوجه الصحيح [1].

واشتد خطر الغلاة والزنادقة في خلافة هشام بن عبد الملك فبذل جهودًا كبيرة في مقاومتهم فحينما وقف هشام على مقالة الجعد بن درهم بالقدر وادعاء الربوبية ألقى القبض عليه وأطال حبسه ثم طلب من خالد بن عبد الله القسري أن يقتله فقتله في عيد الأضحى [2]، وأخذ هشام بن عبد الملك غيلان الدمشقي لقوله بالقدر وقتله شر قتلة قطع أربعته وصلبه بدمشق [3]، وقد أدرك هشام ما تنطوي عليه دعوة أبي منصور العجلي من خطر على الدين والدولة فطلب من يوسف بن عمر والي العراق أن يتولى القضاء على فتنة المنصورية، فجهز يوسف جيشًا وألقى القبض على أبي منصور فصلبه وأخمد فتنته [4]، وطلب هشام من خالد بن عبد الله القسري أن يقتفي أثر هؤلاء الغلاة ويقضي عليهم فلما علم خالد أن (المغيرة بن سعيد كان سبئيًا) [5] ولما وقف على غلوبيان بن سمعان ألقى القبض عليه وعلى رهط من أنصاره فأمر خالد (بأطنان قصب ونفط فأحضرا ثم أمر المغيرة ثم صب عليه نفط ثم ألهبت فيهما النار، ثم أمر الرهط ففعلوا ثم أمر بيانا) [6]، ولما وقف يزيد ابن عمر بن هبيرة - والي العراق أيام هشام - على آراء عمير بن بنان العجلي الغالية الذي نصب وجماعته (خيمة) بكناسة الكوفة على عبادة الصادق [7] عزم يزيد على ملاحقة عمير هذا وملاحقة أنصاره فألقى القبض عليه وأخذه وصلبه في كناسة الكوفة وقضى على أنصاره

(١) انظر الجهشياري (٤٠) تحقيق مصطفى السقا. والبلاذري: (٢٩٨).

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام (٣/ ٣٠٦) القاهرة ١٣٦٨هـ.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام (٤/ ٢٩٠).

(٤) الشهرستاني: المللل والنحل (٢/ ١٤، ١٥).

(٥) ابن قتيبة: المعارف (٢٦٧).

(٦) الطبري (٥/ ٤٥٦) «مطبعة الاستقامة».

(٧) الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ١٥، ١٦).

وأخمد نشاطهم [1].

وحينما أنشد إسماعيل بن يسار القصيدة التي افتخر بها بالفرس وتعرض بالعرب كما تقدم ، غضب هشام وقال لإسماعيل: (أعلى تفخر وإياي تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وعلاج قومك وألقاه في بركة ماء كاد أن يموت بها غرقا)[2].

وقد وقف الخلفاء العباسيون موقفًا حازمًا من الزنادقة والغلاة والمتآمرين على الدولة ، فلما علم السفاح ما دبره أبو سلمة الخلال من إجراءات لتحويل الخلافة إلى العلويين بغية إيقاع الفتنة بين الأحزاب العربية عمل على التخلص منه بقتله [3].

ولما عمد أبو مسلم الخراساني على مخالفة أوامر أبي جعفر المنصور وتوجه إلى خراسان دبر المنصور أمر القبض عليه وحاكمه وقتله [4]. وعلى أثر مقتل أبي مسلم قامت الراوندية تطالب بدمه ، وأعلن سنباذ مطالبته بدم أبي مسلم أيضًا واتسعت حركتهم فوجه المنصور قوة أخمد فيها حركة الراوندية كما أرسل جيشًا بقيادة جهور بن مرار العجلي في عشرة آلاف فهزم سنباذ وقتل أصحابه ثم قتله[5].

وقد تفرعت من الراوندية فرق غلت في أبي مسلم كالرزامية التي ضمت إلى صفوفها أعدادًا كبيرة وأرادت الانقضاض على الدولة فانتبه المنصور إلى خطرهم فجهز جيشًا بقيادة خازم بن خزيمة وطلب منه القضاء عليهم فتولى خازم أمر قتالهم ومتابعتهم حتى أخمد فتنتهم [6].

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١٥ ، ١٦) .
(٢) الأصفهاني : الأغاني (٤/ ١٢٤) .
(٣) المسعودي : مروج الذهب (٢/ ٢٢٢) « المطبعة البهية القاهرة ١٣٤٦هـ » .
(٤) الطبري (٩/ ١٦٦) « الطبعة الحسينية » .
(٥) المصدر السابق (٩/ ١٦٩) .
(٦) المصدر السابق (٩/ ١٧٥) .

وتحرك أستاذ سيس انتقاما لأبي مسلم الخراساني وسخطًا على السلطان العربي واستطاع أن يؤلف (أهل هراة وباذ عيس وسجستان وغيرها من كور خراسان)[1] حتى بلغ جيشه زهاء ثلثمائة ألف مقاتل فغلبوا على عامة خراسان[2] فأدرك المنصور خطر هذه الحركة وقرر القضاء عليها فوجه خازم بن خزيمة لمحاربة أستاذ سيس فبذل خازم جهودًا كبيرة حتى قضى على هذه الحركة[3] .

ونقض أصبهبذ طبرستان العهد مع المسلمين وقتل من كان ببلاده منهم فغضب المنصور وجهز جيشًا بقيادة خازم بن خزيمة وروح بن حاتم فحاصروا طبرستان ودخلوا المدينة فقتلوا من فيها من المقاتلة[4] .

وتابع المنصور الزنادقة والغلاة فلما وقف على مقالة البقلي الذي كان يقول: (الإنسان كالبقلة فإذا مات لم يرجع فقتله المنصور)[5] .

ولما وقف المنصور على آراء أبي الخطاب صاحب الخطابية (بعث إليه عيسى ابن موسى في جيش كثيف فقتل أبا الخطاب في كناسة الكوفة)[6] .

ولما وقف محمد بن سليمان والي المنصور على الكوفة على زندقة عبد الكريم ابن أبي العوجاء ألقى القبض عليه وقتله[7] .

وأدرك المنصور خطر عبد الله بن المقفع على الدين الإسلامي فأمر سفيان بن معاوية بن يزيد المهلب بقتله فقتله هذا شر قتلة[8] .

---

(١) المصدر السابق (٩/ ٢٧٦) .
(٢) المصدر السابق (٩/ ٢٧٦) .
(٣) الطبري (٩/ ٢٧٦) « الطبعة الحسينية » .
(٤) المصدر السابق (٩/ ١٧٨) .
(٥) الأغاني (١١/ ٧١) .
(٦) الرسيعني : مختصر الفرق (١٥٥) .
(٧) الطبري (٩/ ٢٨٦ ، ٢٨٧) .
(٨) المصدر السابق (٩/ ٢٨٧) .

ولما تولى المهدي الخلافة (ألح في طلب الزنادقة وقتلهم حتى قتل منهم خلقًا كثيرًا)[1]، ومن الذين قتلهم المهدي بسبب زندقتهم بشار بن برد وفي ذلك يقول ابن القارح: (وقتل المهدي بشارا على الزندقة، ولما شهر بها وخاف دافع عن نفسه بقوله:

يا ابن نهيا رأسي علي ثقيل ... واحتمال الرأسين عبء ثقيل
فادع غيري إلى عبادة ربين فإني بواحد مشغول[2]

وعلى الرغم من شدة المهدي مع الزنادقة فإنه كان يطلب منهم التوبة فمن تاب عفا عنه، حتى أن صالح بن عبد القدوس على ما عرف عن زندقته استتابه المهدي فتاب فعفا عنه ولما خرج صالح أنشد:

والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يواري في ثرى رمسه[3]

فلما علم المهدي بذلك أمر بقتله[4].

ولما وقف الخليفة المهدي على زندقة صالح بن أبي عبيد الله كاتبه أحضره (فلما صح عنده أمره استتابة فلم يتب وقال صالح: لا رغبة عما أنا عليه ولا حاجة في غيره)[5]، فأمر المهدي بقتله فضرب عنقه[6].

وأعلنت المحمرة بقيادة (رجل يقال له عبد القهار عصيانها وغلبت على جرجان وقتلت بشرًا كثيرًا)[7]، فجهز المهدي جيشًا بقيادة عمر بن العلاء فقتل

---

(١) تاريخ اليعقوبي (٣/ ١٣٣). «طبعة النجف».

(٢) رسالة ابن القارح (٣٠). تحقيق بنت الشاطئ مع رسالة الغفران الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦٣م.

(٣) تاريخ اليعقوبي (٣/ ١٣٣) طبعة النجف.

(٤) المصدر السابق (٣/ ١٣٣).

(٥) المصدر السابق (٣/ ١٣٣).

(٦) المصدر السابق (٣/ ١٣٣).

(٧) الطبري (٩/ ٣٤٢) الطبعة الحسينية.

عبد القاهر وأصحابه وقضى على حركتهم [(١)] .

ولما أعلن المقنع غلوه وتمرده واتسعت حركته أرسل إليه المهدي جيشًا بقيادة سعيد الحرشي فشدد سعيد الحصار على المقنع فلما أحس هذا بالهلكة شرب سمًا وسقى نساءه وأهله فمات وماتوا وبذلك انتهى خطر هذه الحركة [(٢)] .

ولقد أدرك المهدي أهمية الفكر والمناقشة في الرد على الزنادقة وإبطال حججهم فقرب العلماء وطلب منهم (تصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين) [(٣)] وطلب المهدي من الجدليين وأصحاب الرأي مناقشة الزنادقة وتفنيد أقوالهم (فأقاموا البراهين على المعاندين وأزالوا شبه الملحدين وأوضحوا الحق للشاكين [(٤)] .

ولما ولي الهادي الخلافة أخذ بوصية أبيه المهدي (فتجرد لهذه العصابة يعني أصحاب ماني) [(٥)] ، وتتبع نشاطهم واشتد في طلب الزنادقة فقتل منهم جماعة كان من بينهم يزدان بن باذان كاتب يقطين وعلي بن يقطين [(٦)] .

وعلى الرغم من انشغال الرشيد بالحروب مع العلويين والخوارج والروم تتبع البرامكة وقاوم حركات الشعوبيين المعادية للعروبة والإسلام ، فحينما خرجت المحمرة في عام ١٨٠هـ بتحريض من عمرو بن محمد العمركي [(٧)] ،

---

(١) المصدر السابق (٩/ ٣٤٢) .

(٢) انظر : فرق الشيعة (٦٨) والتبصير في الدين (١١٤) والفرق بين الفرق (١٥٥) .

(٣) المقريزي : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (١/ ١٥) تحقيق مصطفى زيادة القاهرة ١٩٣٤م .

(٤) انظر المصدر السابق (١/ ١٥) وتاريخ اليعقوبي (٣/ ١٣٣، ١٣٤) طبعة النجف .

(٥) الطبري (١٠/ ٤٢) الطبعة الحسينية .

(٦) المصدر السابق (١٠/ ٣٢) .

(٧) المصدر السابق (١٠/ ٦٨، ٦٩) .

طلب الرشيد من عيسى بن ماهان إخماد هذه الحركة فأعد عيسى القوة وتوجه للقضاء عليها وقتل عمرو العمركي وتخلص من مؤامراته [1].

ولما تمردت الخرمية بناحية أذربيجان سنة ١٩٣هـ وجه الرشيد « عبد الله بن مالك في عشرة آلاف فارس فأخمد هذه الفتنة » [2]، ويذهب الدينوري إلى أن الأمين هو الذي وجه عبد الله بن مالك إلى الخرمية فقتل منهم مقتلة عظيمة [3] وسواء أكان الرشيد هو الذي أمر بالقضاء على هذه الفتنة أو الأمين فإن موقف السلطة من هذه الحركة كان موقفًا عنيفًا يتناسب مع خطورتها.

ولما وقف الرشيد على غضب رافع بن نصر بن سيار على علي بن عيسى بن ماهان - والي الرشيد على خراسان الذي (أساء السيرة وتحامل على من كان بها من العرب) [4] التزم الرشيد جانب رافع وأيد موقفه وعزل علي بن عيسى بن ماهان وجعل على خراسان هرثمة بن أعين واليا [5].

ولما وقف الرشيد على تآمر البرامكة وسعيهم لضرب الدولة ولا سيما جعفر منهم أمر بقتله وحبس البرامكة وتخلص من مؤامرة خطرة كانوا يحيكونها [6].

وعلى الرغم من المشاكل التي واجهت الأمين وقوة الحزب الفارسي المناوئ له نرى هذا الخليفة يرسل جيشًا بقيادة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان لإخماد السفياني - علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية الذي وضع آراء غالية تناقض الإسلام وتهدد الدولة فقضى عليه [7].

---

(١) المصدر السابق (١٠/ ٦٨، ٦٩).
(٢) المصدر السابق (١٠/ ١١٩).
(٣) الدينوري: الأخبار الطوال (٣٩١، ٣٩٢).
(٤) المصدر السابق (٣٩١).
(٥) المصدر السابق (٣٩١).
(٦) انظر الطبري (٣/ ٦٧٧- ٦٨١) طبعة ليدن.
(٧) المصدر السابق (١٠/ ١٥٥) الطبعة الحسينية.

وقد عمل المأمون للخلاص من الفضل بن سهل بعد أن تأكد من تآمره على الدولة فأرسل إليه أربعة من حشمه فدخلوا على الفضل (وهو في الحمام فضربوه بالسيوف حتى مات)[1].

وحينما أعلن بابك الخرمي تمرده عام ٢٠١هـ وانضمت إليه الجاويذيانه[2] وأعلنت آراء غالية مناهضة للإسلام جهز المأمون جيشًا لمقاتلتهم فلم يظفر بهم واستمرت هذه الحركة حتى قضى عليها المعتصم.

وقد تجمعت المعلومات تؤكد للمأمون خطر طاهر بن الحسين على الدولة وتكشف له عن أطماعه فأرسل إليه أحمد بن أبي خالد فقتله سنة ٢٠٧هـ[3].

وكان المأمون شديدًا على الزنادقة تتبع نشاطهم وكان يحاكمهم بنفسه فقد بلغه (خبر عشرة من الزنادقة .. فأمر بحملهم إليه .. فلما وصلوا بغداد أدخلوا على المأمون وجعل يدعوهم بأسمائهم رجلًا رجلًا فيسأله عن مذهبه فيخبره بالإسلام فيمتحنه فيدعوه إلى البراءة من ماني .. فيأبون فيمرهم على السيف)[4]

ولقد أدرك المأمون أهمية الفكر في الرد على الزندقة فكان قد ألم بصنوف المعرفة ووقف على الفلسفة فكان عالمًا بالدين وصنوف المعرفة ولهذا كان يناقش الزنادقة بنفسه ومن مناقشاته التي تدل على قوة حجته وسعة معرفته قوله لزنديق (أسألك عن حرفين فقط ، خبرني هل ندم مسيء قط على إساءته أو نكون نحن لم نندم على شيء كان منا قط ، قال : بل ندم كثير من المسيئين على إساءتهم ، قال :

(١) المصدر السابق (١٠/ ٢٥٠) الطبعة الحسينية .

(٢) الجاوذيانه : أصحاب جاويذيان بن سهل وهو أحد الغلاة . انظر الطبري (١٠/ ٢٤٤) الطبعة الحسينية .

(٣) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٤٥٧) طبعة بيروت ١٩٦٠م .

(٤) المسعودي : مروج الذهب (٣/ ٣٣٣) تحقيق محيى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٣٨م .

فخبرني عن الندم على الإساءة إساءة أو إحسان ؟ قال : إحسان ، قال : فالذي ندم هو الذي أساء أو غيره ؟ قال : الذي ندم هو الذي أساء ، قال : فأرى صاحب الخير هو صاحب الشر وقد بطل قولكم) [١] .

وقد وجد المأمون في المعتزلة قوة للرد على الزندقة فقرب المبرزين منهم كأبي الهذيل العلاف وإبراهيم بن سيار النظام وبشير المريسي وغيرهم ، كما قرب الأدباء وأهل المعرفة وبعث بطلبهم من الأمصار [٢] ، وطلب منهم أن يضعوا الكتب دفاعًا عن الإسلام ودحضًا لافتراءات المبطلين [٣] .

ولما ولي المعتصم الخلافة عضد حركة الاعتزال إيمانًا منه بأن رجالها يستطيعون رد حجج الزنادقة . كما وجه اهتمامًا خاصة إلى حركة بابك الخرمي التي اشتد خطرها لما أثارته من فتن وسفك دماء وما انطوت عليه من آراء غالية أباحت فيها المحرمات كلها [٤] فعقد المعتصم العزم وشمر عن ساعد الجد للقضاء عليها فجهز جيشًا جرارًا بقيادة الأفشين وأمده بالقوة الكافية فاستطاع هذا الجيش الانتصار على حركة بابك وألقى القبض على بابك وسيق إلى سر من رأى حيث صلب فيها [٥] .

وقد تمردت المازيارية في أيام المعتصم - وهم من الخرمية التي ظهرت في دولة الإسلام - [٦] بقيادة المازيار فجهز المعتصم جيشًا ألقى القبض على المازيار وأخمد حركته وسيق المازيار إلى سر من رأى وصلب في المكان الذي صلب فيه بابك [٧]

(١) الجاحظ : كتاب الحيوان (٤/ ٤٤٢ - ٤٤٣) تحقيق عبد السلام هارون .
(٢) المسعودي : مروج الذهب (٣/ ٣٣١) تحقيق محيي الدين عبد الحميد .
(٣) المصدر السابق (٣/ ٣٣١ ، ٣٣٢) .
(٤) الإسفرايني : التبصير في الدين (١١٩) .
(٥) انظر المصدر السابق (١١٩) وجرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي (٢/ ١٤٦) .
(٦) التبصير في الدين (١١٩) .
(٧) المصدر السابق (١١٩) .

وتجمعت المعلومات التي تكشف عن تآمر الأفشين على الدولة العباسية، وأنه كان يجمع العتاد والأموال بغية القضاء على الدولة، كما كان الأفشين على اتصال بالمازيار عن طريق أخيه وكانت بينهما مراسلات تعبر عن آراء خطرة وخطط معادية للعرب والإسلام [1]، فجد المعتصم في طلب الأفشين وتمكن من إلقاء القبض عليه وجيء به إلى سر من رأى حيث حوكم وزج به في السجن فبقي فيه حتى مات [2].

كانت هذه مواقف الدولة من الشعوبية وهي مواقف تعبر عن حرص الخلفاء على الدين وإيمانهم بضرورة العمل من أجل حمايته كما تدل على إتمام الدولة العربية للحفاظ على الكيان العربي والعمل من أجل ازدهار الحضارة العربية والوقوف بوجه الحركات المعادية للأمة العربية.

(١) انظر رسالة أخي الأفشين إلى أخي المازيار في الطبري (١٠/ ٣٦٦، ٣٦٧) «الطبعة الحسينية».
(٢) الطبري (١٠/ ٣٦٧) «الطبعة الحسينية».

ثانيًا : موقف الشعب من الشعوبية :

١. موقف الكتاب من الشعوبية الدينية :

كانت المعركة بين العروبة والشعوبية واسعة اشترك فيها من الجانب العربي الخلفاء كما اشترك الكتاب والشعراء الذين عبروا عن رأي الشعب وموقفه من الشعوبية ، فوضع الكتاب المؤلفات ونظم الشعراء القصائد وخلد الشعب آثارهم ، ومزق وأحرق كتب الشعوبية حتى أنه لم يبق منها إلا النزر القليل [١] ، وعليه فإننا سنعرض مواقف الشعب العربي من الشعوبية من خلال إنتاج مثقفيه وآثارهم التي كانت ردًا مباشرًا وغير مباشر على الشعوبية .

- لقد وقف الكاتب العربي وقفة قوية في وجه الشعوبية الدينية وكان للفقهاء أثر بعيد في تثبيت مبادئ الإسلام والرد على خصومه من غلاة وزنادقة .

وكان للإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام مواقف جريئة في الرد على أعداء الإسلام ، فحينما وقف على غلو أبي الخطاب تبرأ منه [٢] ، وعندما أظهر المغيرة بن سعيد بدعته وجد نفسه في حاجة إلى شخصية من آل البيت يحمي بها نفسه فجاء إلى محمد الباقر رحمه الله فقال: (أقرر أنك تعلم الغيب أجبي لك العراق فنهره وطرده) [٣] ولم ييأس المغيرة فجاء إلى الإمام جعفر الصادق فقال له مثل ذلك فأجابه الصادق - أعوذ بالله وطرده - [٤] ، ولما انتشرت مقالة الغلاة في البداء رد عليهم الإمام الصادق ردًا قويًا فقال: (إن الله لم يبد له من جهل) [٥]

---

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام (١/ ٧٢) .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل (٢/ ١٥ ، ١٦) .

(٣) الكشي : معرفة أخبار الرجال (٣/ ١٤٦ ، ١٤٧) .

(٤) المصدر السابق (٣/ ١٤٦ ، ١٤٧) .

(٥) الكليني : أصول الكافي (٣/ ٢١١) .

وأضاف محذرًا من خطر هذه الفكرة فقال: (إن من زعم أن الله بدا في شيء لم يعلمه أمس فأبرأ منه) [1] وأضاف الصادق ﷺ مهددًا ومنذرًا القائلين بهذه الفكرة: (من زعم أن الله تعالى بدا له عن شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر) [2] . وقد أدرك الإمام الصادق أن الغلاة يعتمدون في القول بالبداء على تأويل الآية الكريمة ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(الرعد: ٣٩) فرد عليهم قائلًا (وهل يمحو إلا ما كان مثبتًا وهل يثبت إلا ما لم يكن) [3] ، ويتضح من تفسير الصادق لهذه الآية أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم مسبقًا ما يريد إثباته وما يريد محوه وأن هذا يكون على أساس النسخ الذي يقتضيه التدرج في التشريع لوضع الأحكام المناسبة وهناك فرق كبير بين النسخ على ما جاء في القرآن وبين البداء الذي قالت به الفرق الغالية (فليس القول بالنسخ في الأمر والنهي من القول بالبداء في الأخبار من شيء) [4] .

وكان الإمام الصادق ﷺ على جانب كبير من العلم والمعرفة وقوة الحجة فكان مشاهير الزنادقة يخشون اللقاء معه ، فقد حذر ابن المقفع عبد الكريم ابن أبي العوجاء من لقاء الصادق بقوله : (لا تفعل فإني أخاف أن يفسد عليك ما في يدك) [5] .

وعلى الرغم من مشاغل الصادق الكثيرة في التثقيف والمناقشة والرد على خصوم الإسلام فقد أملى كتابه « توحيد المفضل » الذي رد فيه على المانوية وناقش آراءها وفند حججها بأسلوب متين وحجة دامغة ، ومن حججه في هذا

(١) الكليني : أصول الكافي (٣/ ٢١١) .
(٢) المصدر السابق (٣/ ٢١١ ، ٢١٢) .
(٣) المصدر السابق (٣/ ٢١٤) .
(٤) الخياط : الانتصار (٩٣) .
(٥) الكليني : أصول الكافي (١/ ١٠-١٦) ق١ .

الصدد قوله في الرد على المانوية: (أفلا ترى كيف جعل في الإنسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان وجعل في كل منهما ضربًا من المصلحة ، فما عسى أن يقول الذين قسموا الأشياء بين خالقين متضادين في هذه الأشياء المتضادة المتباينة وقد تراها تجمع على ما فيه الصلاح والمنفعة) [1] .

وقد وقف الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت ﷺ موقفًا قويًا من خصوم الإسلام وألف رسائل عدة في الفقه وأملى كتابه الفقه الأكبر ورد من خلال ذلك على الجهمية والدهرية [2] .

وألف الإمام مالك بن أنس كتاب الموطأ الذي وطد في أحكام العبادات والمعاملات ، وتعرض للخلافات الخارجة عن ذلك ووضح من خلال بحوثه هذه مبادئ الإسلام وفند آراء معارضيه [3] .

وكذلك بذل الإمام الشافعي جهودًا كبيرة في توضيح مختلف القضايا المتعلقة بالعقيدة الإسلامية وألف في ذلك عدة كتب أشهرها « كتاب الأم » الذي بين فيه ما يتعلق بالإسلام ورد على مناقضيه ، وكان الشافعي بحق مؤسس علم أصول الفقه فهو الذي رسم المناهج والأسس لاستخراج الأحكام [4] .

وقد جمع الإمام أحمد بن حنبل في مسنده أحاديث كثيرة للرسول ﷺ وعالج من خلال دراسته للحديث مسائل إسلامية مهمة ورد على الغلاة والزنادقة ، كما ألف كتابه المشهور: « الرد على الزنادقة فيما شكت فيه من القرآن» الذي فند فيه أقوال الزنادقة والغلاة وثبت مبادئ الإسلام .

---

(١) الصادق : توحيد المفضل (٢٥) .
(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي الترجمة (٣/ ٢٧٣) .
(٣) المصدر السابق (٣/ ٢٧٥) فيه أسماء الفرق الغالية وذكر آراءها المناهضة للإسلام ونبه على خطورتها .
(٤) المصدر السابق (٣/ ٢٧٥) .

وإلى جانب هؤلاء الفقهاء هناك عدد كبير من الفقهاء عاشوا قبيل هؤلاء وفي زمانهم وبعدهم وكانت لهم جهود كبيرة في الرد على خصوم الإسلام وتوضيح أسس الشريعة الإسلامية [1].

وبذل أهل الحديث جهودًا كبيرة ومتصلة في سبيل جمع الأحاديث وإثبات صحتها ، ولا سيما تلك الأحاديث التي وضعت لمناهضة الإسلام بتحليل الحرام وتحريم الحلال والتي وضعها الغلاة والزنادقة في سبيل دعم آراءهم .

وعلى الرغم من أن الرسول ﷺ قد أوصى بعدم كتابة الحديث فقد أثر عنه أنه قال: « **لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه**» [2] فإن المصادر تشير إلى أن عمر قد كتب عددًا من أحاديث الرسول [3] ، كما جمعت عائشة زوجة الرسول جملة من أحاديثه ، وجمع عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وجابر وأنس بن مالك وأبو هريرة كثيرًا من أحاديث الرسول . وقد تلى هؤلاء عدد آخر من المحدثين جمعوا جملة كبيرة من الأحاديث فجمع الإمام مالك في الموطأ جانبًا منها وكذلك جمع عبد الملك بن جريج جانبًا آخر والأوزاعي وسفيان الثوري وحماد بن سلمة بن دينار جمعوا أحاديث أخرى [4] وتلاهم فريق من المحدثين أشهرهم أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي والدارقطني [5] الذين جمعوا الأحاديث بعد دراسة دقيقة لمتونها ورواتها حتى أصبحت هناك إمكانية لمعرفة الأحاديث الصحيحة من الأحاديث

---

(١) انظر أسماء الفقهاء في تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢٨٢) و (٣٠٨) و (٣٦٢) و (٣٩٠) و (٤٠٣) و(٤٣٢) و (٤٤٣) طبعة بيروت .

(٢) أحمد أمين : فجر الإسلام (٢٠٨ ، ٢٠٩) « الطبعة السابعة » .

(٣) ابن حزم : الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٣٨) .

(٤) فجر الإسلام (٢١٨ - ٢٢٠) .

(٥) جرجي زيدان : التمدن الإسلامي (٣/ ٥٧ - ٧٧) مراجعة حسين مؤنس .

الموضوعة ، فتمكن هؤلاء المحدثون من (تمييز الموضوع منها من الصحيح وصنفوا الأحاديث إلى صحيح وحسن ومقبول وضعيف وموضوع ، وصنفوها إلى درجات من حيث سلاسل الرواية) [1] وقد أدت هذه الدراسة المحكمة للحديث إلى (ظهور علم خاص في نقد الرواة وتمحيصهم يعتبر من أروع منتجات الفكر الإسلامي وقد أدى إلى تحديد عدد الأحاديث الموثوق بصحة نسبتها للرسول) [2] وقد أثمرت هذه الجهود فنجد الخليفة هارون الرشد يرد على أحد الزنادقة الذى ادعى (فأين أنت عن ألف حديث وضعتها عن رسول الله ﷺ ما فيها حرف نطق به رسول الله ﷺ ، فكان جواب الرشيد لهذا الزنديق: فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها نخلًا فيخرجانها حرفًا حرفًا) [3] .

وقد ألف كثير من الكتاب مؤلفات في الرد على الغلاة والزنادقة نخص منهم بالذكر في هذه الفترة جابر بن حيان المتوفى سنة ١٦١ الذي ألف كتاب « الخواص الكبير » رد فيه على المانوية وفند أقوالها في الكمون فقال: (فأما الذي يقول فيه أهل الإبداع منهم القائلون بالتوحيد والمبطلون قول المنانية وغيرهم ممن قال بقولهم في كمون بعض الأشياء في بعض) [4].

وألف الحسن النوبختي المتوفى سنة ٢٠٢هـ كتاب « فرق الشيعة » ثبت فيه أسماء الفرق الغالية وذكر آراءها المناهضة للإسلام ونبه على خطورتها .

---

(١) الدوري : مقدمة في تاريخ صدر الإسلام (١١) الطبعة الأولى .

(٢)صالح أحمد العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة (١٤) الطبعة الأولى .

(٣) ياقوت الحموي : معجم الأدباء (١/ ٢١٢ ، ٢١٣) « مطبوعات دار المأمون » .

(٤) جابر بن حيان : الخواص الكبير (٣٠٠ ، ٣٠١) ضمن مختار رسائل جابر بن حيان ـ تحقيق بول كراوس القاهرة ١٣٥٤هـ .

وكذلك ألف القاسم بن إبراهيم المتوفى سنة ٢٤٦هـ (كتاب الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع) رد فيه على المانوية وقولها في الاثنين وفند أقوال ابن المقفع الذي خلف ماني في دعوته ، ومما جاء في رده على المانوية (فزعم أن الأشياء كلها شيئان وقد يوجد خلاف زعمه بالعيان فلا توجد بين ما ذكر من النور والظلمة فرقة إلا وجدت الأشياء كلها بمثله لها مفارقة.إلا أن الفرقة بين الأشياء أوجد وفي الأشياء للنور والظلمة أوكد مكابرة لعقول أطفال الأنام) (١)

وقد ألف الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ كتبًا عدة رد فيها على الزندقة ومما جاء في كتاب الحيوان في الرد على كتاب الزنادقة قوله: (ليس في كتبهم مثل سائر ولا خبر طريف ولا صنعة أدب ولا كلمة غريبة ولا فلسفة ولا مسألة كلامية .. وجل ما فيها ذكر النور والظلمة وتناكح الشياطين) (٢) ، كما جاء في هذا الكتاب ردًا على المانوية (فيقال للمناني ما تقول في رجل قال لرجل يا فلان هل رأيت فلانًا؟ فقال المسؤول نعم قد رأيته ، أليس السامع قد أدى إلى الناظر والناظر قد أدى إلى الذائق وإلا فلم قال اللسان نعم وقد سمع الصوت صاحب اللسان)(٣) وقد رد الجاحظ في كتابه (حجج النبوة) على عدد من مشاهير الزنادقة من أمثال ابن أبي العوجاء وإسحاق بن طالوت والنعمان بن المنذر وأشباههم ذكرهم ليكشف خطرهم للناس فقال فيهم: (كانوا يصنعون الآثار ويولدون الأخبار ويبثونها في الأمصار ويطعنون في القرآن ويسألون عن متشابهه وعن خاصه وعامه ويضعون الكتب على أهله) (٤) . كما تناول الجاحظ الزنادقة في كتابه (التربيع والتدوير) فقال: (لم كان لجمع أهل الأديان مملكة وملوك إلا الزنادقة،

---

(١) القاسم بن إبراهيم : كتاب الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع (٤) .

(٢) الجاحظ : كتاب الحيوان (١/ ٥٧ ، ٥٨) تحقيق عبد السلام هارون .

(٣) المصدر السابق (٤/ ٤٤٢) . تحقيق عبد السلام هارون .

(٤) الجاحظ : حجج النبوة (١٤٥) ضمن « رسائل الجاحظ » جمع السندوبي القاهرة ١٩٣٣م .

ولم قتلهم جميع الأمم السالفة ولم قضيت بهذا)[1] والجاحظ بتساؤله هذا كفر الزنادقة واستثار أصحاب السلطان والشعب لمقاومتهم والقضاء عليهم. ورد الجاحظ في كتابه هذا على الدهرية فقال: (وكيف لم نر أمة قط دهرية، وقد علمنا أنه لا يجوز أن يتنبأ دهري، وكيف لم يتدهر ملك، وكيف لم نجد قول الدهرية إلا في الخاص والشاذ)[2] .

وقد ألف أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي المتوفى سنة ٢٨٠هـ كتابه (الرد على الجهمية) ثبت فيه مبادئ الإسلام وبخاصة مبدأ التوحيد ومبدأ المعاد، وكفر الجهمية وعلل تكفيرهم بقوله: (ونكفرهم أيضا بكفر مشهور وهو تكذيبهم لنص الكتاب، أخبر الله تبارك وتعالى أنه كلم موسى تكليمًا، وقال: هؤلاء لم يكلمه الله بنفسه، ولم يسمع موسى نفس كلام الله، إنما سمع كلامًا خرج إليه من مخلوق .. وقال الله تبارك وتعالى: إنما قولنا لشيء إذا أردنا أن نقول له كن فيكون، وقال هؤلاء: ما قال الله لشيء قولًا وكلامًا كن فكان ولا يقوله أبدًا، ولم يخرج منه كلام ولا هو يقدر على الكلام)[3] .

وقد ألف عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المتوفى بعد سنة ٣٠٠هـ كتابه - الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد - رد فيه على الغلو والزندقة فقال في الرد على المانوية: (وزعمت أن النور والظلمة مختلفان متضادان في أنفسهما وأعمالهما وأن جهات حركاتهما مختلفة .. فإذا كان على ما وصفتم فكيف امتزجا وتداخلا واجتمعا من تلقاء أنفسهما وليس فوقهما قاهر قهرهما)[4] ورد الخياط على الغلاة وقولهم بالبداء فقال: (أنه ليس في الآية - ويمحو الله ما يشاء ويثبت

(١) الجاحظ: التربيع والتدوير (٧٧) تحقيق شارل بلات دمشق ١٩٥٥م .

(٢) المصدر السابق (٧٦، ٧٧) .

(٣) الدارمي: كتاب الرد على الجهمية (٩٤، ٩٥) .

(٤) الخياط: الانتصار (٣١) .

وعنده أم الكتاب - ما يوجب البداء وقد تأولها أهل العلم من المسلمين على خلاف ما تأولتها الرافضة)[1] .

ومنذ منتصف القرن الثالث الهجري وطوال القرنين الرابع والخامس ألف عدد من الكتاب كتبًا عديدة ردوا فيها على الغلاة والزنادقة[2] .

(١) المصدر السابق (٩٣ ـ ٩٤) .

(٢) فقد ألف الأشعري القمي المتوفى سنة ٣٠١هـ كتابه « المقالات والفرق » . وألف أبو الحسن علي ابن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤هـ كتابه « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ووضع أبو الحسن محمد بن أحمد الملطي المتوفى سنة ٣٧٧هـ كتاب « التنبه والرد على أهل الأهواء والبدع » وألف أبو عبد الملك محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧هـ كتابه « مفاتيح العلوم » وألف أبو منصور عبد القهار بن محمد البغدادي المتوفي سنة ٤٢٩ هـ كتابه «الفرق بين الفرق» . وألف أبو القاسم على بن طاهر بن أحمد بن حسين بن موسى الحسين المعروف بالمرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ كتابه أمالي المرتضى . وألف أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ٣٨٤ هـ ـ ٤٥٦ هـ كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل وألف أبو المظفر الأسفراييني المتوفي سنة ٤١٧ هـ كتابه «التبصرة في الدين وتمييز الفرقة الناجية» . كما ألف أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ كتابه «فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة» وألف أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن بكر الشهر ستاني ٤٦٧ ـ ٥٤٨ هـ كتابه «الملل والنحل» . وكانت جميع هذه الكتب قد تناولت آراء الغلو والزندقة وردت عليها بحجة قوية ، وعرضت مبادئ الإسلام على حقيقتها بصورة جلية.

٢ـ موقف المعتزلة من الشعوبية الدينية :

ترتبط حركة الاعتزال تاريخيًا وفكريًا بموقف واصل بن عطاء من مرتكب الكبيرة واختلافه مع أستاذه الحسن البصري في القدر وفي المنزلة بين المنزلتين [١] وتقريره (أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر) [٢] ويذهب الأستاذ « براون » في تفسير نشأة المعتزلة وتسميتهم بهذا الاسم إلى ما ذهب إليه المسعودي والبغدادي [٣] فيقول: (أن واصل بن عطاء .. قد اختلف مع أستاذه ـ حسن البصري ـ في مسألة المؤمن العاصي الذي ارتكب ذنبا كبيرًا هل لا يزال مؤمنا أم لا ؟ ويقول واصل: أن مثل هذا الشخص لا يمكن أن يسمى مؤمنًا أو كافرًا بل يجب أن يوضع في منزلة وسط بين المنزلتين) [٤] .

وقد تطورت حركة الاعتزال وتركزت في مبادئ خمسة هي: (التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) [٥] ولا يستحق أحد الاعتزال حتى يجمع القول بهذه الأصول [٦] ، وهي تشابه مبادئ الإسلام وتؤلف جانبًا أساسيًا منها .

لقد وقفت المعتزلة على ما في الكتب الفلسفية الاغريقية والكتب المسيحية الهلينية فوجدت فيها المسائل الجدلية لمجابهة أبحاث الثنوية والتغلب عليها [٧] ،

---

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق (١٥) .

(٢) المصدر السابق (١٥) والمسعودي : مروج الذهب (٣/ ١٥٣ ، ١٥٤) تحقيق محيي الدين عبد الحميد .

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي (١/ ٥١١ ـ ٥١٣) الطبعة السابعة القاهرة ١٩٦٤م .

(4) Browne Literary History of Persia , vol i.P281.

(٥) الخياط : الانتصار (٩٣) .

(٦) المصدر السابق(١٢٦) وحسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام (١/ ٥١٣) .

(٧) جب : دراسات في حضارة الإسلام الترجمة (٩٣) .

واتخذت العقل أساسًا في مناقشاتها ولذلك سماهم الأستاذ نيكلسون « العقليين» واستطاعت المعتزلة أن تلائم بين الثقافة الإسلامية الواضحة والثقافة الهلينية المعقدة وترد على الغلاة والزنادقة حتى أمسى النضال ضد تأثير هذه الحركات وغيرها من الحركات المعادية للإسلام من هموم المعتزلة ومشاغلها الرئيسية [1] .

ولقد وجهت المعتزلة اهتمامًا خاصًا إلى « مبدأ التوحيد » فأكدت أهميته ووضحت مفهومه فقالت: (إن الله قديم والقديم أخص صفاته وهو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص وصف له لشاركته في الإلهية) [2] وقد ردت المعتزلة كل شيء يتعارض مع وحدانية الله وأزليته ، فأنكروا أن يكون لله تعالى صفات غير ذاته فإن وجود صفات قديمة خارجة عن الذات يؤدي إلى أن هناك شيئًا قديمًا أزليًا غير ذاته [3] ، وقد وضعت المعتزلة الأصل الأول من أصولها الخمسة وهو التوحيد للرد على الغلاة المشبهة الذين قالوا أن الله قد وصورة وأنه جسم ذو أعضاء [4] فقالت أن الله سبحانه وتعالى: (ليس بجسم ولا عرض ولا عنصر ولا جزء ولا جوهر بل الخالق للجسم والعرض والعنصر والجوهر وأنه الخالق للأشياء المبدع لها وأنه القديم وأن ما سواه محدث) [5] .

وحين أدركت المعتزلة أن فرقًا غالية استغلت آيات من القرآن للقول بالتشبيه والتجسيم ردت عليهم وأولت تلك الآيات تأويلًا يتناسب مع تأكيد مبدأ التوحيد فقالت المعتزلة: (والصفات مجرد اعتبارات ذهنية تلجأ إليها

(1) Nicholson Literary History odf Arabs, p.224.

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل (١/ ٥٠) .

(٣) المصدر السابق (١/ ٥٥) .

(٤)حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي (٢/ ١٤٢) .

(٥) المسعودي : مروج الذهب (٣/ ١٥٣) تحقيق محيي الدين عبد الحميد .

عقولنا الضعيفة العاجزة تمام العجز عن إدراك الكمال المطلق فنحن نعبر عن الذات بواسطة هذه الصفات بينما الذات الإلهية واحدة هي هي لا قسمة فيها)[1].

وقد فندت المعتزلة مقالة الغلاة في البداء مؤكدة قدرة الله وتنزيهه عن الخطأ والنقص فقالت: (فإذا فعل فعلًا وخبر بخبر ثم تبين له أنه ليس بصواب بدا له فيه وانتقل عنه إلى غيره ، والموصوف بهذا منقوص والنقص من أعلام الحدث ويتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا)[2] .

وقد ركزت المعتزلة دفاعها عن مبدأ التوحيد وأبطلت حجج الثنوية ولا سيما المانوية منهم التي انتشرت مقالتها في أيامهم ، فحين أعلنت المانوية (أن الصدق والكذب مختلفان متضادان وأن الصدق خير وهو من النور والكذب شر وهو من الظلمة سألهم إبراهيم النظام : أن الإنسان الواحد قد يكذب في حال ويصدق في حال أخرى ليلزمهم على قولهم أن الفاعل الواحد قد يكون منه شيئان مختلفان خير وشر وصدق وكذب وفي هذا هدم القوم بقدم الاثنين أحدهما خير والآخر شر)[3] ، وفند أبو الهذيل العلاف رأي الثنوية في الاثنين (وناظر صالح بن عبد القدوس لما قال في العالم أنه من أصلين قديمين نور وظلمة كانا متباينين فامتزجا ، فقال أبو الهذيل : فامتزاجهما هو هما أم غيرهما ؟ قال: بل أقول هو هما فألزمه أن يكونا ممتزجين متباينين إذا لم يكن هناك معنى غيرهما ولم يرجع ذلك إلا إليهما فانقطع)[4] . ورد إبراهيم النظام على الثنوية بحجة قوية فقال: (وجدت الحر مضادا للبرد ووجدت الضدين لا يجتمعان في موضع واحد في ذات أنفسهما فعلمت بوجود لهما مجتمعين وأن لهما جامعا جمعهما

(١) البير نادر : الفرق الإسلامية السياسية والكلامية (٥٣) .
(٢) الخياط : الانتصار (٩٥) .
(٣) المصدر السابق (٣٠) .
(٤) أحمد بن يحيى المرتضى : طبقات المعتزلة (٤٦) ، تحقيق سوسنة ديفلد فلزر ، بيروت ١٩٦١م .

وقاهرًا قهرهما على خلاف شأنهما وما جرى عليه القهر والمنع فضعيف وضعفه ونفوذ تدبير قاهره فيه دليل على حدثه وعلى أن محدثا ومخترعا اخترعه لا يشبهه وهو الله رب العالمين) [1] ، وقد رد النظام على المانوية بحجة أخرى قطعهم فيها فقال: (حدثونا عن إنسان قال قولا كذب فيه من الكاذب ؟ قالوا الظلمة ، قال: فإن ندم بعد ذلك على ما فعل من الكذب وقال قد كذبت وقد أسأت من القائل قد كذبت ؟ فاختلطوا عند ذلك ولم يدروا ما يقولون فقال لهم إبراهيم : إن زعمتم أن النور هو القائل قد كذبت وأسأت فقد كذب لأنه لم يكن الكذب منه ولا قاله والكذب شر فقد كان من النور شر وهذا هدم قولكم وإن قلتم أن الظلمة قالت كذبت وأسأت فقد صدق والصدق خير فقد كان من الظلمة صدق وكذب وهما عندكم مختلفان فقد كان من الشيء الواحد شيئان مختلفان خير وشر على حكمكم وهذا هدم قولكم بالاثنين) [2] .

وقد أرادت المعتزلة « بمبدأ العدل » : تنزيه الله عن الظلم وأن الله « لا يحب الفساد ولا يخلق أفعال العباد بل يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم وركبها فيهم » [3] وأنه سبحانه وتعالى: (لم يأمر إلا بما أراد ولم ينه إلا عما كره وأنه ولي كل حسنة أمر بها بريء من كل سيئة نهى عنها) [4] ، وردت المعتزلة من خلال مبدأ العدل على الجبرية فأكدت بذلك « مبدأ المعاد » وما يتصل به من بعث وحساب وجنة ونار .

ومبدأ العدل يرتبط بقضية « القضاء والقدر » وقد فسرت المعتزلة هذه القضية تفسيرًا يبقى على حرية الإنسان وقد وجدت المعتزلة في تفسير الإمام علي عليه السلام للقضاء والقدر أساسًا لتفسير هذه الفكرة وتأكيدًا لمبدأ العدل الذي ذهبت

---

(١) الخياط : الانتصار (٤٠) .

(٢) الخياط : الانتصار (٣٠) .

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي (١/ ٥١٣) الطبعة السابعة .

(٤) المسعودي : مروج الذهب (٣/ ١٥٣) تحقيق محيي الدين عبد الحميد .

إليه المعتزلة فقد أجاب الإمام علي مفسرًا معنى القضاء والقدر قائلًا: (إن الله أمر عباده تخييرًا ونهاهم تحذيرًا وكلف يسيرًا وأعطى على القليل كثيرًا ولم يضع مكرها)[1] ، وأجاب الإمام علي موكدًا حرية الإنسان في عمله فقال تفسيرًا لمعنى القضاء والقدر: (.. ولعلك تظن قضاء واجبًا وقدرًا حتمًا ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد ولما كانت تأتي من الله لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن .. إن الله تعالى أمر تخييرًا ونهى تحذيرًا ولم يكلف جبرًا)[2] .

وقد رد أبو الهذيل العلاف على الجبرية حين ادعت (أن الكافر قادر على الكفر الذي هو فيه غير قادر على الإيمان الذي تركه)[3] بقوله: (فإذا كان الكافر عندكم غير قادر على الخروج من الكفر الذي هو فيه فقد صح أنه ليس بمختار ولا فاعل له بل هو مضطر إليه مجبر عليه لأن القادر على الفعل هو القادر على تركه فإذا صحت القدرة على أمر من الأمور صحت على تركه وإذا انتفت عن تركه انتفت عنه)[4] .

وذهبت المعتزلة إلى تأكيد « مبدأ العدل » عن طريق توضيح حرية الإنسان وأنه هو الذي يخلق أفعاله باختياره وأن الحسن والقبح صفتان للأشياء والعقل قادر على التمييز بين حسن الأشياء وقبيحها حيث أن للشيء صفة فيه جعلته حسنًا أو قبيحًا[5] .

وركزت المعتزلة « مبدأ العمل » بقولها بمبدأ « الوعد والوعيد » فالعدل الإلهي يقتضي أن يجازي كل إنسان بعمله ، فأهل الخير يجازون خيرًا وأهل الشر

(١) المرتضى : أمالي المرتضى (١/ ١٥١) .
(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة (٢/ ١٢٨ ، ١٢٩) وأمالي المرتضى (١/ ١٥١) .
(٣) الخياط : الانتصار (١٧) .
(٤) المصدر السابق (١٧) .
(٥) انظر الشهرستاني : الملل والنحل (١/ ٥٦) وحسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام (١/ ٥١٤) .

يجازون شرًا وهذا هو مفهوم الوعد والوعيد [1] ، وتأكيدًا لمبدأ الوعد والوعيد قالت المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين ، فقسمت الكبائر إلى نوعين فهناك كبيرة الشرك وهي أكبر الكبائر وأن الله سبحانه وتعالى لا يغفر لمرتكبها تطبيقًا لقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾، والكبائر الأخرى دون الشرك فإن مرتكبها (ليس بمؤمن ولا كافر بل يسمى فاسقًا) [2] والفسق منزلة بين الإيمان والكفر ، ويبدو أن المعتزلة أرادت بهذا التقسيم للكبائر أن تركز مبدأ التوحيد وأن تخيف الملحدين والثنوية ، كما أنها لم تتساهل مع أصحاب الكبائر الأخرى فقررت (إن في فساق أهل القبلة من هم شر من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة) [3] .

كما أمرت المعتزلة بالمعروف ونهت عن المنكر وعملت من خلال هذا المبدأ على الدفاع عن مبادئ الإسلام والرد على خصومه وتفنيد أقوال المشبهة والمعطلة والثنوية ، وقد أدركت المعتزلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي إدراك آراء خصوم الإسلام والوقوف على حججهم وأساليب عملهم ، كما يتطلب المعرفة الواسعة بفنون النقاش فكانوا (أول من قرأ تراجم الطبيعيين من الإغريق وفلاسفتهم .. واقتبسوا منها جميع المعارف النافعة وأجهدوا أنفسهم أن يضيفوا إلى المعاني الإسلامية التي جاء بها القرآن) [4] ، كما وجهوا اهتمامًا خاصًا لإدراك الإسلام والوقوف على حقيقته ، فكان واصل بن عطاء (إذا جنه الليل صف قدميه وأمامه لوح ودواة فإذا مرت آية فيها حجة على مخالف جلس فكتبها) [5] ، وكان واصل واسع المعرفة لم يكن أحد أعلم منه بكلام الغالية

---

(١) عبد الحليم بلبع : أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري (١٤٧) .

(٢)المسعودي : مروج الذهب (٣/ ١٥٣) « تحقيق محي الدين عبد الحميد » .

(٣) الخياط : الانتصار (٦٣) .

(٤)Browne Literary History of Persia , Vol . I.P288.

(٥) أحمد بن يحيى المرتضى : طبقات المعتزلة (٣٢) .

وكلام الزنادقة وسائر المخالفين [١] فتمكن من التصدي لهم والرد عليهم [٢]، وألف واصل كتابه « الألف مسألة للرد على المانوية » [٣].

وكان واصل يعقد الجلسات للرد على الزنادقة وتفنيد حججهم، وكان يناقش مشاهيرهم أمثال صالح بن عبد القدوس وغيره فقطعهم بأقل كلال [٤].

وكان لواصل تلاميذ كثيرون أعدهم إعدادًا فكريًا عميقًا وكان يبعث بهم إلى الأقطار يدعون إلى مبادئ الاعتزال ويردون من خلال ذلك على خصوم الإسلام فبعث واصل منهم (عبد الله بن الحارث إلى المغرب فأجابه خلق كثير وبعث إلى خراسان حفص بن سالم فدخل ترمذ وناظر جهم بن صفوان حتى قطعه .. وبعث القاسم إلى اليمن وبعث أيوب إلى الجزيرة وبعث الحسن بن ذكوان إلى الكوفة وعثمان الطويل إلى أرمينية) [٥].

واشتهر عمرو بن عبيد بقوة الحجة وكان عالـمًا بالإسلام ومطلعًا على آراء الغلاة والزنادقة وقال فيه أحمد المرتضى: (وكان عمرو بن عبيد من أعلم الناس بأمر الدين والدنيا) [٦] وقد استعمل علمه في الرد على أعداء الإسلام وأبطل حججهم [٧].

وكان أبو الهذيل العلاف قوي الحجة كثير المناظرة لخصوم الإسلام من الثنوية وغيرهم فيلزمهم الحجة بأقل بيان ومن مناقشاته التي تدل على قوة حجته أنه ناظر يومًا صالح بن عبد القدوس إثر وفاة ابن صالح فذهب إليه أبو الهذيل (فرآه حزينا فقال : لا أعرف لجزعك وجهًا إلا إذا كان الإنسان عندك كالزرع

(١) المصدر السابق (٣٠).
(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي (٢/ ١٠٩).
(٣) أحمد بن يحيى المرتضى : طبقات المعتزلة (٣٥).
(٤) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي الترجمة (٢/ ٤٥).
(٥) أحمد المرتضى : طبقات المعتزلة (٣٢) وأحمد أمين : ضحى الإسلام (٣/ ٩٢).
(٦) أحمد المرتضى : طبقات المعتزلة (٣٦).
(٧) المصدر السابق (٣٦).

فقال : إنها أجزع لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك قال : وما كتاب الشكوك ؟ قال : كتاب وضعته من قرأ في شك فيه ما كان حتى يتوهم أنه لم يكن وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان قال أبو الهذيل : فشك أنت في موت ابنك وأعمل على أنه لم يمت وإن كان قد مات فشك أنه قد قرأ ذلك الكتاب وإن كان لم يقرأ) [1] .

ولم يقف أبو الهذيل عند مناقشة خصوم الإسلام بل ألف ستين كتابًا رد فيها على الزنادقة والمخالفين في دقيق الكلام وجليله [2] .

وقد فند النظام بحجج دامغة مقالة الثنوية في الاثنين [3] وقد ألف النظام كتبًا كثيرة منها : (كتاب الجزء ، كتاب في الرد على الثنوية ، كتاب العالم ، .. كتاب في التوحيد .. كتاب النكت) [4] .

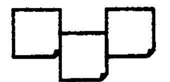
كما ألف الجاحظ أكثر من كتاب رد فيها على الشعوبية الدينية منها - كتاب فضيلة المعتزلة كتاب الأخطار وإثبات النبوة وكتاب نظم القرآن [5] ، كما ضمن معظم كتبه الأخرى ردودًا وتفنيدًا لآراء الغلاة والزنادقة .

وكان لعلي الأسواري والخياط المعتزلي وبشر بن المعتمر وأبي موسى المردار وجعفر بن مبشر وجعفر بن حرب وأحمد بن أبي داود وثمامة وغيرهم من المعتزلة جهود كبيرة في توضيح وتثبيت مبادئ الإسلام والرد على خصومه ودحض افتراءاتهم [6] ويعد هذه الجهود التي بذلها المعتزلة لنا أن نقول مع الأستاذ أحمد أمين: (ولا يدري إلا الله ماذا يكون على المسلمين لو لم يقف المعتزلة هذا الموقف

---

(١) المصدر السابق (٤٧) .
(٢) أحمد المرتضى : طبقات المعتزلة (٤٤) .
(٣) انظر كتاب الانتصار (٣٠ ، ٣٥، ٤٠) .
(٤) عبد الهادي أبو ريدة : إبراهيم بن سيار النظام (٧٥) .
(٥) أحمد أمين : ضحى الإسلام (٣/ ٢٠٦، ٢٠٧) .
(٦) انظر كتاب الانتصار (٣٠ ـ ١٢٦) وطبقات المعتزلة (٦٢ ـ ١١٦) ومروج الذهب (٣/ ١٥٣) الملل والنحل (١/ ٥٠ ـ ٥٥) وضحى الإسلام (٣/ ٩٧ ـ ٢٠٨) وتاريخ الإسلام السياسي (٣/ ٢٠٦ ، ٢٠٧) .

وقت هجوم خصوم الإسلام بهذه القوة ، إن الأسلحة التي تسلح بها المسلمون فيما بعد من علم الكلام على النمط الذي وضعه أبو الحسن الأشعري وخلفه هي من غير شك وليدة الاعتزال وترتيب لآراء المعتزلة)[1] .



٣. موقف الكتاب والشعراء من الشعوبية العنصرية :

لقد وقف الكتاب والشعراء العرب على أهداف الحركة الشعوبية . فعملوا على مقاومتهم فاظهروا الحضارة العربية وأشادوا بها وردوا على أعدائها وفندوا هجوم الشعوبية العنصرية وادعاءاتها .

ولقد أدرك المثقفون العرب أهمية اللغة العربية في فهم الإسلام وفي توحيد العرب وقيام دولتهم وازدهار حضارتهم ، فلما اختلط الأعاجم بالعرب وانتشر اللحن قامت حركة تدعو لتعلم العربية الفصحى ، فأعلن الزهري (ما أحدث الإنسان مروءة أحب إلي من تعلم النحو)[2] وقد وضح ابن خلدون ضرورة إتقان العربية وفهم القرآن والحديث من أجل حمل العرب على دراسة العربية والإلمام بها فقال: (فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز .. وخالطوا الأعاجم تغيرت تلك الملكة .. ففسدت بما ألقى إليها مما يغايرها .. وخشى أهل العلوم منهم أن تفسد الملكة رأسا ويطول العهد فينغلق القرآن والحديث عن المفهوم .. وأول من كتب أبو الأسود الدؤلي ويقال بإشارة علي ﷺ لأنه رأي تغيير الملكة فأشار عليه بحفظها)[3] .

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام (٢٠٦ ، ٢٠٧) .
(٢) ياقوت الحموي : معجم الأدباء (١ / ٧٨) « مطبوعات دار المأمون » .
(٣) ابن خلدون : المقدمة (٥٤٦) « مطبعة مصطفى محمد القاهرة بلا تاريخ » .

وقد ربط الكتاب العرب بين اللغة العربية والدين الإسلامي من أجل حماية العربية الفصحى فاعتبروا الخطأ في اللغة دنبا يستوجب الاستغفار (فكان الحسن بن أبي الحسن حين يعثر لسانه بشيء من اللحن يقول أستغفر الله ، وقد سئل عن سبب استغفاره فأجاب أن من أخطأ فيها فقد كذب على العرب ومن كذب فقد عمل سوءًا ، وقال الله تعالى ـ ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا)[1] .

وحين وجهت الشعوبية العنصرية هجومًا على خطب العرب واستعمالهم العصا عند الخطابة رد عليهم الجاحظ مفلسفًا أهمية العصا فقال: (والدليل على أن أخذ العصا مأخوذ من أصل كريم ومن معدن شريف .. اتخاذ سليمان بن داود عليه السلام العصا لخطبته وموعظته .. وقد جمع الله لموسى بن عمران في عصاه من البرهانات العظام والعلامات الجسام .. وذكر العصا يجري .. في معان كثيرة تقول العرب ، العصا من العصية والأفعى بنت حية ، تريد أن الأمر الكبير يحدث عن الأمر الصغير)[2] .

وعندما افتخرت الشعوبية ببلاغة الشعوب الأخرى ولا سيما بلاغة الفرس رد عليهم الجاحظ بقوله :(إن كل كلام للفرس وكل معنى للعجم فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد وخلوة)[3] وأشاد الجاحظ بكلام العرب فوصفه بأنه (بديهة وإلهام .. وكان الكلام الجيد عندهم ، وأكثرهم عليه أقدر ، وكل واحد في نفسه أنطق)[4] وأضاف الجاحظ مفتخرًا بفصاحة العرب فقال: (ونحن إذا

---

(١) ياقوت الحموي : معجم الأدباء (١/ ٦٨) « مطبوعات دار المأمون » .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين (٣/ ٢٢ ـ ٢٨) « انظر فصل العصا في البيان والتبيين للجاحظ (٣/ ٤ ـ ٨٤) ففيه رد على الشعوبية وتبرير استعمال العصا عند الخطابة » .

(٣) المصدر السابق (٣/ ٢٠، ٢١) .

(٤) المصدر السابق (٣/ ٢٠ ، ٢١) .

ادعينا للعرب أصناف البلاغة في القصيد والأرجاز والمنثور والإسجاع وفي المزدوج وما لا يزدوج فمعنا العلم على ذلك .. في الديباجة الكريمة والرونق العجيب والسبك والنحت)[١].

ولما افتخرت الشعوبية بكتب الفرس القديمة شكك الجاحظ بصحة نسبتها إليهم فقال: (ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التي في أيدي الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة وقديمة غير مولدة إذا كان مثل ابن المقفع وسهل بن هارون .. لا يستطيعون أن يولدوا مثل تلك الرسائل)[٢]، وألف الجاحظ كتابه البيان والتبيين ليبين غناء اللغة العربية وعلم علماء اللغة التقليديين أن دراستهم تخدم غرضًا يتجاوز محض تصنيف موادهم اللغوية[٣].

وقد أشاد أبو حيان التوحيدي باللغة العربية ومميزاتها بالقياس إلى اللغات الأخرى فقال: (وقد سمعنا لغات كثيرة .. فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوع العربية أعني الفرج التي في كلماتها والفضاء الذي نجده بين حروفها والمسافة التي بين مخارجها والمعادلة التي نذوقها في أمثلتها والمساواة التي تجمد في أبنيتها)[٤].

وقال ابن خلدون موضحًا بلاغة العرب وفصاحتهم قائلًا: (وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد ... لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني .. وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لابد له من ألفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم من مخاطباتهم أطول مما تقدره بكلام العرب

(١) المصدر السابق (٣/ ٢١ ، ٢٢) .

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢١ ، ٢٢) .

(٣) جب : دراسات في حضارة الإسلام (٩٣ ، ٩٤) .

(٤) التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة (١/ ٧٧) .

وهذا هو معنى قوله ﷺ : « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام» [1] .

وقد ربط الألوسي بين بلاغة العرب ومعجزة القرآن وإدراك العرب فقال: (ولما كانت العرب في قوة الفهم وحدة الذهن إلى غاية الغايات كان معجزهم القرآن فإن المعجز في كل قوم بحسب أفهامهم وعلى قدر عقولهم وأذهانهم) [2] كما تناول الألوسي كلام العرب قبل الإسلام وأشاد به ورد من خلال ذلك على دعوى الشعوبية فقال: (أن لسانهم أتم الألسنة بيانًا وتمييزًا للمعاني جمعًا وفرقًا ، يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل) [3] . وأضاف الألوسي فقال :(فلكل قبيلة خطيب كما كان لها شاعر وفي صدر الإسلام كانت خطب الرسول والخلفاء الراشدين والصحابة الآخرين وكذلك أهل القرن الثاني فليسوا بأقل فصاحة من العرب العرباء) [4] .

ولما وجهت الشعوبية هجومها على الكرم الذي اشتهر به العرب وأرادت النيل من مثل العرب العليا تناول الكتاب والشعراء العرب الكرم بالمدح واستطاعوا من خلال هذا المدح إظهار صفة الكرم بمظهر رائع فرددوا قول الرسول ﷺ : « السخي قريب من الله قريب من الناس بعيد عن النار ، والبخيل بعيد عن الله بعيد عن الجنة قريب من النار » [5] . وقد أسهم الجاحظ في هذا المجال فألف كتابه الشهير «البخلاء» أشار فيه إلى البخل عند الفرس فقال مصورًا بخلهم: (يقول المروزي للزائر إذا أتاه وللجليس إذا أطال جلوسه تغديت اليوم؟ فإن قال نعم قال لو أنك لم تكن تغديت لغديتك بغداء طيب وإن

(١) ابن خلدون : المقدمة (٥٤٦) « مطبعة مصطفى محمد » .

(٢) الألوسي : بلوغ الأرب (١/ ٤١) .

(٣) المصدر السابق (١/ ٤٤) .

(٤) الألوسي : بلوغ الأرب (٣/ ١٤٩) و (١٧٤) .

(٥) الجاحظ : المحاسن والأضداد (٥١) . الطبعة الأولى القاهرة ١٣٢٤هـ .

قال: لا ، قال: لو كنت تغديت لسقيتك خمسة أقداح فلا يصير في يده على الوجهين قليل أو كثير)[1] وذهب الجاحظ إلى اعتبار البخل طبعًا عند أهل خراسان فقال: (ولم أر الديك في بلدة قط إلا وهو لاقط يأخذ الحبة بمنقاره ثم يلفظها قدام الدجاجة إلا ديكة مرو فإني رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب .. فعلمت أن بخلهم شيء في طبع البلاد وفي جواهر الماء فمن ثم عم جميع حيوانهم)[2] .

وقد أشاد ابن قتيبة بالكرم واعتبره من أبرز صفات العرب وأنه طبع فيهم فقال: (وكذلك الأمم فيها أمة كرم بلبانها كالعرب فإنها لم تزل في الجاهلية تتواصى بالحلم والترحم وتتغاير بالبخل والغدر .. فربما بذل أحدهم نفسه دون جاره ووقى ماله بماله وقتل دون حميمه)[3] ، واعتبر التوحيدي الكرم من الفضائل الخاصة بالعرب فقال: (وللعرب القرى والجود)[4] .

ومما يدل على أهمية الكرم عند العرب أن الشعراء كانوا يفتخرون بهذه الصفة ويعتبرون البخل صفة غير حميدة وقد أنشد مرة بن محكان التميمي يشيد بالكرم :

يا ربة البيت قومي غير صاغرة ضمي إليك رحال القوم والقربا

وقال سالم بن قحطان العنبري :

لا تعذليني في العطاء ويسرى لكل بعير جاء طالبه جبلا

---

(١) الجاحظ : البخلاء (١٧) تحقيق طه الحاجري .
(٢) المصدر السابق (١٨) .
(٣) محمد كرد علي : رسائل البلغاء (٣٦١) .
(٤) التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة (١/ ٧٣) .
(٥) الألوسي : بلوغ الأرب (١/ ٥٣) .

فلــم أر مثــل الإبــل مــا لا لمفتــنن ولا مثل أيام الحقوق لها سبلا [1]

وأنشد عمرو بن الأطناب في الكرم العربي وحرمة الجار :

إني مــن القــوم الــذين إذا انتــدبوا بــدأوا بحــق الله ثــم النائــل

المــانعين مــن الخنــا جــاراتهم والحاشــدين عــلى طعــام النــازل

والخــالطين فقــيرهم بغنــيهم والبــاذلين عطــاءهم للســائل [2]

ورد التوحيدي على الشعوبية من خلال إشادته بالكرم العربي فقال: (والعرب قد قدسها الله عن هذا الباب بأسره وجبلها على أشرف الأخلاق بقدرته ، ولهذا تجد أحدهم وهو في بت [3] حافيا حاسرا يذكر الكرم ويفتخر بالمحمدة وينتحل النجدة) [4] .

ولما سخرت الشعوبية من شجاعة العرب وذهبت في الحط من شأنها كل مذهب رد عليهم الجاحظ مفندًا دعواهم فقال: (ليس لكم فيما ذكرتم .. دليل على أن العرب لا تقاتل بالليل ، وقد يقاتل بالليل والنهار من تحول دون حاله المدن وهول الليل .. والدليل على أنهم كانوا يقاتلون بالليل قول سعد بن مالك :

وليلــة تبــع وخمــيس ســعد أتونــا بعــدما نمنــا دبيبــا [5]

وقول عياض السدي :

ومنــا حمــاة الجــيش ليلــة أقبلــت إيــاد يزجيهــا الهــمام محــرق [6]

وحين ادعت الشعوبية أن العرب لا تعرف الكمين ولا استعمال ركب

---

(1) المصدر السابق (1/ 55) .

(2) المصدر السابق (1/ 61) .

(3) البت : كساء غليظ من صوف أو وبر انظر الإمتاع والمؤانسة (1/ 83) الحاشية .

(4) التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة (1/ 83) .

(5) الجاحظ : البيان والتبيين (3/ 15) .

(6) المصدر السابق (3/ 15) والمحرق هو عمرو بن الهند الملك .

الحديد وانتقدت أسلحة العرب رد عليهم الجاحظ قائلًا: (وأما قولهم لا يعرفون الكمين فقد قال أبو قيس بن الأسلد [1]:

واحرزنا المغانم واستبحنا   حمى الأعداء والله المعين
بغير خلابة وبغير نكر   مجاهرة ولم يخبأ كمين

وأما ذكرهم للركب فقد أجمعوا على أن الركب كانت قديمة إلا أن ركب الحديد لم تكن في العرب .. وكانت العرب لا تعود أنفسها إذا أرادت الركوب .. ولذلك قال عمر بن الخطاب: اخشوشنوا واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا ... وأما ما ذكروا في شأن رماح العرب فليس الأمر في ذلك على ما يتوهمون وللرماح طبقات فمنها « النيزك» ومنها « المربوع » ومنها « المخموس » ومنها «التام » ومنها « الخطل » وهو الذي يضطرب في يد صاحبه لإفراط طوله) [2].

ولما قللت الشعوبية من أهمية العرب في حمل الرسالة الإسلامية ، واستهدفت الطعن في شجاعة العرب رد عليهم البلاذري فألف كتابه « فتوح البلدان » من أجل (أن يظهر الدور الضخم الذي قام به العرب في نشر راية الإسلام وفي تكوين الدولة الإسلامية وأن لهم فضل المتقدم في حمل رسالة الإسلام إلى الشعوب الأخرى) [3].

وقد حفظ لنا المسعودي جواب بعض الخطباء العرب لكسرى حين عرض هذا بالعرب وانتقص من شأنهم فرد عليه قائلًا: (ملكوا الأرض ولم تملكهم وآمنوا عن التحصن بالأسوار واعتمدوا على المرهفات الباترة والرماح الشارعة جننا وحصونا) [4].

---

(١) هو صيفى بن عامر الوائلي الأوسي كان من شعراء الجاهلية وفرسانها انظر : البيان والتبيين (٣/ ١٦) الحاشية .

(٢) البيان والتبيين (٣/ ١٨) .

(٣) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية (٩٩) .

(٤) المسعودي : مروج الذهب (٢/ ٤٢) تحقيق محيى الدين عبد الحميد .

ولما افتخرت الشعوبية بسعة ملك الفرس رد عليهم ابن قتيبة بقوله: (وتفضلها العرب بأن ملكها نبوة وقواعد ملك الفرس استلاب ، وتفضلها العرب بأن ملكها وأغل في أقاصي البلاد داخل في آفاق الأرض وملك فارس شظية)[1] .

وحينما وجهت الشعوبية الطعن إلى المرأة العربية وذهبت في تصوير احتقار العرب لها تصوير بعيدًا عن الواقع واستغلت الوأد لتبرير هجومها رد العرب على ذلك ووضحوا أن الوأد لم يكن في كل العرب بل في فخذين من قبيلتي ربيعة وتميم وقد وقع عندهما لأسباب اضطرارية ولفترة محدود سبقت ظهور الإسلام، فقد وقع لجماعة من قبيلة ربيعة أن (غير عليهم فنبهت بنت الأمير فاستردها بعد الصلح فخيرت بين أبيها ومن هي عنده فاختارت من هي عنده وآثرته على أبيها فغضب وسن لقومه الوأد ففعلوه غيرة منهم)[2] ووقع لجماعة من قبيلة تميم حادث شبيه لما حدث لجماعة ربيعة فأخذ هذا الفخذ من تميم بالوأد غيرة وغضبا[3] ، أما مئات القبائل العربية الأخرى فلم يقع عندها الوأد وكانت المرأة عندهم موضع اعتزاز وافتخار ، ومما يؤكد احترام العربي للمرأة واعتزازه بها أنه كان يأنف من تزويجها من غير العرب حتى لو كان ملكًا أو أميرًا ، فحينما خطب كسرى أخت النعمان رفض النعمان تزويجها وقال لرسول كسرى بغضب: (أما لكسرى في مها السواد كفاية حتى يتخطى إلى العربيات .. وأنت تعرف ما على العرب من تزويج العجم من الغضاضة والشناعة)[4] ، وقد حاسب أبو جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني لأنه طلب الزواج من « آمنة بنت علي » واعتبر

(١) محمد كرد علي : رسائل البلغاء (٣٥٣) .
(٢)الألوسي : بلوغ الأرب (١/ ١٣٩) .
(٣) المصدر السابق (٣/ ٤٢ ، ٤٣) .
(٤) المسعودي : مروج الذهب (٢/ ٢٥) « تحقيق محيى الدين عبد الحميد» .

المنصور ذلك جريمة أضافها إلى جرائم أبي مسلم الخراساني [(١)].

وقد شوهت الشعوبية سمعة المرأة العربية وطعنت بها وادعت أن العرب (يتعاطون النساء في الغارات) [(٢)] من غير أن تقيم الدليل على صحة ادعائها، ويبدو أن الشعوبية قد نسيت أو تناست مجون المزدكية والخرمية ودعوتها لإشاعة النساء، وقد رد القاضي أبو حامد المروروذي على أباطيل الشعوبية وتعرض لتحللها واستهتارها فقال: (لو كانت الفضائل كلها بعقدها ونظمها ونثرها مجموعة للفرس ومصبوبة على رؤوسهم لكان لا ينبغي أن يذكروا شأنها وأن يخرسوا عن دقها وصلبها مع إباحتهم [(٣)] الأمهات والأخوات والبنات فهذا شيء كريه بالطباع ومردود عند كل ذي فطرة سليمة) [(٤)].

كذلك استغلت الشعوبية الطعن في المرأة العربية للهجوم على الأنساب فتنبه العرب إلى ذلك ووجهوا اهتمامًا خاصًا للأنساب ورددوا قول الرسول ﷺ: **«إن الرحم إذا تماست تعاطفت»** [(٥)].

وقد عمل عمر بن الخطاب ﵁ على ربط مقدار العطاء بالسابقة في الإسلام وبالقرابة من رسول الله مما حفز الكتاب إلى الاهتمام بالأنساب [(٦)].

وقد بذل عدد من الكتاب العرب جهودًا لحفظ الأنساب العربية فألف محمد ابن سائب الكلبي المتوفى سنة ١٤٦هـ وأبو يقظان سحيم بن حفص المتوفى سنة ١٩٠هـ وهشام بن محمد بن سائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٦هـ ومصعب الزبيري

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٢١٨).
(٢) الألوسي: بلوغ الأرب (١/ ١٧٧).
(٣) استعمل المروزذي لفظا استعضنا عنه بما يقابله في معناه.
(٤) التوحيد: الإمتاع والمؤانسة (١/ ٩٠).
(٥) الألوسي: بلوغ الأرب (٣/ ١٧٧).
(٦) انظر البلاذري: فتوح البلدان (٣٤٦، ٣٤٧).

المتوفى سنة ٢٣٣هـ وأبو حسان الحسن بن عثمان الزيادي المتوفى سنة ٢٤٣هـ والزبير بن البكار المتوفى سنة ٢٥٦هـ وعمر بن شبة المتوفى سنة ٢٦٢هـ وغيرهم كتبًا في أنساب العرب فحفظوا تلك الأنساب . وجعلوها في مأمن من محاولات الطعن والتشويه التي ذهبت إليها الشعوبية [١] ، وألف البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ كتابه الشهير « أنساب الأشراف » تناول فيه أنساب العرب وعرض دورهم التاريخي . وأكد أن العرب مركز الثقل والقوة في سير التاريخ الإسلامي [٢] ، ولنا بعد هذه الجهود التي قدمها النسابة العرب أن نقول مع الآلوسي: (أن جميع ما ذكره الشعوبية .. في باب الطعن على أنساب العرب لا أصل له وكتب التواريخ صادحة بتبرأتهم ، وقد نطق الشعر الجاهلي بما كانوا عليه من الحمية والغيرة ومزيد الاعتناء بأنسابهم وحفظ صريحهم) [٣] .

وحين ادعت الشعوبية أن الفرس أحرار والعرب عبيد ، وافتخرت بالشخصيات الإيرانية كأبي سلمة الخلال وأبي مسلم الخراساني والبرامكة . وبني سهل وآل طاهر بن الحسين وامتدحت أصولهم الإيرانية متعرضة بالعرب وأصولهم رد عليهم ابن خلدون أبلغ رد فقال: (أن البيت والشرف للموالي .. إنما هو بمواليهم لا بأنسابهم .. كما قال ﷺ : «مولى القوم منهم » ، فكان جعفر ابن يحيى بن خالد من أعظم الناس بيتًا وشرفًا بالانتساب إلى ولاء الرشيد وقومه لا بالانتساب في الفرس .. وهذا حال بني برمك إذ المنقول أنهم كانوا أهل بيت من الفرس في سدنة بيوت النار ولما صاروا إلى ولاء بني العباس لم يكن بالأول

---

(١) انظر ابن النديم : الفهرست (١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦) ، (١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩) والدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (٤٠ ، ٤١) وصالح أحمد العلي : المؤلفات العربية في المدينة والحجاز (١٦ ـ ٢١) .

(٢) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية (٩٩) .

(٣) الآلوسي : بلوغ الأرب (١/ ١٧٨) .

اعتبار وإنما كان شرفهم من حيث ولا يتهم في الدولة واصطناعهم)[1] .

ولما وجهت الشعوبية هجومها إلى الشعر العربي وعمدت إلى وضع الشروح الغريبة لتشويه معاني الأشعار وذهبت إلى إفساد الشعر عن طريق انتحاله ونسبته إلى شعراء قدامى من أجل اختلاط الأصيل بالمنحول ، أدرك العرب خطر هذه العملية فتقدم المفضل الضبي إلى الخليفة المهدي يشكو إليه جريمة حماد الراوية وغيره في إفساد الشعر عن طريق الوضع وأكد المفضل للمهدي قدرته على إثبات خطأ حماد الراوية فأحضر المهدي حمادًا وطلب من المفضل امتحانه ، فسأله المفضل وناقشه وأثبت كذب حماد وجهله في الرواية وتعمد وضع الشعر لإفساده فأبطل المهدي رواية حماد وحكم عليه بالتزوير والكذب[2] وطلب المهدي من المفضل أن يجمع ما اشتهر من قصائد العرب فجمع له (الأشعار المختارة المسماة المفضليات وهي مائة وثمانية وعشرون قصيدة)[3] ، وكانت القصائد التي جمعها المفضل لسبعة وستين شاعرًا سبعة وأربعون منهم من شعراء الجاهلية وأربعة عشر من المخضرمين وستة من الإسلاميين[4] .

ويذل عدد من الأدباء العرب جهودًا في حفظ أشعار العرب وجمعها في مؤلفات خاصة فجمع الأصمعي جملة من أشعار العرب عدد قصائدها اثنتان وسبعون قصيدة ومجموع أبياتها ألف ومائة وثلاثة وستون بيتًا وعدد شعرائها واحد وستون شاعرًا جاهليين ومخضرمين وإسلاميين[5] .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة (١٣٦) مطبعة مصطفى محمد .
(٢) انظر أمالي المرتضى (١/ ١٣٢) وبلوغ الأرب (١/ ١٧٨) .
(٣) ابن النديم : الفهرست (١٠٨) .
(٤) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي الترجمة (١/ ٧٣) .
(٥) انظر ابن النديم : الفهرست (٨٩) وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي (١/ ٧٤) .

وجمع أبو تمام نخبة من قصائد العرب اختارها من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام وأطلق عليها «الحماسة»[1].

وجمع البحتري مختارات من أشعار العرب أطلق عليها اسم «الحماسة» أيضًا[2].

وجمع أبو زيد القرشي طرفًا من أشعار العرب أطلق عليها «جمهرة أشعار العرب» وقد قسمها (إلى سبعة مجاميع المعلقات السبع والمجمهرات والمنتقيات والمذهبات والمراثي المشوبات والملحمات، وهي قصائد لشعراء جاهليين وشعراء أمويين)[3].

وإلى جانب هذه المجاميع الشعرية ألف محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣١هـ كتاب «طبقات الشعراء» وألف ابن قتيبة «الشعر والشعراء» وألف ابن المعتز كتاب «طبقات الشعراء»[4]، كما ألف عدد آخر من الأدباء العرب كتبًا في موضوع الشعر ومعانيه وفي الشعر الموضوع وغيره. من المواضيع المتعلقة في الشعر العربي[5]. وحفظ لنا الجاحظ في كتابه البيان والتبيين وأبو الفرج الأصفهاني في أغانيه مجموعة من أشعار العرب، فكان لهذه الجهود أثرها في حفظ الشعر العربي من الضياع ووضع الأسس لمعرفة الأشعار الأصيلة من الأشعار المنحولة فتمكن العرب من خلال هذه المجموعات الشعرية والدراسات الأدبية الوقوف على تاريخهم ولغتهم وأنسابهم وكانت خير رد على تخرصات الشعوبية مما يدل دلالة واضحة على مبلغ بلاغة العرب وفصاحتهم وعلو مكانتهم الأدبية والفكرية.

---

(١) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي (١/ ٧٧-٧٨).
(٢) المصدر السابق (١/ ٨١).
(٣) المصدر السابق (١/ ٧٥).
(٤) انظر ابن النديم: الفهرست (١٢١، ١٢٢).
(٥) المصدر السابق (١٠٤-١١٨).

وقد أسهم الشعراء العرب في المعركة ضد الشعوبية وكان لهم دور كبير في الرد عليها ، فإنه لما وقف الشاعر عبد الله بن الحر الجعفي على خطر حركة المختار أنشد في تصويرها قائلًا :

وما ترك الكذاب من جل مالنا	ولا المرء من همدان غير شريد
أفي الحق أن يحتاج مالي كله	وتأمن من عندي ضيعة ابن سعيد

وأنشد أعشى همدان في هجاء المختار :

فقتل من أشرافنا في محلهم	عصائب منهم أردفت بعصائب
فكم من كمين قد أبادت سيوفهم	إلى الله أشكو رزء تلك المصائب
يقتلنا المختار من كل غائط	فيالك دهر مرصد بالعجائب [٢]

ولما وقف نصر بن سيار على الخطر المحدق بالدولة العربية وأدرك ما يبيته الأعداء على الكيان العربي من شر كتب إلى مروان الثاني يحفزه ويستثيره لتلافي هذا الخطر فقال :

أرى بين الرماد وميض جمر	فأحج بأن يكون له ضرام
قلت من التعجب ليت شعري	أأيقاظ أمية أم نيام ؟
فإن يقظت فذاك بقاء ملك	وإن رقدت فإني لا ألام
فإن يك أصبحوا وثووا نياما	فقل قوموا فقد حان القيام [٣]

وأنشد نصر بن سيار مجسدًا الخطر الذي يحيط بالدولة العربية ومن أجل استثارة الهمم فقال :

أبلغ ربيعة في مرو وأخوتها	أن يغضبوا قبل أن لا ينفع

(١) الدينوري : الأخبار الطوال (٢٩٧) .

(٢) المصدر السابق (٣٠١) .

(٣) المصدر السابق (٣٥٧) .

مـا بـالكم تلقحـون الحـرب بينكم   كأن أهل الحجا عن فعلكم غيب
وتتركـون عـدوا قـد أظلكـم   ممـن تأشـب لا ديـن ولا حسب
قومـا يـدينون دينـا مـا سـمعت بـه   عن الرسول ولا جاءت به الكتب
فمـن يكـن سـائلي عـن أصـل دينهم   فـإن ديـنهم أن تقتـل العـرب [1]

ولما أنشد ابن ميادة [2] في ذم العرب وافتخر بقومه الفرس رد عليه الحكم الخضري [3] بقصيدة جاء فيها :

ومالـك فـيهم مـن أب ذي وسـيعة   ولا ولـدتك المحصنات الكـرائم

وأنشد الشعراء في ذم الهيثم بن عدي لما عرف عنه من ذم للعرب وتأليف في مثالبهم فقال أحد الشعراء العرب في هجائه :

يـا هيـثم بـن عـدي لـست للعـرب   ولست من طيء إلا على شغب
إذا نـسبت عـديا في بنـي ثعـل   فقدم الدال قبل العين في النسب

وقال شاعر عربي آخر في هجاء الهيثم بن عدي :

يـا ابـن الخبيثـة مـن أهجـو فأفـضحه   إذا هجوت وما تنعي إلى أحد [6]

وأنشد مروان بن أبي حفصة في مدح معن بن زائدة الشيباني الـذي أسـهم في القضاء على فتنة الراوندية والـذي كـان يثير حقـد الـشعوبية وبخاصـة البرامكـة منهم فقال فيه :

---

(١) الدينوري : الأخبار الطوال (٣٦١ ، ٣٦٢) .

(٢) هو شرحبيل بن أبرد المعروف بابن ميادة من مخضرمي الدولتين . الأموية والعباسية انظر الأغاني (٢/ ٨٥) .

(٣) هو الحكم بن معمر الخضري شاعر إسلامي كان له مع ابن ميـادة المهاجاة انظر معجم الأدباء (١٠/ ٢٤٠) مطبوعات دار المأمون .

(٤) الأغاني (٢/ ١٠٠) .

(٥) معجم الأدباء (٧/ ٢٦٢) . تحقيق مرجليوث .

(٦) المصدر السابق (٧/ ٢٦٤) تحقيق مرجليوث .

معن بن زائدة الذي زيدت به ... شرفًا على شرف بنو شيبان
ما زلت يوم الهاشمية معلنًا ... بالسيف دون خليفة الرحمان
فمنعت حوزته وكنت وقاءه ... من وقع كل مهند وسنان [(١)]

ولما شبه الزنديق يزدان بن باذان حجاج بيت الله عند مناسكهم بقوله: « ما أشبههم إلا ببقر تدوس البيدر » [(٢)] ، رد عليه الشاعر العلاء بن الحداد الأعمى مستثيرًا الخليفة موسى الهادي عليه فقال :

أيا أمين الله في خلقه ... ووارث الكعبة والمنبر
ماذا ترى في رجل كافر ... يشبه الكعبة بالبيدر
ويجعل الناس إذا ما سعوا ... حمرا تدوس البر والدوسر [(٣)]

وأنشد الأصمعي في زندقة البرامكة محرضًا الرشيد عليهم فقال :

إذا ذكر الشرك في مجلس ... أضاءت له وجوه بني برمك
ولو تليت بينهم آية ... أتو بالأحاديث عن مزدك [(٤)]

ولما ازداد نفوذ البرامكة أيام الرشيد أدرك الشعراء خطرهم ، فأخذوا ينظمون القصائد ويبعثون بها إلى الرشيد سرًا ، مستثيرين إياه للقضاء على البرامكة ومن تلك القصائد قصيدة جاء فيها :

ليت هندا أنجزتنا ما تعد ... وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة ... إنما العاجز من لا يستبد [(٥)]

---

(١) مروج الذهب (٢/ ٢٣١ ، ٢٣٢) .

(٢) أحمد أمين : ضحى الإسلام (١/ ٦٧) .

(٣) المصدر السابق (١/ ٦٧) .

(٤) الجهشياري : الوزراء والكتاب (٢٠٦) تحقيق مصطفى السقا وجماعته .

(٥) الطبري (٧/ ٣٢٠) طبعة الاستقامة .

ومن هذه القصائد :

قل لأمين الله في أرضه ... ومن إليه الحل والعقد
هذا ابن يحيى قد غدا مالكًا ... مثلك ما بينكما حد
أمرك مردود إلى أمره ... وأمره ليس له رد
ولقد بنى الدار التي ما بنى ... الفرس مثلها ولا الهند
الدر والياقوت حصباؤها ... وتربها العنبر والند [(1)]

وحين افتخر عبد الله بن طاهر بن الحسين بأبيه على قتل الأمين وتعرض للعرب وشجاعتهم رد عليه الشاعر العربي محمد بن يزيد الأموي فذم النار متعرضًا بزندقة آل طاهر وأشاد بشجاعة العرب وتوعد الفرس فقال :

لا يرعك القال والقيل ... كل ما بلغت تضليل
يا ابن بيت النار موقدها ... ما لحاذيه سراويل
من حسين من أبوك ومن ... مصعب غالتكم غول
نسب من الفخر مؤتشب ... وأبوات أراذيل
قاتل المخلوع مقتول ... ودم المقتول مطلول [(2)]

وأنشد أبو تمام مشيدًا بالمعتصم حين أعدم الأفشين فقال :

قد كان بواه الخليفة جانبا ... من قلبه حرما على الأقدار
فإذا ابن كافرة يسر بكفره ... وجدا كوجد فرزدق بنوار [(3)]

---

(1) ابن خلكان : وفيات الأعيان (١/ ١٠٨) طبعة بولاق القاهرة ١٣١ هـ .

(2) التنوخي : الفرج بعد الشدة (١/ ٦٦ ، ٦٧) .

(3) نوار زوجة الفرزدق وكان قد طلقها فندم على ذلك وقال :

ندمت ندامة الكسعي لما ... غدت مني مطلقة نوار
وعدت كفاقد عينيه عمدا ... فأصبح ما يضيء له نهار

انظر المسعودي : مروج الذهب (٤/ ١٦) وحسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام السياسي (٢/ ١١٣) الطبعة السابعة .

مــا زال سر الكفــر بــين ضــلوعه حتى اصطلى شر الزنـاد الـوار [1]

وهناك قصائد أخرى كثيرة وضعها الشعراء العرب في دحض آراء الشعوبية يمكن الرجوع إليها في كتب الأدب العربي وفي كتب التواريخ .

() المسعودي : مروج الذهب (٤/ ١٦) تحقيق محيى الدين عبد الحميد .

مصادر الرسالة

نورد في الثبت الآتي أهم مصادر الرسالة ، وقد رتبت أسماء المؤلفين حسب أحرف الهجاء مع بيان سنة وفاة بعض المؤلفين :

أولاً : المصادر الأصيلة :

ابن الأثير (٦٣٠/١٢٣٨) : عز الدين علي بن محمد .

١ ـ الكامل في التاريخ ١٣ جزءًا (ليدن ١٨٥١ ـ ١٨٧١م) ومطبعة التحرير (القاهرة ١٣٠٣هـ) .

٢ ـ اللباب في تهذيب الأنساب ، ٣ أجزاء ، القاهرة مكتبة القدسي ١٣٥٧هـ.

الاسفراييني (١٠٧٨/٤٧١) : أبو المظفر محمد بن طاهر .

٣ ـ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين ، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، القاهرة مكتبة الخانجي ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .

الأشعري (٩٣٦/٣٢٤) : أبو الحسن علي بن إسماعيل .

٤ ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، جزءان في مجلد واحد ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٤م .

الأصفهاني (٩٦٧/٣٥٦) : أبو الفرج علي بن الحسين .

٥ ـ الأغاني ، ٢١ جزءًا ، طبعة ساسي القاهرة ١٣٢٢هـ ، ومطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة .

٦ ـ مقاتل الطالبيين ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٥٣هـ .

الأصفهاني (٩٦١/٣٥٠) : حمزة بن الحسن .

٧ ـ تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، برلين ١٣٤٠هـ .

ابن بدرون (من أدباء القرن الخامس للهجرة) : أبو مروان عبد الملك بن عبد الله .

٨ ـ كمامة الزهر وفريدة الدهر ، القاهرة ١٣٤٠هـ .

ابن البطريق (٣٢٨/٩٣٩) : سعيد .
٩ ـ كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ويعرف بـ (نظم الجوهر) جزءان ، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٩م .

البغدادي (٤٢٩/١٠٣٧) : أبو منصور عبد القاهر بن طاهر .
١٠ ـ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، نشر عزت العطار ، القاهرة ١٣١٧هـ/ ١٩٤٨م .

البغدادي (١٠٩٣هـ) : عبد القادر بن عمر .
١١ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، المطبعة الأميرية ـ بولاق ١٢٩٩هـ .

البلاذري (٢٧٩/٨٩٢) : أحمد بن يحيى بن جابر .
١٢ ـ فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، المطبعة المصرية القاهرة ١٩٣٢م .

البلخي (٣٢٢/ ٩٣٣) : أبو زيد أحمد بن سهل .
١٣ ـ البدء والتاريخ ، ٦ أجزاء ، باعتناء كليمان هوار ، باريس ١٨٩٩ . وينسب إلى المطهر بن طاهر المقدسي (٣٨٧/ ٩٩٧) .

البيروني (٤٤٠/١٠٤٨) : أبو الريحان محمد بن أحمد .
١٤ ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق إدوارد ساشا ، مطبعة ليبزيك ١٩٠٣ .
١٥ ـ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، ليبزيك ١٩٢٥م .
١٦ ـ الفلسفة الهندية ، تحقيق عبد الحليم محمود وعثمان عبد المنعم يوسف ، مطبعة أحمد علي مخيمر القاهرة ، بلا تاريخ .

التفتازاني (٧٩٣/١٣٩٠) : سعد الدين مسعود بن عمر .
١٧ ـ شرح مقاصد الطالبين في حكم أصول الدين ، جزءان ، استانبول ١٣٠٥هـ .

التوحيدي (٣٨٧/٩٩٧) : أبو حيان .
١٨ ـ الإمتاع والمؤانسة ، ٣ أجزاء ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٣م .

ابن تيمية (١٣٢٧/٧٢٨) : شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين .
١٩ ـ بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (مطبوع ضمن مجموعة فتاوي ابن تيمية) مطبعة كردستان القاهرة ١٣٢٩هـ / ١٨٩١ .

الثعالبي (١٠٣٧/٤٢٩) : أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل .
٢٠ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، مطبعة القاهرة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م .

الجاحظ (٢٥٥ / ٨٦٨) : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني .
٢١ ـ البخلاء ، تحقيق طه الحاجري ، مطبعة دار المعارف القاهرة ١٩٥٨ .
٢٢ ـ البيان والتبيين ، ٣ أجزاء ، تحقيق حسن السندوبي ، المطبعة الرحمانية القاهرة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢ .
٢٣ ـ التاج في أخلاق الملوك ، المطبعة الأميرية القاهرة ١٣٢٢هـ / ١٩١٤م .
٢٤ ـ التربيع والتدوير تحقيق شارل بلات ، دمشق ١٩٥٥م .
٢٥ ـ ثلاث رسائل للجاحظ باعتناء يوشع فنكل ، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٤هـ .
٢٦ ـ حجج النبوة (مطبوع ضمن رسائل الجاحظ جمع حسن السندوبي) القاهرة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م .
٢٧ ـ كتاب الحيوان ، ٧ أجزاء ، طبعة ساسي ، القاهرة ١٣٢٣ـ ١٣٢٥هـ ، وتحقيق عبد السلام هارون ٧ أجزاء ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٩٤٧/١٣٦٦ .
٢٨ ـ المحاسن والأضداد ، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٤هـ .

جابر بن حيان (٧٧٨/١٦١) .
٢٩ ـ الخواص الكبير (مطبوع ضمن رسائل جابر بن حيان تحقيق بول كراوس) القاهرة ١٣٥٤هـ .

ابن الجوزي (١٢٠٠/٥٩٧) : الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي .
٣٠ ـ نقد العلم والعلماء أو تلبيس إبليس ، الطبعة المنيرية القاهرة ١٣٤٧هـ .

٣١ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (جـ ٥ ـ ١٠) ، مطبعة دائرة المعارف الثمانية حيدر آباد الدكن ١٣٥٧ـ ١٣٥٩هـ .

الجهشياري (٩٤٢/٣٣١) : أبو عبد الله محمد بن عبدوس .

٣٢ ـ الوزراء والكتاب تحقيق مصطفى السقا وجماعته (مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده القاهرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨ .

ابن حجر (١٤٤٨/٨٥٢) : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني .

٣٣ ـ فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري ، الجزء الثاني عشر القاهرة ١٣٢٩هـ .

ابن أبي الحديد (٦٥٥/ ١٢٥٧) : عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد .

٣٤ ـ شرح نهج البلاغة ، ١٨ جزءا ، تحقيق محمد أبو الفضل ، مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٩٥٩ ـ ١٩٦٣م . وطبعة دار الفكر بيروت (بلا تاريخ) .

ابن حزم (١٠٦٣/٤٥٦) : علي بن محمد بن سعيد .

٣٥ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ٥ أجزاء ، المطبعة الأدبية القاهرة ١٣١٧ ـ ١٣٢٠هـ ، وبهامشه كتاب الملل والنحل للشهرستاني الحميري (٥٧٣/ ١١٧٧) : أبو سعيد نشوان بن سعيد بن نشوان .

٣٦ ـ الحور العين ، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٤٨م .

ابن حنبل (٨٥٥/٢٤١) : أحمد بن محمد .

٣٧ ـ الرد على الجهمية والزنادقة (مطبوع ضمن كتاب شذرات البلاتين) القاهرة ١٩٥٦م .

٣٨ ـ المسند ، ٦ أجزاء ، القاهرة ١٣١٣هـ .

ابن حيون (٩٧٣/٣٦٣) : النعمان بن حيون التميمي .

٣٩ ـ أساس التأويل ، تحقيق عارف تامر ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٠م .

الخطيب البغدادي (٤٦٣/١٠٧٠) : أبو بكر أحمد بن علي .

٤٠ ـ تاريخ بغداد ، ١٤ جزءًا ، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٣٦م .

ابن خلدون (٨٠٨/١٤٠٥) : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي .

٤١ ـ المقدمة ، الطبعة الأدبية بيروت ١٩٠٠م . وطبعة مطابع دار الطباعة العربية بيروت ١٩٥٦م . وطبعة مطبعة مصطفى محمد القاهرة بدون تاريخ .

ابن خلكان (٦٨١/٩٩٧) : أبو عبد الملك محمد بن أحمد بن يوسف .

٤٣ ـ مفاتيح العلوم ، مطبعة الشرق القاهرة بلا تاريخ .

الخياط (عاش في القرن الرابع الهجري) : عبد الرحيم بن محمد بن عثمان .

٤٤ ـ الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ، تحقيق ألبير نادر ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٧م .

الدارمي (٢٨٠/٨٩٣) : عثمان بن سعيد بن خالد .

٤٥ ـ الرد على الجهمية ، تحقيق بروكلمان ، ليدن ١٩٦٠م .

ابن دريد (٣٢١/ ٩٣٣) : أبو بكر محمد بن الحسن .

٤٦ ـ جمهرة اللغة ، حيدر آباد ١٣٤٥هـ .

الدهلوي (١٢٣٩هـ) : شاه عبد العزيز غلام .

٤٧ ـ مختصر التحفة الاثنى عشرية ، نقله من الفارسية إلى العربية غلام محمد واختصره محمود شكري الألوسي ، وعلق عليه محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٧٣هـ .

الديلمي (٧١١/١٣١١) : محمد بن الحسن .

٤٨ ـ (من كتاب قواعد عقائد آل محمد) ، تحقيق ، شتروطمان ، استانبول ١٩٣٨م .

الدينوري (٢٨٢/٨٩٥) : أحمد بن داود .

٤٩ ـ الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر (مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٩٦٠م .

الذهبي (١٣٤٧/٧٤٨) : شمس الدين بن قايماز.

٥٠ ـ تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ٥ أجزاء، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٦٧ـ١٣٦٩هـ.

الرازي (١٢٠٩/٦٠٦) : فخر الدين.

٥١ ـ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين تحقيق علي سامي النشار، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٨م.

ابن رسته (٩٠٢/٢٩٠) : أبو علي أحمد بن عمر.

٥٢ ـ الأعلاق النفسية باعتناء دي خويه، ليدن ١٨٩٢م.

ابن رشيق (٤٦٣/ ١٠٧٠) : أبو علي الحسن بن علي القيراوني.

٥٣ ـ العمدة في صناعة الشعر ونقده جزءان، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٥هـ.

الرسيعني (عاش في القرن السابع للهجرة) : عبد الرزاق بن رزق الله.

٥٤ ـ العمدة في صناعة الشعر ونقده جزءان، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٢٤هـ.

الزبيري (٨٥٠/٢٣٦) : مصعب.

٥٥ ـ نسب قريش، تحقيق بروفنسال، دار المعارف للطباعة والنشر القاهرة ١٩٥٣م.

ابن سعد (٨٤٤/٢٣٠) : أبو عبد الله محمد.

٥٦ ـ الطبقات الكبير، ٨ أجزاء، طبعة إدوارد سخو، ليدن ١٩٠٥ ـ ١٩٢١م.

ابن سلام (٢٢٤/ ٨٣٨) : أبو عبيد القاسم.

٥٧ـ كتاب الأموال، تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي، مطبعة، حجازي القاهرة ١٣٥٣هـ.

السمعاني (١١٦٦/٥٦٢) : عبد الكريم بن محمد.

٥٨ ـ كتاب الأنساب تحقيق مرجليوث، ليدن ١٩١٢م.

ابن سيده (١٠٦٥/٤٥٨) : أبو الحسن علي بن إسماعيل.

٥٩ ـ كتاب المخصص، المطبعة الأميرية بولاق ١٣١٩هـ.

ابن سينا (١٠٣٦/٤٢٨) : أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي .

٦٠ - رسالة أضحوية في أمر المعاد ، تحقيق سليمان دنيا ، مطبعة الاعتماد القاهرة ١٩٤٩/١٣٦٨ .

السيوطي (١٥٠٥/٩١١) : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر .

٦١ - تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٥٩

الشهرستاني (١١٥٣/٥٤٨) : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم .

٦٢ - كتاب الملل والنحل ، ٥ أجزاء ، بهامش كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل ، المطبعة الأدبية القاهرة ١٣١٧هـ - ١٣٢٠هـ .

الصادق (٧٦٧/١٤٨) : جعفر بن محمد .

٦٣ - توحيد المفضل ، النجف ١٣٦٩هـ .

الطبرسي (توفي في أواخر القرن الخامس الهجري) : أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب .

٦٤ - الاحتجاج على أهل اللجاج ، طهران ١٣٠٢هـ .

الطبري (٩٢٢/٣١٠) : أبو جعفر محمد بن جرير .

٦٥ - تاريخ الأمم والملوك ، طبعة ليدن ١٨٧٦ - ١٩٠١م في ١٣ جزءًا والطبعة الحسينية ، القاهرة ١٣٢٦هـ ، في ١٣ جزءًا ، وطبعة مطبعة الاستقامة ، القاهرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩ ، في ٨ أجزاء .

ابن الطقطقي (١٣٠٩/٧٠٩) : فخر الدين محمد بن علي بن طباطبا .

٦٦ - الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (مطبعة محمد علي صبيح وأولاده القاهرة بدون تاريخ) .

العباسي (١٥٥٥/٩٦٣) : عبد الرحيم عبد الرحمن بن أحمد .

٦٧ - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، دار الطباعة المصرية القاهرة ١٢٧٤هـ .

ابن عبد ربه (٣٢٨/ ٩٣٩) أبو عمر أحمد بن محمد .

٦٨ ـ العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين وجماعته ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٣م .

أبو عبيدة (٨٢٥/٢١٠) : معمر بن المثنى .

٦٩ ـ النقائض ، تحقيق بيفان ، ليدن ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ .

العراقي (١١٠٦/٥٠٠) : أبو محمد عثمان بن عبد الله .

٧٠ ـ الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة ، تحقيق بشار قوتلواي أنقرة مطبعي ١٩٦١م .

الغزالي (١١١١/٥٠٥) : أبو حامد محمد بن محمد .

٧١ ـ فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، تحقيق سليمان دنيا ، دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٣٨١ / ١٩٦١م .

الفردوسي (١٠٢٠/٤١١) وقيل : (٤١٦/ ١٠٢٥) : أبو القاسم .

٧٢ ـ الشاهنامه ترجمة الفتح بن علي البنداري ، جزءان ، تصحيح وتعليق عبد الوهاب عزام ، مطبعة دار الكتب القاهرة ١٣٥٠/ ١٩٣٢ .

الفيروزأبادي (١٥٥٤/٩٦٢) : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب .

٧٣ ـ القاموس المحيط ، ٤ أجزاء ، المطبعة المصرية القاهرة ١٣٥٣/ ١٩٣٥ .

القاسم بن إبراهيم (٨٦٠/٢٤٦) .

٧٤ ـ كتاب الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع ، روما ١٩٢٧م .

القاضي (١٠٢٤/٤١٥) : عبد الجبار .

٧٥ ـ المغنى في أبواب التوحيد والعدل الجزء ١٦ ، تحقيق أمين الخولي ، مطبعة دار الكتب بالقاهرة ١٣٨٠/ ١٩٦٠ .

ابن القارح (١٠٣٠/٤٢١) : أبو الحسن علي بن منصور بن طالب .

٧٦ ـ رسالة ابن القارح مع رسالة الغفران لأبى العلاء المعري ، تحقيق الدكتورة بنت الشاطي ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣م .

ابن قتيبة (٨٨٩/٢٧٦) : عبد الله بن مسلم .

٧٧ ـ الشعر والشعراء ، جزءان ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤م .

٧٨ ـ المعارف ، تحقيق محمد إسماعيل الصاوي ، المطبعة الإسلامية القاهرة ١٩٣٤م .

القرشي (٧٨٧/١٧٠) : أبو زيد محمد بن الخطاب .

٧٩ ـ جمهرة أشعار العرب ، المطبعة الخيرية القاهرية ١٣٠٨هـ .

القمي (٩١٣/٣٠١) : سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري .

٨٠ ـ كتاب المقالات والفرق ، تحقيق محمد جواد مشكور ، طهران ١٩٦٣م .

ابن القيم (١٣٥٠/٧٥١) : شمس الدين أبو عبد الله ابن القيم الجوزية .

٨١ ـ إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ، جزءان ، تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي ، القاهرة ١٣٥٧ـ١٣٥٨هـ .

الكتبي (١٣٦٢/٧٦٤) : محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن .

٨٢ ـ فوات الوفيات جزءان تحقيق محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة القاهرة ١٩٥١م .

ابن كثير (١٣٧٢/٧٧٤) : إسماعيل بن عمر .

٨٣ ـ البداية والنهاية في التاريخ ، ١٤ جزءًا ، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٨ ـ ١٣٥٨هـ

الكردري (١٤٢٣/٨٢٧) : حافظ الدين محمد بن محمد .

٨٤ ـ مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة ، حيدر آباد الدكن ١٣٢١هـ .

الكشي (٩٥١/٣٤٠) : أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز .

٨٥ ـ أخبار الرجال ، بومباي ١٣١٧هـ .

الكلبي (١٢٤٠/٦٣٣) : عمر بن الحسن بن علي بن محمد أبو الخطاب بن دحية .

٨٦ ـ كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس تحقيق عباس العزاوي مطبعة المعارف، بغداد ١٣٦٥/ ١٩٤٦ .

الكليني (٩٤٠/٣٢٩) : أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق .

٨٧ ـ أصول الكافي ، تحقيق عبد الحسين المظفر ، النجف ١٣٧٧ / ١٩٥٧ .

ابن كمال باشا (٩٤٠/١٥٣٣) .

٨٨ ـ رسالة في تحقيق لفظ زنديق وتوضيح معناه لغة وشرعًا وبيان حكمه تحقيق حسين علي محفوظ ـ مجلة كلية الآداب العدد الخامس ، بغداد ١٩٦٢م .

الماوردي (٤٥٠/١٠٥٨) : ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب .

٨٩ ـ الأحكام السلطانية ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة ١٣٥٧هـ . المبرد (٢٨٥/ ٨٩٨) : أبو العباس محمد بن يزيد .

٩٠ ـ الكامل في اللغة تحقيق الدكتور زكي مبارك ، القاهرة ١٣٥٥هـ ، وتحقيق أحمد محمد شاكر مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٥٦/ ١٩٣٧ .

ابن المرتضى (٨٤٠/١٤٣٦) : أحمد بن يحيى .

٩١ ـ طبقات المعتزلة ، تحقيق سوسنة ديفلد فلزر ، نشر فرانز شتاينر فيسبادن ، بيروت ١٩٦١.

المسعودي (٣٤٦/٩٥٧) : أبو الحسن بن الحسين بن علي .

٩٢ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٩ أجزاء ، باريس ١٨٦١ ـ ١٨٧١م وطبعة المطبعة البهية في جزأين ، القاهرة ١٣٤٦هـ ، وطبعة مطبعة دار الرجاء ، ٤ أجزاء ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٣٨م .

٩٣ ـ التنبيه والإشراف ، دار الصاوي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٣٨م .

المعري (٤٤٩/١٠٢٧) : أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان .

٩٤ ـ رسالة الغفران ، تحقيق بنت الشاطئ ، القاهرة ١٩٥٠م ، ومطبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٦١ .

المقريزي (٨٤٥/١٤٤١) : تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر .

٩٥ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ٤ أجزاء ، مطبعة النيل ، القاهرة ١٣٢٤ ـ ١٣٢٦هـ .

٩٦ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٤م .

الملطي (٩٨٧/٣٧٧) : أبو الحسن محمد بن أحمد .

٩٧ ـ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، تحقيق محمد زاهد الكوثري القاهرة ١٩٤٩/١٣٦٩ .

ابن منظور (١٣١١/٧١١) : محمد بن عبد الكريم .

٩٨ ـ لسان العرب ، ٢٠ جزءًا ، بولاق ١٣٠٠ ـ ١٣٠٧هـ ، وطبعة دار صادر ، بيروت ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ ، في ١٥ جزءًا .

ابن نباتة (١٣٦٦/٧٦٨) : جمال الدين محمد بن محمد .

٩٩ ـ سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٣٨٣/ ١٩٦٤ .

ابن النديم (٩٩٣/٣٨٣) : محمد بن إسحاق .

١٠٠ ـ الفهرست ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة بدون تاريخ .

النوبختي (٨١٧/٢٠٢) : أبو محمد الحسن بن موسى .

١٠١ ـ كتاب فرق الشيعة ، تصحيح هـ . ريتر ، مطبعة الدولة ، استانبول ١٩٣١م ، وتحقيق محمد صادق آل بحر العلوم المطبعة الحيدرية ، النجف ١٣٥٥/ ١٩٣٦ .

النويري (٧٣٢/ ١٣٣١) : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب .

١٠٢ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٤٩/١٣٦٩ .

ابن هشام (٨٣٣/٢١٨) : محمد بن عبد الملك .

١٠٣ ـ سيرة النبي ، ٤ أجزاء ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي ، القاهرة ١٣٥٦/ ١٩٣٧ .

اليافعي (١٣٦٦/٧٦٨) : عبد الله بن أسعد .

١٠٤ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ٤ أجزاء ، حيدر آباد ١٣٣٨ ـ ١٣٣٩هـ .

ياقوت (١٢٢٨/٦٢٦) : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي .

١٠٥ ـ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، المعروف ـ بمعجم الأدباء ـ ٧ أجزاء ، تصحيح واعتناء مرجليوث ، القاهرة ١٩٢٣ ـ ١٩٣١م ، ومطبوعات دار المأمون، ٢٠ جزءا ، القاهرة ١٣٥٧/ ١٩٨ .

اليعقوبي (٨٩٧/٢٨٤) : أحمد .

١٠٦ ـ تاريخ اليعقوبي ، طبعة النجف ، ٣ أجزاء ، النجف ١٣٥٨هـ ، وطبعة دار صادر جزءان ، بيروت ١٣٧٩/ ١٩٦٠ .

أبو يوسف (١٩٢/٨٠٧ـ٨٠٨) : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب .

١٠٧ ـ كتاب الخراج ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٦هـ .

١٠٨ ـ نبذة من كتاب التاريخ للمؤلف المجهول من القرن الحادي عشر ، باعتناء غريازنيوبيج ، موسكو ١٩٦٠ .

ثانيًا : المصادر الحديثة :

أربري أ . ج . ج وأساتذة من المستشرقين .

١ ـ تراث فارس ترجمة محمد كفافي وجماعته ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٩م .

آل كاشف الغطاء : محمد الحسين (ت١٣٧٣/١٩٥٤) .

٢ ـ أصل الشيعة وأصولها ، الطبعة التاسعة .

ألبير نادر .

٣ ـ أهم الفرق الإسلامية السياسية والكلامية ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٨ .

الألوسي (١٣٤٢هـ) : محمود شكري .

٤ ـ بلوغ الأرب في أحوال العرب ، مطبعة دار السلام بغداد ١٣١٤هـ ، في ثلاثة أجزاء.

أحمد أمين .
٥ - ضحى الإسلام ، ٣ أجزاء ، الطبعة الخامسة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٥ / ١٩٥٦ .
٥ - فجر الإسلام ، الطبعة السابعة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٩م .
بارتولد ف .
٧ - تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر .
بديع شريف :
٨ - الصراع بين العرب والموالي ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٥٤م .
بلات . شارل .
٩ - الجاحظ ، ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني ، دار اليقظة العربية ، للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ١٩٦١م .
بدوي ، عبد الرحمن :
١٠ - التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٤٦م .
١١ - من تاريخ الإلحاد في الإسلام ، مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٤٥م .
بروكلمان ، كارل :
١٢ - تاريخ الشعوب الإسلامية ، ٥ أجزاء ، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٠م .
١٣ - تاريخ الأدب العربي ، ٣ أجزاء ، ترجمة عبد الحليم النجار ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٢م .
بلبع ، عبد الحليم :
١٤ - أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٥٩م .
جب :
١٥ - دراسات في حضارة الإسلام ، ترجمة إحسان عباس وآخرين ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٤.

جمال الدين سرور :

١٦ ـ الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ، دار الثقافة العربية للطباعة ، القاهرة ١٣٨٠/ ١٩٦٠ .

الجومرد ، عبد الجبار :

١٧ ـ الأصمعي ، دار الكشاف ، بيروت ١٩٥٥م .

١٨ ـ يزيد بن مزيد الشيباني ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦١ .

حسن إبراهيم حسن :

١٩ ـ تاريخ الإسلام السياسي ، ٣ أجزاء ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٥ ، والطبعة السابعة ، القاهرة ١٩٦٥م .

٢٠ ـ النظم الإسلامية ، الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٩ .

٢١ ـ تاريخ الدولة الفاطمية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٤م .

٢٢ ـ انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٤م .

الدجيلي ، عبد الصاحب :

٢٣ ـ الشعوبية ، الطبعة الثانية ، مطبعة القضاء ، النجف ١٣٨٠/ ١٩٦٠ .

الدوري ، عبد العزيز :

٢٤ ـ العصر العباسي الأول ، مطبعة التفيض الأهلية ، بغداد ١٩٤٥م .

٢٥ ـ دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، شركة الرابطة للطباعة والنشر ، بغداد ١٩٤٥ .

٢٦ ـ مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٤٩ .

٢٧ ـ النظم الإسلامية ، مطبعة نجيب ، بغداد ١٩٥٠ .

٢٨ ـ بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠ .

٢٩ ـ الجذور التاريخية للشعوبية ، منشورات دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٢ .

دينيت ، دانيل :

٣٠ ـ الجزية والإسلام ، ترجمة الدكتور فوزي فهيم جاد الله مراجعة إحسان عباس ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٠ .

ديورانيت ، ول :

٣١ ـ قصة الحضارة ، الجزء الثاني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٠ .

عبد العال محمد جابر :

٣٢ ـ حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٣/١٩٥٤ .

العلي ، صالح أحمد :

٣٣ ـ التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٣ .

٣٤ ـ محاضرات في تاريخ العرب ، الطبعة الثانية ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٥٩ .

٣٥ ـ المؤلفات العربية في المدينة والحجاز ـ مستل من المجلد الحادي عشر لمجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٣٨٢/١٩٦٤ .

العقاد ، عباس محمود :

٣٦ ـ كتاب الله ، سلسلة كتاب الهلال ، القاهرة بلا تاريخ .

أبو ريدة ، محمد عبد الهادي :

٣٧ ـ إبراهيم بن سيار النظام ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٦ .

زكي محمد حسن :

٣٨ ـ الفنون الإيرانية ، مطبعة دار الكتب العربية ، القاهرة ١٩٤٠ .

زيدان ، جرجي :

٣٩ ـ تاريخ التمدن الإسلامي ، ٥ أجزاء ، مراجعة حسين مؤنس مطبعة دار الهلال ، القاهرة .

الزهيري ، محمود غناوي :

٤٠ ـ نقائض جرير والفرزدق ، مطبعة دار المعرفة ، بغداد ١٩٥٤ .

طه حسين :

٤١ ـ حديث الأربعاء ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٥٦/ ١٩٣٧ .

فان فلوتن :

٤٢ ـ السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمة حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٩٤ .

الفكيكي ، عبد الهادي :

٤٣ ـ الشعوبية والقومية العربية ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ١٩٦١ .

فلهاوزن ، يوليوس :

٤٤ ـ الخوارج والشيعة ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٨ .

٤٥ ـ الدولة العربية وسقوطها ، ترجمة يوسف العش ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ١٣٧٦/١٩٥٦ .

الفياض ، عبد الله :

٤٦ ـ تاريخ البرامكة ، مطبعة الرشيد . بغداد ١٣٦٧ / ١٩٤٨ .

كرستنسن ، أرثر .

٤٧ ـ إيرن في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٧ .

محمد عبده :

٤٨ ـ رسالة التوحيد ، الطبعة السابعة . مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ١٣٧٦/١٩٥٦ .

محمد كرد علي :

٤٩ ـ رسائل البلغاء ، الطبعة الرابعة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٤ .

محمد نبيه حجاب :

٥٠ ـ مظاهر الشعوبية في الأدب العربي ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٣٨١/ ١٩٦١ .

٥١ ـ دائرة المعارف الإسلامية ، المجلدان العاشر والثالث عشر ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة .

المصادر الأجنبية :

1 – Browne, E.G.A Literary History of Persia, (Vol.I, Canbridge, 1929) .

2- Bukhsh, Islamic Civilization, (Calctta 1929) .

3 – Goldaiher, Ign: Mohammedanixchen Studien, 2 Vols. (Halle, 1889) .

4 – Hitti Philip, History of the Arabs, London 1937 .

5- Lewis Bernard, The Origins of Islamism, (Cambridge,1940) .

6-Mcdonald, Shu,ubiyya, Encyclopedia of Islam, Vol .4 .

7 – Nicholson, R.A.A.Literary History of the arabs, (Cambridge 1930) .

8- O,Leary De Lacy, Arabic Thought and its Place in History, (New York 1936) .

9- Wellhausen, J, The Arab Kingdom and its Fall, (Calcutta1927) .

الفهرس